السلطنة الجبرية

في نجد وشرق الجزيرة العربية

تأليف

د. خالد بن عزام بن حمد الخالدي

الأستاذة: إيمان بنت خالد الخالدي
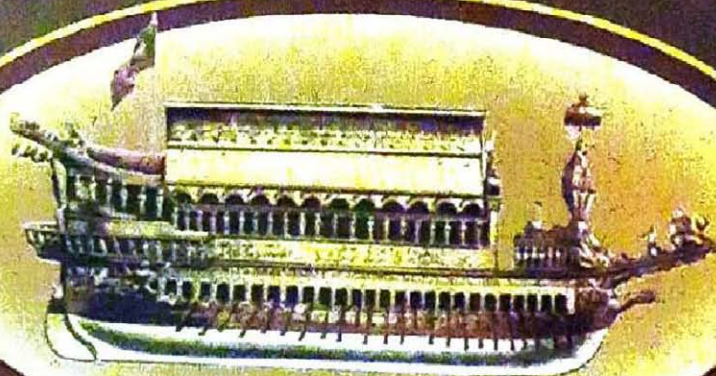
السلطنة الجبرية

في نجد وشرق الجزيرة العربية

دراسة سياسية حضارية

السلطنة الجبرية

في نجد وشرق الجزيرة العربية

دراسة سياسية حضارية

(٨٢٠-٩٣٢هـ/١٤١٧-١٥٢٥م)

تأليف

الدكتور: خالد بن عزام بن حمد الخالدي

الأستاذة: إيمان بنت خالد بن عزام الخالدي

الدار العربية للموسوعات

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.

وبعد:

لقد بدأ اهتمامي بتاريخ دولة الجبور منذ أن كنت طالباً في مرحلة الماجستير قبل عقدين من الزمن، إذ كنت أتتبع كل ما يُكتب عنها ولكني لم أباشر البحث في هذا الموضوع لانشغالي برسالتي الماجستير والدكتوراه. وحينما كانت ابنتي (إيمان) تُحضّر لنيل درجة البكالوريوس في التاريخ طُلب منها كتابة بحث التخرج فوجهتها لاختيار هذا الموضوع وكتبت الفصول الثلاثة الأولى كنواة لهذا الكتاب، ولكنها شُغلت برعاية شؤون بيتها عن استكمال مباحث هذا الكتاب بعد التخرج.

وأوكلت هذه المهمة إليّ، فقمت بمراجعة ما كَتَبتْ، وزدت عليه بقية فصول هذا الكتاب.

وإحقاقاً للحق واعترافاً مني بما بذلت من جهد مشكور، فقد ذكرتها كشريكة لي في تأليف هذا الكتاب. الذي تناول تاريخ «السلطنة الجبرية في نجد وشرق الجزيرة العربية» التي قامت خلال الفترة (٨٢٠ - ٩٣٢هـ/ ١٤١٧-١٥٢٥م). ثم نشاط الجبور في منطقة الخليج العربي بعد زوال دولتهم في الأحساء.

كانت هذه السلطنة في أوج اتساعها، تشغل رقعة جغرافية واسعة من شبه جزيرة العرب. تشمل في الوقت الحاضر دول شرق الجزيرة العربية ابتداءً من الكويت شمالاً وانتهاءً بإقليم ظفار على بحر العرب جنوباً. يُضاف إلى ذلك إقليم نجد في وسط الجزيرة العربية.

يكتنف تاريخ هذه المنطقة الكثير من الغموض في هذه الفترة والسبب في ذلك قلة المصادر، بل ندرتها. مما جعل الباحثين يحجمون عن ارتيادها، بسبب الجهد المضني اللازم لتجميع المادة التاريخية المبعثرة بشكل إشارات، وومضات في مصادر عديدة وبلغاتٍ مختلفة.

إن كل ما كُتب في تاريخ السلطنة الجبرية حتى الآن لا يعدو كونه إشارات عابرة، أو مقالات في بعض الدوريات، وحسب علمي المتواضع إنه لم يصدر كتاب يتناول تاريخ هذه الدولة بشكل مستقل ومفصل، وإن أفضل ما كُتب في هذا الموضوع حتى الآن بحث للدكتور عبد اللطيف الحميدان، بعنوان: (التاريخ السياسي لإمارة الجبور في نجد وشرق الجزيرة العربية). وبحث آخر له بعنوان (الصراع على السلطة في دولة الجبور بين المفاهيم القبلية والملك). وتاتي أهمية هذين البحثين، لأن الباحث اعتمد على مصادر أجنبية مثل البرتغالية والفارسية في إضافة معلومات جديدة لم تُشر إليها المصادر العربية. وقد أفدت من هذين المرجعين كثيراً. وكذلك بحث للشيخ حمد الجاسر، بعنوان (الدولة الجبرية في الأحساء) إلا أن هذا لا يقلل من شأن المصادر والمراجع الأخرى التي تطرقت لهذا الموضوع، واستفدت منها كثيراً.

نظراً لقلة المصادر التي تناولت هذا الموضوع فقد لجأت إلى الكثير من التحليل والاستنتاج والترجيحات لردم الفجوات التاريخية والربط بين الأحداث. كما قمت بتوظيف القصائد الشعرية التي قيلت في مدح ورثاء أمراء الدولة الجبرية للوصول إلى الكثير من المعلومات التاريخية في تلك الفترة.

أرجو أن أكون قد وفقت في ضم جهدي المتواضع إلى جهود من سبقوني من الباحثين الذين لهم فضل السبق في تناول هذا الموضوع لجلاء الغموض الذي يشوب تاريخ هذه السلطنة الذي ضمنته هذا الكتاب.

وفوق كل ذي علمٍ عليم، والله الموفق.

د. خالد الخالدي

الفصل الأول

دراسة تمهيدية

لمحة جغرافية عن بلاد البحرين:

● حدود بلاد البحرين:

يقصد ببلاد البحرين - الإقليم الممتد على ساحل الخليج العربي من البصرة شمالاً حتى عُمان جنوباً[1]، وتتصل من جهة الغرب باليمامة ويفصلها عنها رمال الدهناء التي تمتد من الشمال إلى الجنوب، ويمتد إقليم البحرين شرقاً حتى شواطئ الخليج العربي، ويدخل ضمن ذلك الجزر المجاورة للساحل والمحاطة ببحر ضحل، فكان مكاناً لأشهر مغاصات اللؤلؤ الطبيعي في العالم من حيث الجودة ووفرة الإنتاج، وأكبر هذه الجزر وأشهرها جزيرة أُوال (البحرين)[2].

إن للبيئة الطبيعية أثر كبير في تاريخ المنطقة ونستطيع أن نقسمها إلى:

البيئة الزراعية - البيئة البحرية - البيئة الصحراوية.

---

(١) ياقوت، شهاب الدين أبي عبد الله الحموي الرومي، معجم البلدان، بيروت ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، ج١، ص٣٤٦، ٣٤٧.

(٢) المديرس، عبد الرحمن مديرس، الدولة العيونية في البحرين، دارة الملك عبد العزيز، الرياض، ١٤٢٢هـ، ص٢١، ٢٧.

● **البيئة الزراعية:**

تمتاز هذه المنطقة بكثرة العيون الغزيرة والمياه الجوفية، مما أدى إلى اتساع الرقعة الزراعية. وبالتالي وجدت حياة مستقرة منذ أقدم العصور. وأهم واحات المنطقة: هَجر (الأحساء) والخط (القطيف)، وتُؤام (البُريمي)، وجزيرة أُوال (البحرين).

كان إنتاج المنطقة الزراعي يكفي لاحتياجات سكان البوادي وأسواق الخليج، ويُصّدر الفائض من التمور إلى السواحل المطلة على بحر العرب، والمحيط الهندي.

في مثل هذه البيئة يُفترض قيام سلطة تعمل على توفير الأمن والنظام ودفع خطر غزو البدو عنها، والإشراف على توزيع المياه وصيانة مصادرها من الاندثار[1].

لذلك كان لابد من إيجاد صلة وثيقة بالبيئتين المجاورتين وهما البيئة الصحراوية، والبحرية، إما بطريقة الإخضاع المباشر أو بإقامة تحالفات قائمة على أساس المصالح المشتركة.

وكثيراً ما ينشأ عن ذلك حروب مع سكان هاتين البيئتين، لإخضاعهما ليتم ربط طرق التجارة البحرية بطرق التجارة البرية. وينتج عن ذلك نفع كبير لسكان المنطقة، كما يحقق لهم الاستقرار السياسي.

ونظراً لارتباط المزارعين بالأرض، يظلون أسهل خضوعاً واستغلالاً للسلطة، من سكان البيئتين المجاورتين، البحرية، والصحراوية.

● **البيئة البحرية:**

إن طبيعة سواحل الخليج العربي بكثرة تعاريجها وجزرها، أدى إلى

---

(١) الحميدان عبد اللطيف، إمارة العصفوريين ردورها السياسي في تاريخ شرق الجزيرة العربية، مجلة كلية الآداب، جامعة البصرة، ع١٥، س١٩٧٩م، ص٧١.

قيام نشاط بحري يتمثل في التجارة وصيد اللؤلؤ وصيد الأسماك. وقد أدى ذلك إلى نشوء طبقة غنية من تجار اللؤلؤ وأصحاب السفن، لهم الكثير من العبيد والأتباع، يعملون في البحر ويمثلون قوة عسكرية عند الحاجة. فكان لهذه القوى دور لا يستهان به في صنع الأحداث في المنطقة[١].

- **البيئة الصحراوية:**

من المعروف أنها هي البيئة السائدة في البلاد، وقد فرضت نمطاً من الحياة الاجتماعية هي الحياة القبلية، التي طبعت التاريخ السياسي، والاجتماعي، والاقتصادي للمنطقة بطابعها حتى العصر الحديث. والبيئة الصحراوية بيئة طاردة للسكان بطبيعتها، فمع تزايد عدد السكان في البادية، وتوالي سنين القحط والجفاف، والصراعات القبلية، كل ذلك دفع بكثير من القبائل إلى المناطق الأكثر غناً، وهما البيئة الزراعية والبحرية. وكلما ضعفت السلطة في المنطقة، ازداد توغل سكان البادية، وضغطهم على هاتين المنطقتين. وبالتالي يؤدي ذلك إلى استقرار بعض الزعامات القبلية، وامتلاكهم للأراضي الزراعية، وربما يتم ذلك بتشجيع من السلطات المحلية، للاستعانة بنفوذها في كبح جماح البدو والتخفيف من ضغطهم على مناطق الاستقرار.

بالرغم من ذلك فإن زعماء القبيلة يبقون على صلة بقبيلتهم ويحافظوا على نفوذهم فيها، وبذلك يشكلون همزة وصل بين القبيلة ومناطق الاستقرار. وأهم ما في هذه العلاقة أنّ عرب البادية في البحرين، يسيطرون على طرق القوافل التجارية، والتي تبدأ أو تنتهي في موانئ الخليج[٢].

---

(١) الحميدان، المرجع السابق، ص٧٢.

(٢) الحميدان، المرجع السابق، ص٧٣، ٧٤.

لمحة موجزة عن تاريخ البحرين قبل السلطنة الجبرية

• عصر ولادة الخلافة:

كانت بلاد البحرين تُحكم من قِبل ولاة الخلافة الراشدة ثم الأموية ثم العباسية، حتى نهاية الربع الثالث من القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي. وحينما ضعفت الخلافة العباسية، بسبب تزايد نفوذ الأتراك فيها، أدى ذلك إلى تراخي قبضة السلطة المركزية في بغداد على الأقاليم النائية، فظهرت فيها الحركات الانفصالية. وكثرت اضطرابات القبائل الخارجة على السلطة في الجزيرة العربية، وخصوصاً قبائل بني عبد القيس. وكان قمع هذه التمردات القبلية يتسم بالقسوة والبطش من قِبل قادة العباسيين من الأتراك[١].

• القرامطة:

في مثل هذه الظروف المضطربة ظهرت حركة قرامطة البحرين بقيادة الحسن بن بهرام الملقب بأبي سعيد الجنابي، مؤسس دولة القرامطة عام (٢٨٦هـ/ ٨٩١ م)[٢].

لم يكن موقف القبائل في المنطقة عدائياً من هذه الحركة، بالرغم من الخلاف المذهبي معها. هذا إن لم يساعدوها في بدايتها، نظراً للعلاقة

---

(١) الخالدي، خالد عزام: تنظيمات الحج وتأثيراته في الجزيرة العربية، خلال العصر العباسي، منشورات الجمعية التاريخية السعودية، الرياض، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، ص٢٤٦-٢٥٠.

(٢) القرامطة: حركة إسماعيلية سرية قامت في البحرين، سمّو أتباعها بالقرامطة نسبة إلى حمدان بن الأشعث الملقب بقرمط مؤسس الحركة. الخالدي، المرجع السابق، ص٦٦، هـ١.

غير الودية بين القبائل والسلطة المركزية في بغداد من جهة، وبسبب المنافع الاقتصادية المشتركة بين هذه القبائل والحركة من جهة أخرى.

حيث نجد أن بني عامر كانوا قد فرضوا على القرامطة، أن يدفعوا لهم جزءاً من حاصلات البحرين مقابل حماية القوافل وخفارتها. وكان عدم الإقرار لهم بهذا الحق يعرض القوافل، ومناطق الاستقرار لهجماتهم[1].

وهذا يعكس ضعف القرامطة، وعجزهم عن القيام بهذا العبء أمام قوة بني عامر.

● الإمارة العيونية:

قام عبد الله بن علي العيوني، الذي ينتمي إلى عبد القيس بإنهاء دولة القرامطة في البحرين في حدود عام (٤٦٩ هـ/ ١٠٧٧م) بمساعدة العباسيين، وأقام حكومة فيها تدين بالتبعية للخلافة العباسية في بغداد[2].

من الجدير بالذكر أن بني عامر طالبوا الدولة العيونية بدفع ما كان يجريه لهم القرامطة، من أتاوات مقابل خفارة القوافل. وكان العيونيون قد أوقفوا هذه الجرايات. ولكنهم عادوا إلى دفعها تحت ضغط بني عامر المتزايد. بالرغم من ارتباط بني عامر بالعيونين عن طريق المصاهرة[3] وربما قربى النسب البعيدة نسبياً.

بلغ من تزايد نفوذ بني عامر الاقتصادي، والسياسي أن أصبحوا خطراً يهدد المستقبل السياسي للأسرة العيونية الحاكمة[4].

---

(١) الحميدان، إمارة العصفوريين، ص٨١.

(٢) آل عبد القادر، محمد بن عبد الله، تحفة المستفيد في تاريخ الأحساء القديم والجديد، ج١، مكتبة المعارف، الرياض، ط٢، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، ص٩٨.

(٣) آل عبد القادر، المرجع السابق، ج١، ص ص١٠١، ١٦١.

(٤) المرجع السابق، ص٣١٣. لمزيد من التفصيل عن هذه النقطة راجع ديوان الشاعر =

وقد ازداد الأمر سوءاً بسبب الخطر الخارجي الذي تعرض له العيونيون، وكان مصدره ملوك جزيرة قيس من بني قيصر الذين أصبحوا يهيمنون على تجارة الخليج البحرية. حيث قاموا بعدة هجمات بحرية على جزر وسواحل البحرين. فرضوا على أثرها على العيونيين معاهدة يدفعون بموجبها لملوك بني قيصر جزءاً كبيراً من حاصلات البحرين الزراعية، ومن واردات مغاصات اللؤلؤ[١].

أمام عجز الأسرة العيونية عن دفع هذه الأخطار، اتفق معظم أعيان الأحساء ووجوهها، على تسليم السلطة في البلاد إلى زعيم بني عامر المحنك، الشيخ عصفور بن راشد بن عميره بن سنان العامري. مؤسس الإمارة العصفورية العامرية. وكان ذلك على الأرجح، في حدود العقد الثاني من القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي[٢].

● الإمارة العصفورية العامرية:

كان على الإمارة الناشئة - بزعامة الشيخ عصفور بن راشد - مواجهة خطرين.

الأول: بقايا حكام الأسرة العيونية في كل من القطيف وجزيرة البحرين.

الثاني: مملكة جزيرة قيس التي تمتلك أسطولاً قوياً.

وقد تمكن الشيخ عصفور من بسط نفوذه وسيطرته على معظم بلاد

= ابن مقرب العيوني لتجد الكثير من الشكوى من تسلط بني عامر مثل قوله:

إذا نحن زدنا في عطايا قبيلةٍ لكف أذاها زاد منا انتقامها
هي النار إن شبهتها وعطاؤنا لها حطب ما زاد زاد اضطرامها

(١) آل عبد القادر، المرجع السابق، ص ص ١٠١، ١٠٨.

(٢) الحميدان، المرجع السابق، ص٨٦.

البحرين، واليمامة، وعمان في حدود العقد الثالث من القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي. باستثناء جزيرة البحرين، حيث لا تزال في يد أحد الأمراء العيونيين الخاضعين لنفوذ حكام جزيرة قيس[1].

في خضم الفوضى التي رافقت الاجتياح المغولي لبلاد فارس والعراق في القرن السابع الهجري احتل أتابكة فارس السلغريين جزيرة أوال (البحرين) (٦٣٦/١٢٣٨). وانتزعها العصفوريون منهم عام (٦٥١هـ/ ١٢٥٣م)[2].

تشير المصادر إلى أن العصفوريين كانوا على علاقة طيبة مع سلطة المماليك في مصر. على عكس علاقتهم بمغول إيران والعراق. ولذا فقد قام العصفوريون بمهاجمة البصرة عام (٧٥٥هـ/ ١٣٥٦م)[3].

دَبَّ التنافس بين الأمراء العصفوريين حول السلطة. واستعان بعضهم بالقوى الخارجية، ذات النفوذ البحري في الخليج، كالطيبيين في مقاطعة فارس وجزيرة قيس. والسلغريين في جزيرة هرمز. الأمر الذي أدى إلى تجزئة إمارتهم، وبالتالي زوال سلطتهم السياسية حوالي عام (٧٨٥هـ/ ١٢٨٦م) على الأرجح على يد سعيد بن مغامس بن سليمان بن رميثة، الذي لم تَطل فترة حكمه، إذ سقط هو أيضاً على يد الزعيم الأحسائي جروان المالكي من بني عبد القيس حوالي عام (٧٩٥هـ/ ١٣٩٣م)[4].

● إمارة بني جروان:

بقي حكم البحرين في يد بني جروان - الذين يدينون بالتبعية لمملكة

---

(١) نفس المرجع السابق، ص٨٧.

(٢) نفس المرجع السابق، ص٩٢.

(٣) القلقشندي، أحمد بن علي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، القاهرة، ١٩١٥م، ج٥، ص٤٤٧-٤٤٨، ج٧، ص٣٧٠-٣٧١.

(٤) الحميدان، إمارة العصفوريين، ص١٢٣.

هرمز - قرابة نصف قرن. حتى قام الجبور من بني عقيل بن عامر بانتزاع الأحساء من يد إبراهيم بن ناصر بن جروان في حدود عام (٨٢٠هـ/ ١٤١٧م). ثم اتخذوا منها قاعدة لتوسعهم في المستقبل[١].

بنو عامر بعد العصفوريين

بعد زوال نفوذ بني عامر السياسي متمثلاً في إمارة العصفوريين. احتفظوا بنفوذهم الاقتصادي النشط، المتمثل في خفارة وقيادة القوافل التجارية. وإن ما يتقاضونه من رسوم لقاء هذه الخدمات لا يعتبر ضرباً من ضروب السلب والنهب، الذي تمارسه بعض القبائل غير المنضبطة. إذ لولا نشاطهم هذا، لتوقف النشاط التجاري عبر هذه الطرق.

وقد أشار السخاوي (ت٩٠٢هـ/ ١٤٩٧م) إلى قافلتين من عقيل في هذه الفترة. الأولى عام (٨١١/ ١٤٠٨)، والثانية (٨٢٣هـ/ ١٤٢٠م)[٢]. وهذا دليل على احتفاظ العامريين بقوتهم، وأنهم لا يزالون القبيلة المهيمنة على الصحراء.

وقد توهم الشيخ حمد الجاسر (رحمه الله) **حينما وصفهم بما يلي**: «وقد امتد شر بني عامر حتى شمل النواحي الشرقية من الجزيرة. فصاروا يقطعون الطرق بين الأحساء والعراق، ويتعرضون للحجاج بالنهب والسلب»[٣].

ويبدو أن الشيخ الجاسر اعتمد على رواية الجزيري (ت٩٧٧هـ) إذ يقول «إنه في سنة خمس وثمانين وسبعمائة اعترض «قريش» بن أخي

---

(١) المرجع السابق، ص١٢٤.

(٢) السخاوي، شمس الدين محمد عبد الرحمن، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، بيروت، د.ت، ج٣، ص٢٠٢، ٢٠٣، ج٩، ص٢٥٦، ٢٥٧.

(٣) الجاسر، حمد، الدولة الجبرية في الأحساء، مجلة العرب، ع٥، س١، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م، الرياض، ص٦٠٢.

«زامل» حاج شيراز، والبصرة في الاحساء، فأخذ ما معهم من اللؤلؤ وغيره، وقتل منهم خلقاً كثيراً. فرجع من بقي منهم ماشيا عارياً، وقدم بعضهم إلى مكة صحبة حاج بغداد. وحجز قريش ركب العراق وأخذ منهم عشرين ألف دينار، عن كل جمل خمس دنانير ثم مكنهم من التوجه»[1].

حيث اعتقد الشيخ الجاسر أن قريشاً هذا ابن أخ لزامل بن جبر العامري. مؤسس السلطنة الجبرية، وأن نشاطه هذا ما هو إلا مقدمات لظهور نفوذ الجبور الذي أعقبه قيام دولتهم.

والحقيقة أن قريشاً أو (قرشي)، ما هو إلا ابن أخ لزامل بن موسى بن مهنا[2] أمير قبيلة آل فضل الطائية، التي كان لها نشاط في بادية الشام والعراق ووسط الجزيرة العربية، إبان احتضار الإمارة العصفورية.

وقد أورد هذه الحادثة كل من المقريزي (ت٨٤٥هـ)[3]، والصيرفي (ت٩٠٠هـ) وزاد فيها الأخير «طلع عليهم قرشي ابن أخي زامل بن موسى في ثمانية آلاف..)[4]. وكلاهما ذكر أن (قرشي) ابن أخي زامل بن موسى (ابن مهنا) الذي سبقت الإشارة إليه. والذي يبدو أن عدم اطلاع

---

(١) الجزيري، عبد القادر بن محمد، درر الفرائد المنظمة في أخبار الحج وطريق مكة المعظمة، ط٢، القاهرة، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م، ج١، ص٣١٣.

(٢) ابن قاضي شهبة، أبو بكر بن أحمد، تاريخ ابن قاضي شهبة، ج١؛ ص٣١، تحقيق عدنان درويش، دمشق، ١٩٧٧م؛ الكاتب، شافع بن علي عباس، حسن المناقب السرية المنتزعة من السيرة الظاهرية، تحقيق عبد العزيز الخويطر، ط١، الرياض ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م، ص٩٧- ٩٨.

(٣) المقريزي، أحمد بن علي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج٣، ق٢، تحقيق سعيد عاشور، دار الكتب، القاهرة، ١٩٧٠م، ص٥٠٩.

(٤) الصيرفي، علي بن داوود، نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان، تحقيق حسن حبشي، القاهرة، ١٩٧٠م، ص٨٧.

الشيخ الجاسر على روايتي المقريزي والصيرفي، هو الذي جعله يميل إلى هذا الاعتقاد.

• صلة الجبور بالعصفوريين:

تشير المصادر إلى انتساب كلا الأسرتين إلى بني عامر. ولكن المتوفر منها لدينا تسكت عن ذكر مدى صلة القرابة بين الأسرتين العصفورية والجبرية. وأستبعد أن يكون بنو جبر منحدرين من النسل المباشر للشيخ عصفور بن راشد العامري، لأن بقايا العصفوريين ناوؤا الجبور بعد تسلمهم السلطة، حتى اضطر السلطان أجود بن زامل إلى طردهم من الأحساء. وكان زعيمهم آنذاك كليب بن مانع. كما تشير أشعار كل من ابن زيد شاعر أجود، وابن حماد شاعر كليب بن مانع[(١)] .

تنسب بعض المصادر كلا الأسرتين إلى بني عامر. وبعضها تنسبهما إلى بني خالد. وفي كلا الحالين لا يوجد نفي لصلة القربى بينهما. إذ أن هناك من ينسب العصفوريين إلى المهاجر بن خالد بن الوليد رضي الله عنه. إذ هم أبناء: عامر بن عقيل بن عامر بن عمر بن خالد بن محارب (جد العماير) بن الفضل بن علي بن سعد بن هاشم بن معاوية بن إبراهيم بن عبد الله بن موسى بن سليمان بن عبد الله بن المهاجر بن خالد بن المهاجر بن الوليد المخزومي القرشي[(٢)] .

• صلة الجبور بآل حميد أمراء بني خالد:

تبين سلاسل النسب أن الأسرتين أبناء عمومة، فجدهم: حميد بن ربيع (ربيعة) بن زامل بن غرير بن جبر بن حسين بن ناصر بن جبر، حيث

---

(١) لمزيد من التفصيل راجع بعض هذه القصائد في الفصل الحادي عشر من الكتاب.
(٢) الخالدي، سعود زيتون: محطات تاريخية في الخليج والجزيرة العربية، ذات السلاسل، الكويت، ٢٠٠٢، ص١٣٤.

يلتقي نسب الأسرتين في حسين بن ناصر[1] ويرى الأستاذ عبد الله الشباط أن آل حميد من أسرة الجبور إذا يقول: «يرجع نسب آل حميد إلى بني خالد الحجاز، من بني عقيل بن عامر بن ربيعة من عبد القيس، وهم بقايا الجبريين الذين تزعمهم أجود بن زامل الجبري في القرن التاسع الهجري»[2].

وهذا يدل على دعم كلا الأسرتين لبعضهما حينما تتولى إحداهما الحكم، كما تدل الشواهد التاريخية في ثنايا هذا الكتاب.

● نسب الجبور:

تُجمع أغلب المصادر على أن الجبور من بني عقيل بن عامر. ولكن عامراً هذا اختلف فيه. فقد ذكر محمد بن عبد القادر[3] «أن الجبور من بني عقيل بن عامر، دخلوا في بني خالد». وقد ذكر عبد اللطيف الحميدان[4] «أن بني عامر ينتسبون إلى بني عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة / من هوازن/ من العدنانيين» وقد ناقش أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري نسب الجبور في كتابه (أنساب الأسر الحاكمة في الأحساء)[5] وخلص إلى أنهم ينتسبون إلى عامر بن صعصعة من هوازن.

وكان يرى مثل هذا الرأي الشيخ حمد الجاسر[6] إذ يقول: «و كل ما

---

(١) المرجع نفسه، ص١٤٢.

(٢) جريدة اليوم العدد ٣٩٧٩ في ١٣/٤/١٤٠٤هـ، ص٩.

(٣) تحفة المستفيد، ج١، ص٣٨.

(٤) إمارة العصفوريين، ص ٧٥.

(٥) أنساب الأسر الحاكمة في الأحساء، ج١، ص٣٠٨، منشورات دار اليمامة، ط١، الرياض، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

(٦) الدولة الجبرية في الأحساء، مجلة العرب، س١، ع٥، س١، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م، الرياض، ص٦٠١.

نعرف أن بني عُقيل من بني عامر بن صعصعة من هوازن» ولكن الجاسر عدل عن رأيه هذا بعد ذلك في كتابه (جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد)[1] حيث قال: «ولكن بني عُقيل المذكورين هنا، ليسوا بني عُقيل الذين من بني عامر بن صعصعة من هوزان، فبنوا عامر الذين ينسبون إليهم من عبد القيس. وهم العُمُور الذين عُرفوا فيما بعد ببني عامر».

«وذكرهم ابن فضل الله العمري في مساك الأبصار، ونقل عن الحمداني ليسوا من عامر بن صعصعة، وتكرر ذكرهم في (شرح ديوان بن مقرب باسم /عامر ربيعة/ إذ عبد القيس من ربيعة»[2]. انتهى كلام الجاسر.

ويرى الأستاذ عبد الله الشباط أن الجبور من بني عُقيل بن عامر بن ربيعة من عبد القيس[3] وبنو عبد القيس هم عرب بادية البحرين منذ صدر الإسلام (وكانوا مسيطرين على الأحساء إلى حوالي القرن السابع الهجري[4].

وقد ذكر د. عبد الله الزبن[5] أن الجبور يُنسبون إلى بني خالد المخزوميين القرشيين نافياً انتسابهم إلى بني عامر، وأن مما ساعد على القول أن بني خالد من بني عامر بن صعصعة. كون بني عامر يسكنون الأحساء، وانتقال جماعة من بني خالد المخزوميين القرشيين من بيشة

---

(١) جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد، ج١، ص٢١٠، القاهرة، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

(٢) المرجع السابق، ج١، ص١٠٣، مادة الجبور.

(٣) دولة آل حميد، مقالة منشورة في جريدة اليوم، ص٩، العدد ٣٩٧٩، بتاريخ ١٣/ ٤/ ١٤٠٤هـ.

(٤) الجاسر، المرجع السابق، ج١، ص٢١٠، مادة العمور.

(٥) الاختيارات الزبنية من تراجم ذرية خالد بن الوليد المخزومية، ط١، القاهرة، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م، ص٢٢٨.

إلى الأحساء. الذين ما زالت بقيتهم في وادي ترج في بيشة. وقد تفرع من بني خالد هؤلاء بنو جبر، الذين آلت إليهم سيادة نجد والأحساء فيما بعد على يد أجود بن زامل. وقد دخل بنو جبر من بني خالد - بالحلف - في آل عامر من بني عُقيل، وبذلك حصل التوهم بأنهم من بني عامر بن صعصعة عند بعض النسّابين[1].

ومما يدعم هذا الرأي قول الشاعر والنسّابة جبر بن سيار[2] الذي كان معاصراً لبراك بن غرير آل حميد أول حكام دولة آل حميد من بني خالد إذ يقول:

أولاد بلاع ذُؤابة خالد ... ابن الوليد أزكى سلام زارها

براك بن غرير أمضى خالد ... مولى مفاخرها سنا منوارها

ويرى مثل هذا الرأي الباحث سعود الزيتون الخالدي[3] أن الجبور من آل ضبيب من الصبيح من بني خالد ونسبهم كالتالي: أبناء زامل بن حسين بن ناصر بن جبر بن نبهان بن ضبيب بن دايل بن خالد[4] بن سليمان بن محمد بن جعفر بن سعيد بن حسان بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن صبيح (جدّ آل صبيح) بن منيع بن خالد بن عبد الرحمن بن خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي القرشي.

واستشهد ببيت من قصيدة الشاعر الكليف، التي يمدح فيها مقرن بن قضيب بن زامل بن هلال بن زامل الجبري الذي يقول فيه:

---

(١) عبد الله الزبن، المرجع السابق، ص٢٢٩.

(٢) الصويان، سعد، الشعر النبطي، دار الساقي، بيروت، ٢٠٠٠م، ص٤٣٨.

(٣) محطات تاريخية، ص١٣٨، نقلاً عن صالح يوسف الداريني: مخطوطة (من أخبار القطيف) ورقة ٣٧.

(٤) الملقب بالسحاب لجوده وكرمه، وإليه ينسب آل سحبان من بني خالد.

اللي صبيحي من أولاد الضبّا   راعي عطايا ما يمن جزالها[1]

فإذا كانت سلسلة هذا النسب موثقة فلا شك في انتسابهم إلى بني خالد المخزوميين. ومما يؤيد هذا الرأي أنهم ما زالوا ينتسبون إليهم سواء من كان منهم في دول الخليج، أو بلاد الشام، أو العراق. والناس مؤتمنون على أنسابهم، سيما إذا كان هذا النسب لا يجلب منفعةً كالانتساب إلى بني هاشم مثلاً.

وهناك جدل واسع بين الباحثين والمهتمين بنسب الجبور. وليس الهدف من هذا الكتاب هو تحقيق نسب الجبور، وترجيح هذا الرأي أو ذاك، بقدر ما هو محاولة لكشف الغموض الذي يحيط بتاريخ دولتهم ونشاطهم السياسي والحضاري.

---

(١) ابن حاتم، خيار ما يلتقط من شعر النبط، ذات السلاسل، الكويت، ١٩٨١م، ج١، ص٥٦.

الفصل الثاني

قيام السلطنة الجبرية وأشهر حكامها

قيام السلطنة الجبرية

كانت إمارة بني جروان في الأحساء والقطيف، تدين بالتبعية لمملكة (هرمز). أما جزيرة البحرين فكانت تحكم مباشرة من قبل حكام يرسلهم ملك هرموز[1]. ولذا فإن خروج أي جزء من بلاد البحرين من يد بني جروان، سيخرجه من دائرة نفوذ مملكة هرموز، ولو إلى حين.

ولكن ليس لدينا تاريخ محدد لقيام سلطنة الجبور - في بلاد البحرين- يمكن الركون إليه بشكل قاطع، وكل ما يمكننا عمله هو استعراض آراء الباحثين حول الموضوع وترجيح ما نعتقد أنه أقرب للصواب.

١ • لقد ذكر الشيخ حمد الجاسر[2]: أن قيام الدولة الجبرية في آخر القرن الثامن الهجري.

٢ • وذكر سليمان صالح آل دخيل[3] أن أمراء بني زويمل (زامل) ملكوا الأحساء سنة ٨٥٠هـ ١٤٤٦م.

---

(١) الحميدان، إمارة العصفوررين، ص١٠٦، ١١٣.

(٢) الدولة الجبرية في الأحساء، ج٧، س١، ١٣٨٧/١٩٦٧، الرياض، ص٦٠١.

(٣) الدخيل، سليمان بن صالح، تحفة الألباء في تاريخ الأحساء، الدار العربية =

٣ • ويرى المستشرق الفرنسي جان أوبين، أن سيف بن زامل استولى على الأحساء عام (٨٦٤-٨٦٥هـ/ ١٤٦٠م)[١].

٤ • ويرى د.عبد اللطيف الحميدان: أن بداية قيام السلطنة الجبرية كان عام (٨٢٠هـ-١٤١٧م) على الأرجح. وهي السنة التي يفترض بها استيلاؤها على الإحساء وقراها، وانتزاعها من يد بني جروان[٢].

وقد دعم رأيه هذا بعدة قرائن وأدلة جعلتنا نميل إلى موافقته إلى ما ذهب إليه. وقبل أن نستعرض ما ذكر الحميدان من أدلة، لا بد أن نفند الآراء الأخرى السابقة:

١ • يقول المؤرخ عبد الله بن بسام: «وفي هذه السنة (٨٥١هـ) غزا زامل بن جبر - ملك الأحساء والقطيف ومعه جنود عظيمة من البادية والحاضرة، وقصد الخرج وصبح الدواسر وعايذ على الخرج»[٣].

ونفهم من هذا النص: أن زامل بن جبر كان ملكاً على الأحساء وا لقطيف عام ٨٥١هـ/ ١٤٤٧م. وربما قبل ذلك بعدة سنوات؛ لأن الاستيلاء على كل هذه المنطقة وترتيب الأمور فيها، والتفرغ للقيام

= للموسوعات ط٢، بيروت، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م، ص١٠٣.

(١) J. Aubin, le Royaume «D'ormuz au de but du xvie siecie», in mare luso Inndicum, 124.

(٢) التاريخ السياسي لإمارة الجبور، مجلة كلية الآداب، جامعة البصرة، ع١٦، ١٩٨٠م، ص٤٠.

(٣) العثيمين، عبد الله صالح، نجد منذ القرن العاشر الهجري حتى ظهور الشيخ محمد بن عبد الوهاب، مجلة الدارة، ع٤، س١، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م، الرياض، ص٦٧. نقلاً عن مخطوط تحفة المشتاق في أخبار نجد والحجاز والعراق وكان قد ألفه الشيخ أحمد بن محمد بن عبد الله بن بسام من أهل عنيزة بالقصيم وهو عالم وقاضي ومؤرخ توفي سنة ١٠٤٠هـ. ثم قام حفيده عبد الله بن محمد بن بسام المتوفي سنة ١٣٤٦هـ بإكماله وتوجد منه نسخة بخط الأستاذ نور الدين شريبة في مكتبة الأوقاف بعنيزة.

بحملات لتأديب القبائل لا يتم بين عشية وضحاها.وهذا يتعارض مع التاريخين اللذين أوردهما كل من الدخيل (٨٥٠هـ/ ١٤٤٦م)، وجان أوبين (٨٦٤هـ / ١٤٦٠م). كبداية لتأسيس دولة الجبور.

٢ • عندما ترجم السخاوي[١] لقطب الدين فيروز شاه،وصفه بأنه: ملك هرموز، والبحرين، والحسا، والقطيف. الذي أطاح بحكمه ولده سيف الدين مهمار سنة (٨١٩-٨٢٠هـ/ ١٤١٧م). وهذا أيضاً يتعارض مع التاريخ الذي افترضه الشيخ الجاسر (أواخر القرن الثامن هجري/ ق ١٤م)، كتاريخ لبداية تأسيس دولة الجبور، حيث أن البلاد بقيت خارج نفوذهم حتى سنة ٨١٩هـ على الأقل.

٣ • **نستعرض الآن أهم الأدلة التي أوردها الحميدان للتدليل على أن عام (٨٢٠هـ/ ١٤١٧م) هو بداية تأسيس الدولة الجبرية في الأحساء:**

أ • في عام ٨٢٠هـ/ ١٤١٧م قام سيف الدين مهمار بالتمرد على أبيه تهتمن الثالث فيروز شاه، وأرغمه على التنازل عن العرش. فولّد هذا التغيير توتراً في مملكة هرموز وبلاد البحرين. فالمؤرخ الهرموزي (البهمني نميديهي) يذكر لنا بأن البدو في بلاد البحرين قد انتفضوا عام ٨٢٠هـ/ ١٤١٧م، بحيث أصبح من المتعذر على القوافل سلك الطريق مابين البحرين والحجاز. وقد تساءل الحميدان[٢] هل أن البدو المشار إليهم، هم..... الجبور؟ وهل انتفاضتهم قد أدت إلى استيلائهم على الأحساء من بني جروان؟ سيما وأنهم المسيطرون على بادية الأحساء.

ب • إن ابن حجر العسقلاني حين ترجم لإبراهيم بن ناصر بن

---

(١) الضوء اللامع، ج٦، ص١٧٥، ج١٠، ص١٧٣ .

(٢) التاريخ السياسي لإمارة الجبور، ص٣٩.

جروان، وصفه بأنه صاحب القطيف، ولم يضف إلى لقبه غير هذا الإقليم. وكان هذا الوصف في حدود عام ٨٢٠هـ/ ١٤١٧م وهذا يجعلنا نفترض أن الجبور كانوا قد انتزعوا الأحساء من ابن جروان ولم يبق بيده غير القطيف[١].

ج • إن كلاً من: البحرين، والقطيف، وعمان، وقلهات، وهرموز، وغيرها، كانت قد ذُكرت ضمن المناطق الخاضعة لنفوذ ملك هرموز سيف الدين مهمار في بداية حكمه عام ٨٢٠هـ/ ١٤١٧م بينما لم يرد ذكر الأحساء ضمن ذلك. وهذا دليل آخر على أن الأحساء كانت قد خرجت قبيل عام ٨٢٠هـ/ ١٤١٧م عن دائرة التبعية لملوك هرموز، مثلما خرجت من أيدي بني جروان[٢].

ولكن يجب أن نعرف من هو مؤسس السلطنة الجبرية؟

لقد أشار كل من حمد الجاسر[٣]، ومحمد آل عبد القادر[٤]، وعبد الرحمن آل ملا[٥] أن سيف بن زامل بن جبر هو مؤسس الدولة الجبرية معتمدين على نص السخاوي[٦] (بأن سيفاً هذا قام على آخر ولاة بني جروان فقتله). ولكن نص ابن بسام الذي أشرنا إليه سابقاً، وصف زامل ابن جبر

---

(١) الحميدان المرجع السابق، ص٤٠.
(٢) نفس المرجع، ص٤٠.
(٣) الدولة الجبرية في الأحساء، مجلة العرب، ج٧، س١، (١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م) الرياض ص١٠٣.
(٤) تحفة المستفيد، ج١، ص١٢٠.
(٥) آل ملّا، عبد الرحمن بن عثمان، تاريخ هجر، ج٢، ط٢، مطابع الجواد الأحساء، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، ص١٨٧.
(٦) الضوء اللامع، ج١، ص١٩٠.

(والد سيف) بأنه ملك الأحساء، والقطيف عام (٨٥١هـ). حينما قام بحملته ضد القبائل في منطقة الخرج. وقد أخذ الحميدان بهذا الرأي[١].

وللتوفيق بين الرأيين فإن سيفاً يكون قد قام بقتل آخر ولاة بني جروان في حياة والده، وبتوجيه منه، لأنه شارك في حروب والده. ونكاد نجزم أن مؤسس دولة الجبور هو: زامل بن حسين بن ناصر بن جبر لسببين:

الأول: أن المؤرخ الغزي[٢] حينما ترجم لحفيده السلطان صالح بن سيف بن زامل، وصفه بأنه «كان من بيت السلطنة هو وأبوه وجده». وجده زامل كما نعلم.

الثاني: أن الشاعر ابن زيد حينما مدح الشيخ زامل بن حسين الجبري وصفه بأنه ملك بقوله:

ظعاين يتلن الغريري زامل
لكن حما حرجاتهم عرين
على رأي ملكٍ من عقيلٍ مجرب
لتالي المعايا الجاذيات ضمين[٣]

---

(١) الحميدان، المرجع السابق، ص٤٤.

(٢) الغزي، محمد بن محمد، الكواكب السائرة في أعيان المائة العاشرة، بيروت، منشورات الجامعة الأمريكية (١٩٤٥- ١٩٥٨)، ج١، ص٢١٥.

(٣) الصويان، الشعر النبطي، ص٣٠٨.

حكام السلطنة الجبرية المشهورون

- **الشيخ زامل بن حسين بن ناصر بن جبر (٨٢٠-٨٧٠هـ/ ١٤١٧-١٤٦٥م):**

يعتبر مؤسس السلطنة الجبرية (٨٢٠هـ/ ١٤١٧م) ويفترض أن يكون قد انتهت إليه مشيخة قبيلته قبل انتزاع حكم الأحساء من بني جروان. ويُرجح أنه قام بانتزاع القطيف من إبراهيم بن ناصر بن جروان في حدود عام (٨٤٣هـ/ ١٤٣٩-١٤٤٠م)، مستغلاً الصراع على السلطة في مملكة هرموز بين حاكم قلهات الأمير فخر الدين توران شاه الثاني، وأخيه سيف الدين مهمار ملك هرموز. ما بين عامي (٨٣٩-٨٤٣هـ/ ١٤٣٥-١٤٣٩م)، والذي انتهى بفوز الأول. ويؤكد ذلك رواية المؤرخ الفارسي، الجعفري - المعاصر للأحداث والقريب من موقع حدوثها- أن البدو استولوا على القطيف ونهبوها عام ٨٤٣هـ[1]. إن نجاح الشيخ زامل بن حسين الجبري في فرض سلطانه على كل من الأحساء والقطيف قد رافقه أيضاً بسط نفوذه على أجزاء واسعة من نجد مستغلاً النفوذ والتأييد الذي يتمتع به الجبور فيها باعتبارها ممراً لقوافل التجارة.

ذكر لنا عبد الله بن بسام خمس حملات قادها الشيخ زامل بن حسين الجبري لإخضاع قبائل نجد ووصف جيشه بأنه كان عظيماً وكان يتألف من البدو والحضر. وكانت هذه الحملات على التوالي:

١ • حملة على الدواسر وآل عايذ في الخرج سنة ٨٥١هـ/ ١٤٤٧م.

٢ • حملة على الدواسر في وادي الدواسر سنة ٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م.

٣ • حملة على الفضول في حفر العتك سنة ٨٥٥هـ / ١٤٥١م.

---

(١) الحميدان، المرجع السابق، ص٤١.

٤ • حملة على زعب والعوازم في اللّهابة سنة ٨٥٨هـ / ١٤٥٤م.

٥ • حملة على سبيع وآل مغيرة (دون ذكر المكان) سنة ٨٦٦هـ/ ١٤٦١م[١].

وكان من بين أسباب تلك الغزوات، اعتداء القبائل المذكورة على بوادٍ تابعة للجبور، أو التعرض للقوافل التجارية مابين البحرين ونجد والحجاز. وكثيراً ماتكللت تلك الغزوات بالنجاح[٢].

نجح الشيخ زامل بن حسين الجبري في فرض هيبة دولته على الجميع وتثبيت نفوذه بين البدو والحضر، في إطار من المصالح المشتركة بين الفئتين وإقامة سلطة سياسية للجبور في كل من بلاد البحرين ونجد.

وقد سكتت المصادر عن تاريخ وفاة الشيخ زامل بن حسين إلا أنه كان حياً عام (٨٦٦هـ/ ١٤٦١م). حيث قاد آخر حملة ضد القبائل الخارجة على سلطته في نجد تلك السنة[٣]. ويرجح أن وفاته كانت بعد ذلك بقليل.

• الأمير سيف بن زامل بن حسين الجبري (بعد ٨٦٦-٨٧٤هـ/ ١٤٦١-١٤٧٠م):

تذكر المصادر أن لزامل بن حسين الجبري ثلاثة أولاد هم: سيف، وأجود، وهلال. وقد لعب سيف دوراً بارزاً في حياة والده، وشاركه في صنع كثير من الأحداث، التي أدت إلى تأسيس دولة الجبور، وتثبيت سلطتها، مثل قتله لآخر ولاة بني جروان[٤].

---

(١) الحربي، فائز بن موسى البدراني، من أخبار القبائل في نجد، ج١، ص١٦. الرياض، ١٤١٦هـ.

(٢) العثيمين، عبد الله، نجد منذ القرن العاشر الهجري، ص٦٧-٦٨.

(٣) المرجع نفسه، ص٦٨.

(٤) السخاوي، الضوء اللامع، ج١، ص١٩٠.

مما جعل بعض الباحثين المحدثين يعتبرونه مؤسس الدولة الجبرية كما أسلفنا. ويرجح الحميدان[1]: أنه تولى السلطة ما بين عامي (٨٧٠-٨٧٤هـ/ ١٤٦٥-١٤٧٠م)، والمصادر تسكت عن تاريخ وفاته، وهل كانت في حياة والده أم بعده؟ ويفهم من ترجمة السخاوي[2] لأخيه أجود أن سيفاً خلف والده في السلطة ليخلفه بعد ذلك أخوه أجود بن زامل.

وسنثبت حقيقة لم يتطرق إليها أحد من الباحثين في تاريخ الدولة الجبرية أن الأمير سيف بن زامل بن حسين الجبري قتله آل مانع من العصفوريين وفيما يلي التفاصيل:

يبدو أن الجبور في بداية عهدهم، وفي أثناء فترة تأسيس دولتهم، وجدوا معارضة شديدة لحكمهم من أقربائهم العصفوريين الذين كانوا يحكمون الأحساء قبل الجروانيين. وجرت بين الطرفين عدة معارك قُتل فيها بعض زعماء الطرفين. وباستعراض بعض أبيات من القصائد التي قالها شعراء الطرفين في نقائض تتضح الصورة أكثر. فقد قال ابن زيد شاعر السلطان أجود بن زامل[3]:

فخصّوا بتسليمي كليب بن مانع	ومن لذوي دانيه عز وعماد
إن كان سيف حان أو جاه يومه	ومهد في بطن الثرى بمهاد
ما مات إلا عنك في كل لقوة	لكم عند زومات العدو سناد
طمعت وقلت القوم لا شيء خلافه	وكل على ماضي قديمه عاد
تعوض بقعا في بساتين مرغم	والأوطان في سوق العراق بلاد

---

(١) التاريخ السياسي لإمارة الجبور، ص٤٧.
(٢) المصدر السابق، ج١، ص١٩٠.
(٣) الصويان، المرجع السابق، ص٣٠٠.

فرد عليه ابن حماد شاعر كليب بن مانع من القديمات من بني عامر بقوله[1]:

وقولك سيف مات منا وهو لنا   إذا شدّ للحرب العوان شداد
فلا مات إلا عنك وأزيت عقبه   كما ثمد ما عاد فيه معاد
قضاء في عليان وفي قتل مانع   والأقلاد تدعي الخاينين رماد

يفهم من هذه الأبيات أن العصفوريين بزعامة الشيخ (مانع) - وأرجح أنه مانع بن بدران بن مانع بن عصفور - ثاروا على الجبور لاستعادة سلطتهم السابقة، فرد الجبور بزعامة سيف بن زامل، وقتلوا اثنين من زعمائهم هما مانع، وعليان. ثم قام العصفوريون بزعامة كليب بن ماجد بن بدران بن مانع بقتل سيف بن زامل ثأراً لقتلاهم وقضاءً بهم. فظنوا أن لن تقم لدولة الجبور قائمة بعد مقتله، وطمعوا باسترداد ملكهم القديم. ولكن السلطان أجود طردهم من الأحساء فلجأوا إلى البادية في أطراف العراق وصادر أملاكهم وبساتينهم في الأحساء[2].

• السلطان أجود بن زامل الجبري (٨٧٤-٩٠٢هـ/ ١٤٧٠-١٤٩٦-٩٧م):

ولد أجود في بادية الأحساء والقطيف في رمضان (٨٢١هـ/ ١٤١٨م)[3]. وقد ساهم أجود في حروب والده وأخيه سيف. ومارس قسطاً من السلطة، فبرزت مواهبه العسكرية والسياسية. وكسب شهرة أهلته لتولي مقاليد الحكم، بعد أخيه سيف بدون منازع[4].

---

(١) المرجع نفسه، ص ص ٣٠٣-٣٠٤.
(٢) للاطلاع على القصائد كاملة يمكن الرجوع إلى فصل أدبيات الجبور من الكتاب.
(٣) السخاوي، المصدر السابق، ج١، ص١٩٠.
(٤) الحميدان، المرجع السابق، ص ص٤٧، ٤٨.

حكم فترة طويلة، تقدر بثلاثين عاماً من ٨٧٤هـ/ ١٤٧٠م/ ٩٠٢هـ/ ١٤٩٦م) كانت زاخرة بالفتوحات وجلائل الأعمال. وبلغت السلطنة الجبرية في عهده أقصى قوتها واتساعها. لهذا تعتبر فترة حكمه، العصر الذهبي لهذه السلطنة. وهو أول من لقب (بالسلطان) من أسرة الجبور الحاكمة. وقد وصفه مؤرخ المدينة السمهودي[١]، الذي كان معاصراً له بأنه رئيس أهل نجد ورأسها، سلطان البحرين والقطيف، فريد الوصف والنعت في جنسه صلاحاً، وإفضالاً وحسن عقيدة، أبو الجود أجود بن جبر أيده الله تعالى. وذكر السخاوي[٢] بأن أجود قد خلف أخاه سيفاً، واتسعت مملكته، حيث شملت البحرين، وعمان، ومملكة هرموز، وأنه رئيس نجد وذو أتباع يزيدون على الوصف، مع فروسية تعددت في بدنه جراحات كثيرة بسببها.

تجاوزت شهرة السلطان أجود حدود جزيرة العرب، وطارت شهرته في الآفاق مع الحجاج، وتجار القوافل، وتجار البحر، حتى وصلت إلى مملكة الدكن البهمنية في الهند. فراسله وزيرها (محمد القاواني)، طالباً منه: إقامة علاقات صداقة وتعاون بين الدولتين. ويعتذر له عن حادثة قرصنة بحرية، تعرض لها بعض رعايا السلطان أجود، قرب الشواطئ الهندية، وقد استعمل في مخاطبته ألقاباً منها: (الملك الأعظم، مالك البر واليم... ملك ملوك العرب، سلطان أجود....) وذكر عبارات (.. الجناب الأميري.... الملكي الكبيري....)[٣].

وقد عاش إلى حوالي ٩١٢هـ/١٥٠٦م. حيث ذكر أنه حج تلك

---

(١) وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج٣، ط٤، بيروت، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، ص١٠٩٣.

(٢) الضوء اللامع، ج١، ص١٩٠.

(٣) عبد اللطيف الحميدان، مكانة السلطان أجود بن زامل الجبري، مجلة الدارة، ع٤، س٧، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، الرياض، ص٦٢، ٦٤، ٦٦. انظر الرسالة ص٣٨٦.

السنة. ويرجح أنه تنازل عن الحكم لولده حوالي عام ٩٠٢هـ/١٤٩٦م) لكبر سنه، أما بالنسبة لفتوحاته فسنأتي على ذكرها فيما بعد.

• السلطان: محمد بن أجود بن زامل الجبري (٩٠٢هـ/١٤٩٧م-٩١٧هـ١٥١١م):

تولى الحكم بعد أبيه أجود، وليس لدينا ما يفيد بتحديد بداية حكمه، أو نهايته. ولكن الذي نعرفه أنه في عام (٩١٢هـ/١٥٠٧م) كان يحمل لقب سلطان البحرين، والأحساء، والقطيف[١]. وهي نفس السنة التي حج فيها والده[٢]. والراجح أن والده قد تنازل له عن الحكم قبل هذا التاريخ نظراً لكبر سنه، حيث يذكر السخاوي[٣]: أنه ولد عام (٨٢١هـ/١٤١٨م). استمر السلطان محمد بن أجود في الحكم إلى حوالي سنة (٩١٧هـ/١٥١١-١٥١٢م) على الأرجح.

وقد تزامنت فترة حكم السلطان محمد بن أجود، مع بداية ظهور نشاط البرتغاليين في مياه الخليج وانتشارهم في البحار العربية.

ومع أن المعلومات قليلة جداً عن الأحداث التي واجهتها سلطنة الجبور في عهد السلطان محمد بن أجود. إلا أنه كان على جانب كبير من القوة وكثرة الأتباع، حيث ذُكر أنه في سنة (٩١٢هـ/١٥٠٧م) كثرت غارات البدو على مدينة جدّة ونهبوها واضطرب حبل الأمن، وسادت الفوضى في تلك المناطق بسبب اختلاف الأشراف في مكة وضعفهم فاستنجد شريف مكة بركات بن محمد بالدولة الجبرية طالباً المساعدة

---

(١) حمد الجاسر، الدولة الجبرية، ص٦٠٥.

(٢) الجزيري، عبد القادر، بن محمد، درر الفرائد المنظمة في أخبار الحج وطريق مكة المعظمة، ط١، القاهرة ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م، ص٣٥٦.

(٣) الضوء اللامع، ص١٩٠.

لفرض الأمن والنظام في البلاد. وفعلاً لبى السلطان محمد بن أجود طلبه وذكر ابن فرج هذه الحادثة بقوله[1]:

في «١٧ ذي الحجة سنة ٩١٢هـ/١٥٠٧م وصل إلى مكة، سلطان البحرين والبرين والأحساء والقطيف محمد بن أجود بن جبر، في طائفة من عسكره، وكان عددهم خمسين ألفاً بحيث ملأوا السهل والوعر وكان وصولهم بمكاتبة من المرحوم سيد بركات بن محمد، لقتال من تقدم ذكرهم من أهل الزيغ والعناد. . . .، وقد دمرهم بعون الله الكبير المتعال، وكفى المؤمنين شر القتال، وطافوا بالبيت وتحللوا من الإحرام، ورجعوا إلى بلادهم، من غير ضرر لأحد من الأنام. . .». وهذا بحد ذاته يدل على أن دولة الجبور لا تزال أكبر قوة في الجزيرة العربية، وذات نفوذ واسع في جميع أجزائها وأن هذه القوة العسكرية كانت قوة منظمة منضبطة على الرغم من ضخامتها.

• السلطان: صالح بن سيف بن زامل الجبري (٩١٧هـ/١٥١١م- ٩٢٢هـ/١٥١٦م):

انفرد المؤرخ الغزي[2] بالإشارة الصريحة إلى تولي صالح بن سيف بن زامل الجبري السلطنة، حيث ترجم له ووصفه بأنه «السلطان بن السلطان، متملك بلاد بني جبر، كان من بيت السلطنة هو وأبوه وجده».

ويبدو أن أبناء السلطان أجود الآخرين لم يكن بينهم من يملك شخصية قوية تمكنه من الوقوف في وجه الطامعين بالسلطة من أبناء عمومته. وحسب التقاليد القبلية انتقلت السلطة إلى الشخص الأقوى من

---

(١) ابن فرج، عبد القادر بن أحمد: السلاح والعدة في تاريخ بندر جدة، تحقيق علي محمد عمر، القاهرة، ص٤١.

(٢) الكواكب السائرة، ج١، ص٢١٥.

أبناء الأسرة الحاكمة. وبذلك انتقل الحكم من بيت أجود إلى بيت أخيه سيف.

استلم السلطان الجديد صالح بن سيف السلطة في ظل أوضاع صعبة، ومخاطر جمة كانت تحيط بدولته، نتجت عن احتلال البرتغاليين لمملكة هرمز التي تتحكم في مدخل الخليج العربي وتجارته البحرية مع الشرق. خاصة وأن هذه الأحداث قد تزامنت مع ظهور دولة شيعية في إيران، ذات أطماع توسعية في المنطقة تلك هي الدولة الصفوية. الأمر الذي زاد في تعقيد الأوضاع في الخليج.

لم تكن دولة الجبور بالطبع، بمعزل عن تلك التحديات، بل واجهت ما هو أسوأ، وذلك بتعرضها لغزو هرموزي جديد أدى إلى انتزاع البحرين والقطيف سنة ٩١٧هـ/ ١٥١١م[١]. ويحتمل أن هذا الغزو وقع بعد وفاة السلطان محمد بن أجود مباشرة. مستغلين بذلك فترة الصراع على السلطة، قبل أن تستقر الأمور لصالح السلطان الجديد. وإذا ما صح هذا الاحتمال فإننا نوافق د.الحميدان الرأي على أن يُتخذ من هذا الحدث بداية لحكم السلطان صالح بن سيف[٢]. وقد وصفه ابن العماد الحنبلي[٣]: «بأنه كان مالكي المذهب فقيهاً متبحراً في الفقه والحديث، وله مشاركة جيدة في الأصول والنحو، وكان محباً للعلماء والصلحاء، شجاعاً مقداماً عادلاً في ملكه، صالحاً كاسمه».

---

(١) الحميدان، عبد اللطيف، الصراع على السلطة في دولة الجبور بين المفاهيم القبلية والملك، دراسات تاريخية، ج٢، منشورات كلية الآداب، بجامعة الملك سعود بالرياض، ط١، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، ص ص ٥٩-٦٠.

(٢) الحميدان، إمارة الجبور، ص٦٠، نقلاً عن

Castanheda, History do desvobrinetop
Conquista do India Pelos portuquecess.
(Coimbro, 1928) Tomo, 11, Livro, 111, Cap Lxxi, P.178

(٣) شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج٨، دار الآفاق، بيروت، ص١٧٣.

ويبدو أن السلطان صالح قد قرب العلماء والفقهاء في دولته واعتمد عليهم في مشورته، وأبعد الشعراء عن مجلسه، إذ لم نلحظ في أدبيات الجبور- التي وصلت إلينا - أي قصيدة في مدحه. بينما تكثر مدائح الشعراء فيمن جاءوا قبله أو بعده من حكام الجبور وأمرائهم.

بعد مرور ثلاث سنوات على حكم السلطان صالح، وبالذات في حدود منتصف عام ٩٢٠هـ/ ١٥١٤م. توفي ملك هرمز، كما توفي أيضاً وزيره القوي خواجة عطار؛ فثار عرب البحرين بقيادة الجبور في إثر ذلك، ضد حكم الهرموزيين، واستطاعوا تحرير بلادهم، ومن ثم إعادتها إلى سلطان الدولة الجبرية(١). ويبدو أنه بعد هذا الحدث، تم تسوية هذا النزاع بين ملك هرموز الجديد وبين سلطان الجبور الجديد بدفع مبلغ سنوي محدد لملك هرموز لقاء احتفاظ سلطان الجبور بحكم البحرين والقطيف(٢). ويستدل على هذا الاتفاق من خلال رسالة سلطان الجبور، التي حملها مبعوثه - مع هدية عبارة عن ثلاثة رؤوس من الخيل- إلى جزيرة هرموز في أواخر صيف عام ٩٢١هـ/ ١٥١٥م. للترحيب بالحاكم البرتغالي للهند (البوكيرك)، الذي وصل إلى هناك على رأس أسطول ضخم، حيث تضمنت الرسالة إلى الأخير، قوله: بأن العلاقة بينه وبين ملك هرموز حسنة، وأنهما على وفاق تام. وبعد شهر أرسل البوكيرك إلى السلطان صالح رسوله إلى جزيرة البحرين، ويحمل بعض الهدايا مثل: الأرز، والحرير، وبعض الذهب(٣).

---

(١) الحميدان، الصراع على السلطة في دولة الجبور، ص٦٢.

National Archives of Rhodesia. Documents of the Portuguese in Mozambique and central
Africa. (Lisbona, 1965) vol. IV pp.255-59 esp.

(٢) الحميدان، المرجع السابق، ص٦٢-٦٣.

(٣) كير فران، مونيك، البحرين في القرن السادس عشر، جزيرة حصينة، ترجمة محمد الخزاعي، منشورات وزارة الإعلام بمملكة البحرين، المؤسسة العربية للدراسات =

ويبدو أن هذه التسوية قد أثارت استياء عدد من زعماء البلاد، الذين نظروا إليها على أنها إهانة لهم، ولبلادهم، بعد أن تم انتزاع البحرين والقطيف بقوة السلاح من ملك هرمز، الذي فقد معظم سلطانه بعد أن احتل البرتغاليون بلاده. بينما يرى السلطان صالح أن في سياسة التقرب من البرتغاليين والتعامل معهم مباشرة محاولة يهدف من ورائها إلى إبطال التحالف الذي كان يختمر في هرمز بين البرتغاليين والهرموزيين والصفويين ضد بلاده.

تأزمت العلاقة بين السلطان صالح وابن أخته مقرن بن زامل بن أجود عند بداية عام ٩٢٢هـ/١٥١٦م. حيث أطيح به بعد معارك دامية بين الطرفين، ذكر الغزي[١] إحداها بقوله: «وقد وقع بينهما وقعة عظيمة تشهد لصالح بالشجاعة التي لا توصف..... إذ أن صالحاً قد كرَّ على مقرن وعسكره، وكانوا جمعاً غفيراً، بنفسه وكان خارجاً لصلاة الجمعة، ولا أهبة معه ولا سلاح، فكسرهم». وتولى الحكم السلطان مقرن بن زامل بن أجود.

يبدو أن السلطان صالح قام بمحاولة أخرى لاستعادة سلطانه عام ٩٢٥هـ/١٥١٩م بمساندة بعض علماء بلده مثل: القاضي محمد بن عبد العزيز بن زقزق، ولكن السلطان مقرن هزمهم وفشلت المحاولة[٢].

لما يئس السلطان صالح من استرداد سلطانه قدم إلى دمشق في سنة ٩٢٧هـ/١٥٢١م. فأخذ عن علمائها، وكان متخفياً غير منتسب إلى سلطة

= والنشر، بيروت، ٢٠٠٤م، ص٢٠.

(١) الكواكب السائرة، ج١، ص٢١٥.

(٢) ابن فهد، جار الله بن عبد العزيز، كتاب نيل المنى في ذيل بلوغ القرى لتكملة إتحاف الورى، تحقيق محمد الحبيب الهيلة، مؤسسة الفرقان، ط١، بيروت، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م، ج١، ص ٢٠٥، ٤٢٢.

وسمى نفسه عبد الرحيم، ثم حج وعاد إلى بلاده وتوفي فيها سنة ٩٣٠هـ/ ١٥٢٤م[١].

• السلطان: مقرن بن زامل بن أجود الجبري (٩٢٢هـ/ ١٥١٦م-٩٢٧هـ/١٥٢١م):

أصبح مقرن بن زامل بن أجود، سلطان الجبور، خلفاً لخاله، وابن عم أبيه صالح بن سيف بن زامل سنة ٩٢٢هـ/١٥١٦م بعد أن أقصاه عن الحكم بالقوة، وقد استشهد الدكتور الحميدان[٢]، وغيره من الباحثين[٣] بأبيات من قصيدة الكليف التي يخاطب فيها الأمير مقرن بن قضيب على أنها في مدح مقرن بن زامل ويحثه فيها على أخذ الحكم من خاله صالح بن سيف. ومن هذه الأبيات قوله:

تل العشيرة مقرن زاكي الوفا   حمال من جلَّ الخطوب ثقالها
قد شاف بالأعمام مالا يرتضي   بالدار واقفى زاهداً بأعمالها
فإن كان تبغى ملك هجر صادق   فاضرب بحد السيف روس رجالها

ولكننا نرى ان هذه الأبيات قيلت في مقرن بن قضيب وسنأتي على ذلك مفصلاً فيما بعد.

كان السلطان مقرن قوياً حازماً، استطاع أن يحافظ على وحدة البلاد، وهيبة السلطان. حيث امتنع عن دفع أي مبالغ مالية من إيرادات البحرين إلى ملك هرمز. الذي أخذ بدوره يثير الشكاوى لدى البرتغاليين ضده، بحجة عجز مملكة هرمز عن تسديد الجزية للبرتغاليين بسبب تمرد

---

(١) ابن العماد، شذرات الذهب، ج٧، ص١٧٣.

(٢) إمارة الجبور، ص٧٤.

(٣) العثيمين، عبد الله، الشعر النبطي، جريدة الرياض العدد ١١٩٢٩ وتاريخ ٢٦/١١/١٤٢١هـ.

السلطان مقرن[1]. الذي ذهب أبعد من ذلك باستيلائه على سفن تجارية كانت في طريقها من هرمز إلى البصرة. ويؤكد المؤرخ البرتغالي باروش، موقف مقرن هذا بقوله: إن مقرن بن زامل حفيد أجود، لم يكن يرفض دفع الأتاوة إلى ملك هرمز فحسب، بل أنه يرى بأن إيرادات البحرين إذا ما دفعت، فإنها ستؤول إلى الرئيس شرف الدين الفالي، المتحكم الحقيقي بمملكة هرمز. في حين أنه أحق بالبحرين وبما تغله من إيرادات، لأنها جزء من بلاده التي ورثها عن آبائه[2].

لقد استطاع السلطان مقرن أن يُخضع القبائل النجدية التي تمردت على السلطة في عهده مثل قبائل: لام وخالد من طيء، ويزيد ومزيد من بني حنيفة وغيرهم حسب ما يفهم من قصيدة جعيثن اليزيدي الحنفي- من أهل الجزعة، قرب الرياض - التي مدح بها مقرن بن زامل. وهي بالعامية القريبة من الفصحى جاء فيها:

حمئ بالقنا هجراً إلى ضاحي اللوى إلى العارض المنقاد نابي الفرائد
ونجد رعى ربعي زاهي فلاتها على الرغم من ساداتِ لامٍ وخالدِ[3]
وساداتِ حجرْ من يزيدٍ ومزيد قد اقتادهم قود الفلا بالقلائد[4]

وقد أورد ابن إياس[5] في حوادث (٩٢٨هـ) ترجمة للسلطان مقرن بن زامل بعد أن استشهد أواخر عام (٩٢٧هـ/ ١٥٢١م) وهو يصارع

---

(١) كير فران: المرجع السابق، ص ٢١.
(٢) الحميدان، الصراع على السلطة في دولة الجبور، ص٦٧. نقلاً عن:
J. de Barros, da Asia. (Lisbona, Printed 1973) Decada. 111. Liv. VI Cap. v. p.27.
(٣) خالد المذكورين هنا من طيء وليسوا من خالد الذين يتزعمهم آل حميد الذين يرجح أن زعيمهم حميد هو ابن أخت السلطان مقرن بن زامل الجبري.
(٤) حمد الجاسر الدولة الجبرية، ص٦٠٧، والفلا: جمع فلو وهو ابن الفرس.
(٥) بدائع الزهور في وقائع الدهور، ط٣، القاهرة، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، ج٥، ص٤٣١.

البرتغاليين لصدهم عن جزيرة البحرين جاء فيها قوله: «وأشيع قتل الأمير مقرن أمير عرب بني جبر، متملك جزيرة البحرين إلى بلاد هرمز الأعلى. وكان أميراً جليل القدر، معظماً مبجلاً، في سعة من المال، مالكي المذهب، سيد عربان الشرق على الإطلاق، وكان أتى إلى مكة وحج في العام الماضي، وكان يجلب إلى مكة اللؤلؤ والمعادن الفاخرة من المسك والعنبر والعود القماري، والحرير الملون، وغير ذلك من الأشياء التحفة. قيل أنه لما دخل إلى مكة والمدينة تصدق على أهل مكة والمدينة بنحو خمسين ألف دينار. فلما حج ورجع إلى بلاده، لاقته الفرنج.... وقتلوه.... وملكوا جزيرة البحرين... وكان ذلك من أشد الحوادث في الإسلام وأعظمها».

وتذكر المصادر أن أمير مكة قد تزوج بابنة السلطان مقرن، كما تذكر أن حاكم القطيف وجزيرة البحرين، الشيخ حميد ابن أخت السلطان مقرن. ولكن هل كان حميد هذا ابن زعيم قبيلة بني خالد؟ لأن سلسلة زعماء بني خالد تنتهي إلى جد اسمه حميد، فيقال آل حميد؟[١]

وعلى أي حال فالمصاهرات المتبادلة بين الزعماء غالباً ما كان يقصد بها تقوية مراكزهم.

وسنأتي على ذكر جهاد السلطان مقرن واستشهاده عند حديثنا عن صراع الجبور مع الغزو البرتغالي في الفصل الثالث من هذا البحث.

خلفاء السلطان مقرن ونهاية السلطنة

ترك استشهاد السلطان مقرن بن زامل بن أجود فراغاً سياسياً كبيراً في سلطنة الجبور عجز خلفاؤه أن يملأوه. حيث دبَّ التنافس حول الزعامة في محورين رئيسيين، أحدهما: كانت تتركز زعامته في أولاد السلطان أجود

(١) الحميدان إمارة الجبور، ص٧٨.

بن زامل وأحفاده في الأحساء، والثاني في أولاد أخيه هلال بن زامل بن حسين الجبري، في عُمان الشمالي، في واحات تُؤام (البريمي)[1].

وقد ذكر لنا الجزيري[2] في (الدرر) أسماء خلفاء السلطان. مقرن مع ذكر فترات حكمهم القصيرة، التي لم تتجاوز في مجموعها الخمس سنوات وهم على التوالي:

● علي بن أجود بن زامل (٩٢٧هـ/١٥٢١م):

انتقلت السلطة إلى علي بن أجود. عم السلطان مقرن بعد استشهاده مباشرة عام ٩٢٧هـ/ ١٥٢١م.

وقد مدحه الشاعر عامر السمين بقوله:

علي بن أجود سلطان قيس   مجار الجود كهف للضعاف

ولكن علياً لم يستطع الاحتفاظ بالسلطة لأكثر من شهرين[3].

● ناصر بن محمد بن أجود (٩٢٧-٩٣٠هـ/١٥٢١-١٥٢٤م):

تولى السلطنة بعد عمه علي، وبقي في السلطنة لمدة ثلاث سنوات[4] وهي أطول مدة بين حكام هذه الفترة.

ويبدو أن السلطنة الجبرية في عهده قد استعادت بعض توازنها، بفضل حنكة وشجاعة ابن عمه، الشيخ حسين بن سيف بن أجود الجبري. وتذكره بعض المصادر والمراجع باسم حسين بن سعيد[5]. ويبدو من اسمه أنه ابن عم السلطان ناصر بن محمد بن أجود.

---

(١) الحميدان، المرجع السابق، ص٨٣.

(٢) الدرر الفرائد، ج٣، ص١٧٢٨.

(٣) ابن فهد، المصدر السابق، ج١، ص٤٢١، الصويان، مرجع سابق، ص ٣٢٦.

(٤) ابن فهد، المصدر السابق، ج١، ص ص٤٢١-٤٢٢.

(٥) العناني، أحمد، البرتغاليون في البحرين وحولها، مجلة الوثيقة، ع٤، س٢، =

قاد الشيخ حسين بن سعيد (سيف) ثورة أهل البحرين ضد البرتغاليين في جزيرة البحرين بعد بضعة أشهر من سقوطها في أواخر عام ٩٢٧هـ/ ١٥٢١م واحتل قلعتها، وألقى القبض على الحاكم البرتغالي فيها، وجنوده وموظفيه، وشنقهم على أشجار النخيل، وفر من نجا منهم عن طريق البحر. وأعاد البحرين إلى سيادة الجبور.

بعد سنتين قاد حملة قوامها (٥٠٠) فارس و(٤٠٠٠) راجل وهاجم بها مدينة صحار العُمانية الخاضعة لحكم ملك هرمز فانتزعها منه بمساعدة الأسطول البرتغالي، الذي وصل للتو لإخضاع مملكة هرمز. وأصبحت تحت حكم الجبور المباشر عام ٩٢٩هـ/ ١٥٢٣م. وسنأتي على ذكر ذلك مفصلاً فيما بعد وقد وصفته المصادر البرتغالية بأن نفوذه يمتد من البحرين إلى سواحل عمان وظفار[١]. ثم تسكت المصادر عن ذكر هذا القائد حسين بن سعيد (سيف) الجبري بعد سنة ٩٢٩هـ/ ١٥٢٣م، ويبدو أنه توفي بعد ذلك التاريخ وبذلك يكون السلطان ناصر بن محمد بن أجود قد فقد ذراعه اليمنى بفقده. حيث خضعت البحرين إلى السيادة البرتغالية الهرموزية المشتركة من جديد. إذ تذكر إحدى الوثائق أن حاكم البحرين عام ٩٣٣هـ/ ١٥٢٧م اسمه بدر الدين بن محمد الفالي، وهو تابع لملك هرمز[٢]. وبذلك يكون السلطان ناصر بن محمد قد فقد أهم موارده المالية من البحرين وربما القطيف. فتميزت السنة الأخيرة من حكمه بالضعف والفوضى، فأدرك عجزه

= ص٩٨، البحرين ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م؛ الملا المرجع السابق، ج٢، ص٢٠٦-٢٠٧؛ كير فران، المرجع السابق، ص٢٩.

(١) Sausa, OP. cit. vol. 1, pp 265-267.

(٢) انظر رسالة الرئيس شرف الدين لطف الله الفالي إلى ملك البرتغال التي نشرها الحميدان، إمارة آل شبيب في شرق جزيرة العرب، الرياض، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م، ص١٢٣؛ كيرفان، المرجع السابق، ص٣٠.

وإفلاسه، فتنازل عن السلطنة إلى قطن بن علي بن هلال بن زامل مقابل مبلغ من المال[١].

- **قطن بن علي بن هلال** (٩٣٠-٩٣١هـ/١٥٢٤-١٥٢٥م):

بعد تولي قطن بن علي السلطنة، تكون السلطة قد خرجت من بيت السلطان أجود بن زامل إلى بيت أخيه هلال بن زامل. الذين يتركز نفوذهم في عمان الشمالي كما ذكرنا. وحكم لفترة لم تتجاوز السنة ثم توفي[٢].

- **علي بن قطن بن علي بن هلال بن زامل** (٩٣١هـ/١٥٢٥م):

بعد موت قطن بن علي، ولي الأحساء ابن لقطن لم يذكر اسمه، ابن فهد[٣]. ويذكر السيابي[٤]: أن لقطن هذا ثلاثة أولاد هم: قطن، وناصر، وعلي. ويرجح الحميدان[٥]: بأنه علي.

ومهما يكن من أمر، فإن ابن قطن هذا عجز عن الولاية، واضطر إلى التنازل عنها إلى عمه قضيب بن زامل بن هلال[٦].

- **قضيب بن زامل بن هلال** (٩٣١-٩٣٢هـ/١٥٢٥-١٥٢٦م):

زال حكم الجبور في الأحساء على يد قضيب هذا بعد أن حكم لمدة سبعة أشهر. كانت البلاد فيها قد وصلت إلى منتهى الضعف والفوضى

---

(١) ابن فهد، نيل المنى، ج١، ص٤٢١-٤٢٢.

(٢) نفس المصدر، ج١، ص٤٢٢.

(٣) نيل المنى، ج١، ص٤٢٢.

(٤) السيابي، سالم بن حمود، عمان عبر التاريخ، ط٤، ٢٠٠١م، ج٣، ص ص ١٤٨، ١٥٤، ١٦٧.

(٥) إمارة الجبور، ص٨٤.

(٦) ابن فهد، المصدر السابق، ج٢، ص٤٢٢.

السياسية والأمنية، فاستنجد بعض الجبور بالشيخ راشد بن مغامس بن صقر بن محمد بن فضل آل شبيب، زعيم قبيلة المنتفق، ليعينهم في ضبط الأمن والنظام في بلاد البحرين، لضعف حالهم، فقوي عليهم وأخذ الأحساء بالحرب من قضيب بن زامل بن هلال[1].

وبذلك يكون قد انتهى الدور الأول لحكم الجبور في المنطقة.

(١) المصدر السابق والصفحة.

الفصل الثالث

توسع الجبور وصراعهم مع القوى الخارجية

● نشوء مملكة هرمز:

تَذكر المصادر الفارسية أن مؤسس مملكة هرمز شيخ عربي اسمه (محمد) هاجر إلى الساحل الشرقي من الخليج في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، وأسس مملكة تجارية في مدينة هرمز وضرب عملة باسمه[١]. ولكن هذه المدينة دمّرها التتار عام ٧٠٠هـ/ ١٣٠١م، فهرب حاكمها آنذاك (بهاء الدين أياز السيفي) مع عائلته وشعبه واتخذ من جزيرة (جيرون) الواقعة في مدخل الخليج العربي مقراً له، وسمّاها (هرمز) أيضاً تيمناً بمدينته القديمة[٢].

أصبحت جزيرة (جيرون=هرمز) مركزاً تجارياً هاماً بسبب موقعها الجغرافي المتميز، تتحكم بتجارة الهند الذاهبة إلى أوربا عن طريق موانئ الخليج العربي. وكان سكانها خليط من الفرس، والعرب، والهنود وغيرهم، جمعتهم المصالح الاقتصادية.

---

(١) إقبال، عباس، مطالعاتي درباب بحرين وجزاير وسواحل خليج فارس، طهران ١٩٤٩م، ص ص٥٦-٥٧.

(٢) فلسفي، نصر الله، إيران وعلاقاتها الخارجية في العصر الصفوي، ترجمة محمد فتحي الريس، القاهرة، ١٩٨٩م، ص ص٨-١٠.

وبسبب ثراء مملكة هرمز كونت جيشاً قوياً من المرتزقة، استطاعت أن تُخضع به بعض الموانئ على الساحل العُماني، وبعض الجزر والموانئ مثل جزيرة البحرين، وقيس وميناء القطيف، لتحافظ على سلامة التجارة في الخليج. وبلغت حصيلة مملكة هرمز من الضرائب التي تجنيها من المناطق التابعة لها (١٩٨٠٠٠) أشرفي سنوياً[١]. ولكنها بالرغم من ذلك كانت تدفع الأتاوات للقوى السياسية الكبرى، لتحافظ على استقلالها، مثل الدولة الصفوية في إيران، ثم البرتغاليين بعد ذلك.

وإلى جانب الأسرة الحاكمة كان هناك أسرة الفاليين من الفرس، التي تتوارث مناصب الوزارة والإدارة وقيادة الجيش في هذه المملكة. وكانوا يُعتبرون الحكام الفعليين فيها، وفي بعض الجزر والموانئ التابعة لها مثل: البحرين، وقلهات وغيرها[٢].

وتُبين الأحداث أن علاقتهم كانت عدائية مع الحكام العرب في الخليج مثل: الجبور، وآل شبيب، وأئمة عُمان، وغيرهم.

---

(١) السلمان، محمد حميد، الغزو البرتغالي للجنوب العربي والخليج، مركز زايد للتراث والتاريخ، العين، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، ص١٠٩-١١٠

والدينار الأشرفي تم ضربه في عهد السلطان المملوكي الأشرف برسباي الذي تولى الحكم في مصر سنة ٨٢٥هـ/ ١٤٢٢م. وهذا الدينار يعادل الأفرتيني الإيطالي في الوزن والعيار. انظر: الشافعي، حسن محمود، العملة وتاريخها، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٠م، ص١٠٩.

(٢) الحميدان، إمارة آل شبيب، ص١٣٣ وبعدها.

- **توسع الجبور في ممتلكات هرمز في عهد السلطان أجود بن زامل:**

سبق وأن ذكرنا أن سائر بلاد البحرين كانت خاضعة لتبعية مملكة هرمز أبان حكم بني جروان.

وقد رجحنا أن الشيخ زامل بن حسين، انتزع الأحساء في عام (٨٢٠هـ/ ١٤١٧م) والقطيف في عام (٨٤٣هـ/ ١٤٣٩-٤٠م) من ولاة بني جروان، وخروجها من دائرة نفوذ مملكة هرمز. دب الضعف في هذه المملكة، بعد وفاة فخر الدين شاه، حيث دار صراع بين أولاده الأربعة على العرش، وهم:

/ مقصود، شهاب الدين، سلغور، وشاه ويس/. وقد اغتنم الفرصة السلطان الجبري الطموح أجود بن زامل للتوسع على حساب مملكة هرمز. ويرجح أنه انتزع جزيرة البحرين في هذه الظروف من مملكة هرمز. في حدود عام (٨٨٠هـ/ ١٤٧٥م)[١]. ولجزيرة البحرين[٢] أهمية خاصة في الخليج العربي. حيث كانت محور صراع الشعوب المطلة على الخليج منذ أقدم العصور. وقد اكتسب هذا الصراع أهمية خاصة في عهد السلطنة الجبرية، لأنه عايشها وكان سبباً لزوالها.

أسفر الصراع على عرش مملكة هرمز عن فوز سلغور بعد إقصاء أخويه (مقصود، وشهاب الدين). ويبدو أنه أخذ يطالب بحقوق مملكته في تبعية كل من القطيف وجزر البحرين كما سنرى، ولكن سلغور لم يكن بأحسن حظ من أخويه إذ ثار عليه أخوه الأصغر شاه ويس وأقصاه عن العرش.

---

(١) النجدي، أحمد بن ماجد: كتاب الفوائد في أصول البحر والقواعد، دمشق، ١٩٧١م، ص ٣٠٢.

(٢) انظر وصف جزيرة البحرين في عهد السلطان أجود في الملاحق، ص٢٦٨.

لم يكن أمام سلغور غير التوجه إلى الأحساء طالباً للمساعدة من السلطان أجود بن زامل. بعد أن خذله والد زوجته سليمان النبهاني حاكم عمان الداخل[1].

وجد أجود فرصة ثمينة للتدخل في شؤون مملكة هرمز وإملاء شروطه على سلغور. فأبدى أجود استعداده لمساعدة سلغور شرط أن يتنازل الأخير له عن كافة حقوقه وادعاءاته في القطيف وجزر البحرين وأن تعود ملكيتها لدولة الجبور. لم يكن أمام سلغور غير الموافقة على شروط أجود هذه. ولم يطالب بغير أن يترك له ملكية بعض البساتين في جزيرة البحرين. فأجيب إلى طلبه وتم توقيع اتفاق مكتوب بموجب ذلك بين الطرفين.

لقد ذكر الربان أحمد بن ماجد النجدي[2] هذه الاتفاقية فقال: «و هي في تاريخ الكتاب (ألفه حوالي عام ٨٩٥هـ/ ١٤٩٠م) لأجود بن زامل بن حسين العامري. أعطاه إياها هي والقطيف السلطان سرغل (سلغور) بن تورا نشاه على أن يقوم بنصرته على إخوته ويُملّكه جزيرة هرمز، وكتب بها عليه حُجَّة، واستثنى بعض بساتينها، ففعل له ذلك. وقام بنصرته وملّكه هرموز، و أخذ القطيف والبحرين في عام ٨٨٠هـ/ ١٤٧٥م».

وبموجب هذا الاتفاق قام أجود بن زامل عام ٨٨٠هـ/ ١٤٧٥م بحشد قواته في جلفار (رأس الخيمة) بقيادة ولده زامل - الذي كان يحكم ميناء سلوة، وشبه جزيرة قطر نيابة عن والده - وانطلقت هذه القوات على ظهر سفن إلى جزيرة جيرون (هرمز) يرافقها سلغور وتمكنت من احتلالها، والقبض على شاه ويس ووزيره خواجة عطار. وتنصيب سلغور ملكاً على هرمز[3].

---

(١) الحميدان. المرجع السابق، ص٤٨.

(٢) انظر كتاب الفوائد، ص٣٠٢.

(٣) الحميدان، المرجع السابق، ص٤٨-٥٠.

بعد أن وصل سلغور إلى العرش، واستقرت له الأمور، يبدو أنه ندم على تنازله عن حقوق مملكته في البحرين. حيث حرم من وارداتها في الوقت الذي كانت فيه خزينته تعاني انخفاضاً كبيراً؛ بسبب ازدهار تجارة البحر الأحمر على حساب الخليج العربي.

يضاف إلى ذلك الشهرة الواسعة لأجود بن زامل، إذ لُقِّب بسلطان البحرين والقطيف والأحساء ورئيس أهل نجد. وهذه البلدان كانت تضاف إلى ألقاب ملوك هرمز سابقاً - عدا نجد - ويفخرون بحملها كما أسلفنا.

طالب سلغور السلطان أجود بدفع مبالغ سنوية من واردات البحرين باسم حقوق التبعية. لكن أجود رفض ذلك وتمسك بالاتفاقية المبرمة بينهما. فلجأ سلغور إلى القوة. وأرسل عدة حملات بحرية لاحتلال جزيرة البحرين. كانت إحداها بقيادته، وأخرى بقيادة وزيره ريس نور الدين الفالي، والثالثة بقيادة إبنه تورانشاه عام (٨٩٠هـ/ ١٤٨٥م). ولكن الجبور تصدوا لهذه الحملات ببسالة وأحبطوها بقيادة السلطان أجود[١]. ولكن تحكّم مملكة هرموز بمضيق (هرمز) - بوابة الخليج - أضر بالمصالح الاقتصادية للسلطنة الجبرية، مما جعل السلطان أجود يميل إلى تسوية الموضوع باتفاقية جديدة. وقد نصت هذه الاتفاقية على أن تبقى جزر البحرين تحت حكم الجبور. وكتسوية لهذا النزاع يقوم الجبور بدفع مقررات سنوية من واردات هذه الجزر تقدر بمبلغ (٥٠٠٠) خمسة آلاف دينار أشرفي (زفاران)[٢].

نستطيع أن نستشف من هذه الاتفاقية، والأحداث التي تلتها أن هذا الاتفاق بقي محترماً إلى حدٍ كبير من قبل الطرفين حتى بداية القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي.

---

(١) الحميدان، إمارة الجبور، ص٥٠-٥١.

(٢) كيرفران، المرجع السابق، ص١٤، Aubin, Ibid, P.108

تمكن خلالها الجبور - مستفيدين من تفوقهم البري - من التغلغل في عُمان الداخل. وأخذوا يهددون موانئ عمان، التي كانت تابعة لمملكة هرمز بالاحتلال. إذا ما فكر الهرموزيون بإغلاق مضيق هرمز في وجه تجارة الجبور البحرية، أو القيام بأي حملة بحرية ضدهم. الأمر الذي أبطل مفعول هذه الاتفاقية، التي تمس سيادة الجبور على جزيرة البحرين، وتوقفت العائدات السنوية، التي كانت لملوك هرمز من واردات البحرين[١].

وهذا التصرف بحد ذاته يدل على حنكة السلطان أجود وتعدد مواهبه السياسية والعسكرية.

أخذت مملكة هرموز تتحين الفرصة المناسبة للإنقضاض على الجبور خصوصاً بعد أن تولى السلطة الفعلية فيها الوزير المحنك خواجة عطار. وسنحت الفرصة بعد وفاة السلطان أجود بن زامل. وانسحاب البرتغاليين من الخليج العربي على إثر سعي قوات المماليك في مصر لضرب مراكز البرتغاليين في الهند[٢]. في هذه الظروف أصدر خواجه عطار سنة (٩١٣هـ/١٥٠٧م) بياناً وزع في أنحاء مملكة هرمز، أعلن فيه إلقاء القبض على بقايا البرتغاليين، لزجهم في الحرب ضد الجبور. واستمر في استعداداته لمدة أربع سنوات.

ففي عام (٩١٧هـ/١٥١١م) قام خواجه عطار شخصياً بقيادة حملة بحرية كبيرة تمكنت من احتلال جزر البحرين. إلا أن ذلك كان لفترة وجيزة[٣]. حيث دفع الجبور بقوات إضافية إلى قواتهم في عمان،

---

(١) الحميدان، المرجع السابق، ص٥٢؛ كيرفان، المرجع السابق، ص١٤.

(٢) ج. لوريمر، دليل الخليج التاريخي، ترجمة قسم الترجمة بمكتب أمير دولة قطر، ج١، ص١٣.

(٣) كيرفان، المرجع السابق، ص١٦-١٨؛ Aubin, (1973), P.126-127

وحركوها لاكتساح الساحل العماني، وموانئه الخاضعة لمملكة هرمز. إذا لم ينسحب الهرمزيون من جزر البحرين تاركين حكمها للجبور[١].

على أن أطماع مملكة هرمز في البحرين وادعاءاتها فيها لم تتوقف، وقد استغل البرتغاليون هذه الادعاءات ليحتلوا البحرين بعد ذلك، وهو ما سوف نذكره في حينه.

● توسع الجبور في عُمان:

كانت عُمان في تلك الفترة مقسّمة إدارياً إلى قسمين رئيسيين

١ ● **عُمان الساحل**: ويخضع لمملكة هرمز، وأهم موانئه، مسقط، و صحار، وخور فكان، وقريات، وصور، وقلهات التي كانت مقراً للأسرة الهرموزية على الساحل العماني، ومركزاً لجباية الضرائب من الموانئ العمانية لصالح خزينة هرمز[٢].

٢ ● **عُمان الداخل**: وكان يتجاذب السيطرة عليه الملوك النبهانيون - الذين استمر نفوذهم لأكثر من خمسمائة سنة - مع الأئمة الإباضيين الذين كانوا يعينون عن طريق البيعة. وكان كل طرف يتوسع على حساب الطرف الآخر حينما يجد فرصة لذلك[٣].

كان الملوك النبهانيون تربطهم علاقات مصاهرة مع ملوك هرمز[٤].

---

(١) الحميدان، المرجع السابق، ص٥٢-٥٣؛ Aubin, Ibid, 127.

(٢) السلمان، مرجع سابق، ص١١٢-١١٣.

(٣) الأزكوي، سرحان بن سعيد، تاريخ عمان المقتبس من كتاب كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة، تحقيق عبد المجيد حسيب القيسي، مطبوعات وزارة التراث والثقافة بعمان، ط٤، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م، ص٧١.

(٤) الحميدان. إمارة الجبور، ص٥٤.

وكان حكمهم يتصف بالجور والفساد، ولذا فإن علماء الإباضية يعتبرونهم مغتصبون للسلطة لأنهم أخذوها بالغلبة لا بالبيعة[١].

أما الجزء المتبقي من عُمان الداخل فكان تحت حكم الأئمة الإباضية المنتخبين. وفي عام (٨٨٥هـ/ ١٤٨٠م) بويع عمر بن الخطاب الخروصي الإباضي بالإمامة، واستطاع انتزاع حكم عُمان من سليمان النبهاني. وأقام سنة ثم قام بعدها سليمان بن سليمان النبهاني بانتزاع الحكم منه[٢]. فلجأ عمر إلى أقوى زعيم في الجزيرة العربية آنذاك، السلطان أجود بن زامل الجبري طالباً المساعدة. فاغتنم السلطان أجود هذه الفرصة للتدخل في شئون عُمان والضغط على ممتلكات هرمز[٣].

أرسل السلطان أجود جيشاً كثيفاً بقيادة ولده سيف بن أجود في عام (٨٩٣هـ/ ١٤٨٧م) لمساعدة عمر بن الخطاب الخروصي الإباضي، وقد تمكنت هذه الحملة من طرد سليمان النبهاني، فلجأ إلى هرمز، وتم إعادة تنصيب الإمام عمر بن الخطاب الإباضي حاكماً لعُمان. وكان من شروط هذا الدعم العسكري أن يدفع الإباضيون جزءاً من محاصيل عُمان الزراعية للجبور في كل عام[٤].

من الجدير بالذكر أن المصادر العُمانية، قد سكتت - ربما عن عمد - عن دور السلطان أجود بن زامل، في تنصيب الإمام عمر بن الخطاب الإباضي حاكماً لعُمان[٥] لأسباب مذهبية.

---

(١) السالمي، نور الدين، تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان، مكتبة الاستقامة، مسقط، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، ج١، ص٣٧٤.

(٢) المصدر السابق، ج١، ص٣٧٨، الأزكوي، المرجع السابق، ص ص٧١-٧٢.

(٣) الحميدان، إمارة الجبور، ص٥٥.

(٤) ابن ماجد النجدي، الفوائد، ص ص ٣٠١-٣٠٢.

(٥) السالمي، المصدر السابق، ج١، ص٣٧٨؛ السيابي، المرجع السابق، ج٣، ص١٠٧.

ومما يؤيد سعة نفوذ الجبور في عُمان، ما ذكره دي البوكيرك قائد الأسطول البرتغالي عندما وصل إلى ساحل عُمان، في أغطس (٩١٣هـ/ ١٥٠٧م) بأن عُمان، الداخل كانت خاضعة لملك الجبور، الذي وصفه بأنه يحكم أيضاً جميع جزيرة العرب[1]. وقد قارب من الحقيقة حيث كان القسم الأعظم من جزيرة العرب خاضعاً لنفوذ الجبور.

بالرغم من انحسار سلطان الجبور بعد سقوط دولتهم في الأحساء تشير المصادر العُمانية[2] إلى استمرارية نفوذ الجبور في عُمان حتى الثلث الأخير من القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي، وسنورد ذلك مفصلاً في الفصل السادس من هذا الكتاب.

- **توسع الجبور في ظفار وحضرموت:**

كان اليمن في النصف الثاني من القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي خاضعاً لنفوذ الدولة الطاهرية، التي تسيطر على جنوب وشرق اليمن والساحل الغربي. والإمامة الزيدية في شمال اليمن وقد بلغ النزاع أشده في عام ٨٩٥هـ/ ١٤٩٠م. بين هاتين الدولتين، في عهد كل من السلطان عامر بن عبد الوهاب، والإمام الزيدي محمد الوشلي، للسيطرة على اليمن، واستمرت الحرب سجالاً حتى عام ٩١٠هـ/ ١٥٠٥م. حيث هزمت الإمامة الزيدية[3].

أعقب ذلك النزاع بين دولة المماليك والطاهريين في اليمن، الذي

---

(١) The Commentaries of the great afonsod Boqubrque Trans by Walter Degray Brich. vol.1. London 1974, P.66.

(٢) السالمي، المصدر السابق، ج٢، ص ص٢٢٠-٢٣٦-٢٧٦؛ السيابي، المرجع السابق، ج٤، ص ص١٥٥-١٦١-١٧٠.

(٣) اليماني، يحيى بن الحسين، غاية الأماني في أخبار القطر اليماني، تحقيق سعيد عاشور، القاهرة، ١٩٦٨م، ج٢، ص ص ٦٢٨-٦٣٣.

أدى إلى انتهاء دولتهم عام ٩٢٣هـ/ ١٥١٧م على يد القائد المملوكي حسين الكردي[١].

لا شك أن السلطان أجود بن زامل الجبري لن يفوّت فرصة انشغال اليمنيين في صراعاتهم الداخلية من دون أن يستغلها في التوسع في كل من ظفار وحضرموت، وما جاورهما من شرق اليمن، وضمها إلى ممتلكات السلطنة الجبرية.

ومما يؤيد هذا الرأي ما جاء في قصيدة ابن زيد في مدح هلال بن زامل -أخ السلطان أجود- إذ يقول[٢]:

أبو (علي)[٣] معروف بالإيمان والتقى	هلال إذا عام القسى منه طارق
عطيفة أبطال المنا عير باللقا	وزبن الدنايا في قحوم المضايق
وقالوا تعدى حضرموت وقاده	وساقه على ما يأذن الله سايق
لميراد صنعا أو زبيد وفتحت	مع وجهه أبواب الحصون الغوالق

هذه الأبيات تدل أن نفوذ الجبور قد تعدى عُمان إلى حضرموت، وبعض مناطق شرق اليمن. كما تدل أن حملات الجبور على هذه المناطق، كانت بقيادة هلال بن زامل أخي السلطان أجود. ولم تقتصر على حملة سيف بن أجود على عُمان، التي أشرنا إليها آنفاً.

يبدو أن جميع هذه الفتوحات تمت في عهد السلطان أجود وبتوجيه منه. وفي حالة خضوع عُمان وحضرموت وأجزاء من اليمن لسلطة الجبور،

---

(١) النهروالي، محمد بن أحمد، البرق اليماني في الفتح العثماني، دار اليمامة، الرياض، ص١٦ وما بعدها.

(٢) الصويان، الشعر النبطي، ص ص ٣١٠-٣١١.

(٣) يبدو أن كلمة (كل) محرفة عن كلمة (علي) في المخطوط، وفي استبدالها يستقيم المعنى.

فلا بد وأن يكون إقليم ظفار من ضمنها أيضاً، لأن هذا الإقليم يقع بينهما جغرافياً. سيما وأن المصادر البرتغالية قد أشارت صراحة إلى خضوع هذا الإقليم لسلطة الجبور[١].

ليس بالضرورة أن فتوحات الجبور قد بلغت صنعاء وزبيد كما يقول الشاعر، ولكن ربما اقتربت من حدود نفوذهما الفعلي، إذا نحينا المبالغة الشعرية جانباً.

● نفوذ الجبور في نجد:

يعتبر إقليم نجد ذو أهمية خاصة في حياة سلطنة الجبور. وتكمن أهمية هذا الإقليم في عاملين:

الأول، عسكري: حيث تمدهم نجد بالعنصر العربي الوفير العدد، المتصف بالحيوية والنشاط. والمتأقلم مع ظروف الصحراء. الأمر الذي حقق لهم تفوقاً عسكرياً في المعارك البرية التي خاضوها في شرق الجزيرة العربية. كما أن نجد تعتبر الظهير الاستراتيجي لسلطنة الجبور.

الثاني، تجاري: تأتي أهمية نجد التجارية من كونها معبراً للقوافل ما بين شرق الجزيرة العربية وغربها وشمالها وجنوبها. وقوافل حجاج الأقاليم الإسلامية الشرقية مثل البحرين والعراق وإيران وغيرها.

لذا حرصت السلطنة الجبرية منذ قيامها على تأمين هذه الطرق من القبائل العابثة بالأمن. إذ كان يرافق هذه القوافل عدد كبير من الحراس بزعامة أحد الأمراء الجبور[٢].

وقد حرص السلاطين الجبور على قيادة قوافل الحجاج بأنفسهم. في

---

(١) Sausa. OP. cit. Vol.1. PP. 265-267.

(٢) الحميدان، إمارة الجبور، ص٥٨-٥٩.

تظاهرة عسكرية كبيرة، تدخل الرعب في نفوس معارضيهم من شيوخ القبائل المختلفة على امتداد طريق الحج[1].

ذكرت لنا المصادر أكثر من ثلاثة عشر غزوة تأديبية قام بها الحكام الجبور ضد القبائل في نجد. وقد سبقت الإشارة إلى خمسة منها قام بها الشيخ زامل بن حسين الجبري، لتدعيم سلطته وفرض الهيبة والنظام ما بين عامي (٨٥١هـ/ ١٤٤٧م) و(٨٦٦هـ/ ١٤٦١م) وذلك بسبب تعرض هذه القبائل لقوافل التجارة، أو الاعتداء على سكان الواحات المستقرين، أو البوادي التابعة للجبور، وكثيراً ما تكللت هذه الغزوات بالنجاح[2].

ويجدر بنا أن نسجل الملاحظات التالية:

١ • أن هذه الغزوات كانت موجهة ضد القبائل، وليس المدن والقرى في نجد. وهذا دليل على عدم وجود معارضة سياسية للحكام الجبور من قبل السكان الحضر. لارتباط مصالحهم الأمنية والاقتصادية بالدولة الجبرية. ومما يؤكد ذلك اشتراك الحضر في الحملات ضد القبائل المتمردة. كما أشار إلى ذلك ابن بسام[3].

٢ • إن هذه الغزوات كانت موجهة ضد القبائل التي تمر بأراضيها طرق القوافل. مثل الدواسر وآل عايذ وسبيع في منطقة وادي الدواسر واليمامة، حيث يمر بهم طريق الأحساء - مكة، وطريق الأحساء - وادي الدواسر - ظفار. وقبائل الفضول، وآل مغيرة وبني لام وغيرهم في وسط وشمال نجد على طريق الحج العراقي والأقاليم الشرقية.

---

(١) ابن فهد، عمر، إتحاف الورى بأخبار أم القرى. تحقيق عبد الكريم علي باز، ط١، منشورات جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ج٤، ص٥٤٢.

(٢) العثيمين، نجد منذ القرن العاشر الهجري، ص٦٧-٦٩؛ الحربي، من أخبار القبائل، ج١، ص ص ١٦-٤١.

(٣) العثيمين، المرجع السابق، ص ٦٧.

٣ • إن تمرد هذه القبائل كان يتزامن مع الأحداث التي تقع في شرق الجزيرة العربية. حين تكون السلطة المركزية مشغولة عنها. ومما يؤكد هذا التوقيت، تطابق تواريخ غزوات نجد مع الأحداث الأخرى. ومصدرنا الرئيسي ابن بسام[1].

١ • قام السلطان أجود بن زامل الجبري بحملة على نجد عام ٨٨٧هـ/ ١٤٨٢م. وهذا التاريخ يتوافق مع هجوم هرموزي على البحرين.

٢ • قام السلطان أجود بحملة ثانية عام ٨٩٠هـ/ ١٤٨٥م. وفي هذه السنة قام الهرموزيون بهجوم على البحرين.

٣ • قام السلطان أجود بحملة ثالثة عام ٨٩٣هـ/ ١٤٨٨م. وفي هذه السنة كانت قوات الجبور بقيادة سيف بن أجود مشغولة بالتدخل في عُمان لصالح الإباضيين ضد النبهانيين.

٤ • قام السلطان أجود بحملة رابعة عام ٩٠٠هـ/ ١٤٩٤م. وفي هذه السنة قام الهرموزيون بحملة على البحرين.

٥ • قام السلطان أجود بحملتين لم يحدد تاريخهما إحداهما على حلف قبلي ضم القبائل الطائية، والقديمات من بني عامر على مورد (لينة) أشار إليها الشاعر ابن زيد في مدح السلطان أجود بقوله:

ترى إن كانت الميعاد لينة بيننا
فلا نرضى من دونها بسداد

والثانية: كانت قرب المطلاع (شمال الكويت حالياً) لتأديب

(١) المرجع نفسه، ص٦٨؛ الحربي: المرجع السابق، ص١٦-٤١.

القديمات من بني عامر أيضاً ذكرها الشاعر ابن حماد في رده على قصيدة ابن زيد بقوله:

ومن قبلة (المطلاع) فيكم وقيعة
لجا غلّها بأقصى ضميرك زاد[1]

٦ • قام السلطان محمد بن أجود بحملة عام ٩١٢هـ/١٥٠٧م، لتأديب القبائل الحجازية، بطلب من الشريف بركات بن محمد. بعد أن كثرت تعدياتهم على مدينتي جدة ومكة، وعجز الشريف عن ردهم. وفي هذا الأثناء وصل الأسطول البرتغالي إلى سواحل عُمان واحتل هرمز.

٧ • قام السلطان محمد بن أجود بحملة عام ٩١٦هـ/ ١٥١١م. وفي هذه السنة قام الهرموزيون بقيادة خواجة عطار بحملة على البحرين.

٨ • قام السلطان ناصر بن محمد بن أجود بحملة عام ٩٢٩هـ/ ١٥٢٣م. وفي هذه السنة كانت قوات الجبور تحاصر قوات هرمز في مدينة صحار العُمانية بقيادة الأمير حسين بن سيف بن أجود الجبري.

يتضح مما ذكرنا سابقاً ترابط الأحداث والظروف التي كانت تؤدي إلى تمرد القبائل ضد سلطة الجبور في نجد، كلما أحسوا بانشغال السلطة المركزية عنهم بأخطار خارجية، أو تراخي قبضتها على السلطة.

أما نفوذ السلطنة الجبرية في الحجاز فقد كانت تحكمه العلاقة الودية والحميمة بين سلاطين الجبور، والأشراف في الحجاز. فقد كانت بين الأسرتين الحاكمتين مصاهرات كما أشرنا سابقاً. وكان سلاطين الجبور

---

(١) الصويان، الشعر النبطي، ص ص٣٠١-٣٠٣.

يرسلون الهدايا والهبات إلى أشراف مكة، والمدينة مع أمراء الحج الجبري. الذين كانت ترافقهم قوة عسكرية كبيرة، كانت تساعد في حفظ الأمن والنظام في مواسم الحج.

وأوضح دليل على هذا التدخل العسكري في الحجاز، ما أشرنا إليه في كلامنا عن السلطان محمد بن أجود، الذي قاد حملة عسكرية قوامها خمسون ألف مقاتل نجدةً لشريف مكة عام ٩١٢هـ/١٥٠٧م. لتأديب القبائل الحجازية، التي أخذت تهاجم المدن في الحجاز، وتنهب ممتلكات السكان. فوصل إلى هناك وضبط الأمور، واعتمر هو وجيشه، دون أن يسبب أي أذى للسكان ثم قفل راجعا[(١)].

• صراع الجبور مع الاستعمار البرتغالي:

وصل الأسطول البرتغالي بقيادة الأميرال (دي البوكيرك) إلى ساحل عُمان في أغسطس (آب) ٩١٢هـ/١٥٠٧م. وهاجم الموانئ العُمانية مثل: قلهات، وقريات، ومسقط، وصحار، وخوفكان، ثم احتل جزيرة هرمز[(٢)].

ومن الجدير بالذكر أن السلطنة الجبرية هي الدولة الوحيدة التي هبت لنجدة المدن العُمانية الساحلية ضد الغزو البرتغالي؛ بالرغم من تبعية هذه المدن لمملكة هرمز الفارسية، التي تركت هذه المدن تواجه مصيرها لوحدها.

كذلك الدولة الصفوية في إيران بقيادة الشاه إسماعيل الصفوي، التي كانت مشغولة بنشر مذهبها الشيعي في العراق. ولم تستجب لنداء

---

(١) لمزيد من التفصيل عن هذا الموضوع انظر: ابن فرج، السلاح والعدة في تاريخ بندر جدة، ص٤١.

(٢) ج. ج، لوريمر، دليل الخليج، القسم التاريخي، ج١، ص ص ١٢-١٣.

حليفتها مملكة هرمز، طلباً للمساعدة ضد الغزو البرتغالي[1]. كما تجاهلت هذا الخطر دول إسلامية كبرى مثل العثمانيين، والمماليك. مما يدل على أن السلطنة الجبرية هي الدولة الوحيدة التي أخذت على عاتقها مهمة الدفاع عن إسلام وعروبة الخليج في تلك الفترة.

فقد ذكر البوكيرك أنه: حينما وصل إلى ميناء مسقط وحاصرها، وصلت نجدة تقدر بعشرة آلاف مقاتل مزودين بالرماح والسيوف والدروع أرسلها ابن جبر من داخل عُمان للدفاع عن المدينة ضد الغزو[2].

ولكن ماذا تنفع السيوف والرماح أمام المدفعية الثقيلة التي كانت تقصف المدينة من البحر.

وصل الأسطول البرتغالي إلى مدينة صحار، وحاصرها، فهب الجبور لنجدتها أيضاً. إذ يذكر البوكيرك: أنه وصلت قوة من الجبور تقدر بألفي فارس، وخمسة آلاف من الجنود المشاة للدفاع عن المدينة[3]. إلا أن حاكم المدينة الهرمزي بادر إلى الاستسلام خوفاً من تدمير المدينة.

نستطيع أن نستشف من هذه الأحداث أن دولة الجبور كانت دولة إقليمية كبرى في المنطقة. وكان لديها قوة عسكرية ضاربة، تتمتع بالكثير من الحيوية والجاهزية. وإلا كيف يتسنى لها بأن تدفع بهذه الأعداد الكبيرة لنجدة مدن غير تابعة لها، وتبعد عن عاصمتها الأحساء آلاف الكيلومترات. وإن كانت هذه القوات في مجملها قوات برية.

وحينما وصل الأسطول البرتغالي إلى جزيرة هرمز وحاصرها، أرسل الجبور قوة بحرية من جزيرة البحرين، نجدةً للهرموزيين بالرغم من سوء

---

(١) السلمان، مرجع سابق، ص ص ١٧٤-١٧٥.

(٢) The Commentaries. OP. Cit. vol.1, PP.74-75.

(٣) Ibid. P.87.

العلاقة بين حكام هرمز والجبور. إلا أن البرتغاليين كمنوا لهذه الحملة البحرية الصغيرة ودمروها قرب جزيرة قيس[١].

احتل البرتغاليون جزيرة هرمز التي تتحكم في مدخل الخليج العربي، ووجدت سلطنة الجبور نفسها قد أصبحت وجهاً لوجه مع البرتغاليين، المتفوقين عليهم بقوتهم البحرية، والذين أخذوا يتخفون خلف ادعاءات مملكة هرمز بحقوقها المزعومة في البحرين والقطيف. بعد أن أصبحت تابعة للتاج البرتغالي بموجب معاهدة وقعها البوكريك مع سيف الدين شاه ملك هرمز في سبتمبر (أيلول) عام ٩١٢هـ/ ١٥٠٧م[٢]. **وكان أهم بنود هذه الاتفاقية**[٣].

١ • أن يكون ملك هرمز تابع هو وجزيرته لملك البرتغال.

٢ • أن يدفع الملك غرامة في الحال مقدارها (٥٠٠٠) أشرفي ذهباً كتعويض للبرتغاليين.

٣ • تدفع مملكة هرمز ضريبة سنوية مقدارها (١٥٠٠٠) أشرفي لملك البرتغال.

٤ • إعفاء السلع البرتغالية التي ترد إلى الجزيرة من الضرائب الجمركية.

٥ • يسمح ملك هرمز للبرتغاليين بإقامة قلعة حربية في الجزيرة.

لجأ البرتغاليون إلى طريقة القرصنة البحرية، لضرب تجارة الجبور في الخليج، فقد قاموا سنة ٩١٥هـ/ ١٥٠٩م بنهب سفينة تابعة للجبور،

---

(١) السلمان، المرجع السابق، ص ص ١٧٧-١٧٨.

(٢) الوسمي، خالد ناصر، عُمان بين الاستقلال والاحتلال، الكويت، ١٩٩٣م، ص٩٣.

(٣) Dutrate Barbosa, The Book of Dutrte Barbosa, written abut (1518), transl. by M. L. Demes, London, (1981), P.102

الوسمي، نفس المرجع، ص٩٣.

وعلى ظهرها حمولة ثمينة جداً من لؤلؤ البحرين[1]. وفي هذه الأثناء كانت الدولة الصفوية، بقيادة الشاه إسماعيل قد أحكمت سيطرتها على جميع إيران والعراق، وأصبحت قوة أخرى في المنطقة تهدد سلطنة الجبور[2].

أوفد الشاه إسماعيل سفيره إلى هرمز لمقابلة قائد الأسطول البرتغالي البوكيرك عام ٩١٣هـ/١٥٠٨م حاملاً عدة مطالب أجيب إلى بعضها. فقد اقترح أن تقدم البرتغال بعض سفنها لإيران كي تمكنها من غزو البحرين والقطيف - عن طريق هرمز - وأن يقوم تحالف بين إيران والبرتغال ضد الأتراك العثمانيين[3]. وقد قبل البوكيرك هذا المطلب من حيث المبدأ، لكنه وعد مندوب الشاه بمواصلة الاتصالات بعد تسلمه منصبه كنائب لملك البرتغال في الهند.

وصل سفير الشاه إسماعيل إلى (جوا) في الهند عام ٩١٥هـ/ ١٥١٠م. ليعرب للبوكيرك عن صداقته للبرتغاليين، ويطلب إليه إرسال سفير برتغالي للبلاط الصفوي في إيران[4].

أرسل البوكيرك سفيراً يدعى (روي جوميز) وبرفقته رجل دين نصراني اسمه الأب (جور) إلى الشاه إسماعيل الصفوي، وزودهما برسالة توجيهات جاء فيها ما يلي:

«.. نظراً لسلوكه الحسن (الشاه إسماعيل) تجاه النصارى في بلاده، أخبراه أن مِلكنا يرغب في التحالف معه، ويمد له يد المساعدة ليقاتل السلطان العثماني. وأنني أعرض عليه - باسم الملك - الأسطول

---

(١) Sousa, OP. Cit. vol.1. P. 142.

(٢) الحميدان، إمارة الجبور، ص٧٢.

(٣) لوريمر، المرجع السابق، ج١، ص١٥، عقيل، مصطفى، التنافس الدولي في الخليج العربي، ط٣، الدوحة، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، ص٢٤.

(٤) السلمان، مرجع سابق، ص١٩٦.

البحري، وطواقم المدفعية والقلاع الهندية، وممتلكاتنا الأخرى لقتال الأتراك. أخبراه أيضاً أنه إذا أراد غزو مكة، فإنني سأدخل البحر الأحمر، وأهاجم جدة، وإذا أراد أن يدخل الجزيرة العربية، فإنني سأقود الأسطول الملكي بنفسي، وأغزو عدن، وساحل الجزيرة العربية، والبحرين، والقطيف، والبصرة..»[(1)]. ولكن سفيره مات فجأةً بعد أن وصل إلى هرمز، ولم تنجح المهمة[(2)].

قام البوكيرك فعلاً بحملة قوامها (٢٠) سفينة و(٢٥٠٠) رجلاً على عدن، والبحر الأحمر عام ٩١٨هـ/١٥١٣م. ولكنها فشلت فشلاً ذريعاً. فعاد أدراجه، وركز اهتمامه على الخليج العربي[(3)].

عاد الأسطول البرتغالي للمرة الثانية بقيادة البوكيرك إلى الخليج العربي وتمركز في جزيرة هرمز في إبريل (نيسان) عام ٩٢١هـ/١٥١٥م[(4)] وبذلك أصبح البرتغاليون يتحكمون في مدخل الخليج ثانيةً.

ولكن قوة ثالثة ظهرت في الأفق هي قوة الأتراك العثمانيين، حيث استطاعوا تقليم أظافر الشاه إسماعيل الصفوي في معركة (جالديران) عام ٩٢٠هـ/١٥١٤م. وانتزاع العراق منه. وإزالة دولة المماليك في كل من الشام ومصر والحجاز، ما بين عامي ٩٢٢-٩٢٣هـ/١٥١٦-١٥١٧م ويحلوا محلهم[(5)].

وهكذا وجد الجبور أنفسهم على حدود هذه القوى الثلاث

---

(١) توجد هذه الرسالة ضمن وثيقة تحت رقم (٤٣) في الأرشيف البرتغالي الوطني في لشبونة. صورة منها محفوظة بمركز الوثائق التاريخية في البحرين.

(٢) السلمان، المرجع السابق، ص١٩٧.

(٣) نفس المرجع، ص ص ٢٠٢-٢٠٣.

(٤) الحميدان، إمارة آل شبيب، ص٢٨.

(٥) سرهنك، الميرالاي إسماعيل، تاريخ الدولة العثمانية، بيروت، ١٩٨٨م، ص٦٦-٧١؛ الحميدان، المرجع السابق، ص٧٣.

المتصارعة. وربما كان الجبور أكثر ميلاً للعثمانيين؛ لكونهم مسلمين، ولعلاقتهم الجيدة مع شريف مكة، الذي يدين بالولاء للعثمانيين. ولأنهم كانوا يحسون بأن الخطر الحقيقي سيأتيهم من جهة البرتغاليين، وحلفائهم من الهرموزيين والصفويين. الذين يشكلون جبهة واحدة، بسبب اتحاد مطامعهم في بلاد الجبور. فالبرتغاليون يريدون لهم موطئ قدم في جزيرة البحرين، للسيطرة على الخليج، واحتكار تجارة اللؤلؤ. والهرموزيون لهم ادعاءات قديمة في تبعية القطيف وجزيرة البحرين، وقد فشلوا في عدة محاولات لغزوها. والصفويون يخفون أطماعهم السياسية، وراء دعاوي مذهبية في المنطقة[١].

● سقوط البحرين واستشهاد السلطان مقرن بن زامل:

بادر الجبور في التصدي للغزو البرتغالي منذ أن وصل إلى السواحل العُمانية. وكذلك مقاومتهم لمحاولاته المتكررة لاحتلال البحرين. وقد وردت أول إشارة صريحة لاهتمام البرتغاليين بالبحرين في الرسالة التي بعث بها البوكيرك إلى ملك البرتغال عام ٩١٣هـ/ ١٥٠٨م، بعد احتلاله لهرمز يعرب فيها عن رغبته الأكيدة في احتلال البحرين. وقد جاءته موافقة الملك مانويل على ذلك عام ٩١٨هـ/ ١٥١٣م ولكن انشغال البوكيرك في حرب دولة المغول الإسلامية في الهند حال دون هذا الهدف، ثم بعث برسالة في ٢٠-١٠-١٥١٤م/ ٩١٩هـ إلى الملك يشرح فيها خطته لغزو البحرين جاء فيها: (وانتزاع اسم محمد (ص) منها.. فالبحرين يا سيدي أمر عظيم ومنطقة جد غنية حيث يكثر فيها اللؤلؤ)[٢].

---

(١) الحميدان، إمارة الجبور، ص٧٧.

(٢) بوشرب، أحمد، (مساهمة المصادر والوثائق البرتغالية في كتابة تاريخ البحرين خلال النصف الأول من القرن ١٦م). مجلة الوثيقة، ع٤، س٢، ص ١٢١؛ السلمان، مرجع سابق، ص ص٢١٥-٢١٦.

فالحقد الصليبي والأطماع الاستعمارية هدفان واضحان لهذا الغزو. كما أن مملكة هرمز استمرت في تحريض البرتغاليين ضد الجبور لانتزاع البحرين من أيديهم، بحجة أنها من ممتلكاتهم السابقة. ومن تلك الحجج أن ملك هرمز تورانشاه اعتذر للبرتغاليين بعجزه عن دفع المبالغ السنوية التي فرضوها عليه. وعلل ذلك بأن السلطان مقرن بن زامل لم يكن يدفع له المبالغ المقررة عليه سنوياً من واردات جزيرة البحرين والقطيف[1]. كما أن السلطان مقرن أخذ يعترض السفن البرتغالية ما بين هرمز والبصرة[2]، كرد بالمثل على المضايقات التي تتعرض لها السفن الجبرية من قبل البرتغاليين والهرموزيين[3]. وقد حاول البرتغاليون النزول في جزيرة البحرين عام (٩٢٠هـ/ ١٥١٤م)، ولكنهم فشلوا، وعزوا ذلك إلى معاكسة الرياح لهم[4].

اتفق البرتغاليون مع ملك هرمز على القيام بغزوة لجزيرة البحرين، وكانت الحملة تتألف من ثلاث سفن برتغالية كبيرة بمدافعها ومائة وعشرين بحاراً، وأربعين سفينة تابعة لهرمز عليها (١٢٠٠) جندي وفارس وذلك في عام (٩٢٦هـ/ ١٥٢٠م) ووقت هذا الهجوم أثناء غياب السلطان مقرن بن زامل لحضور موسم الحج. فتولى الدفاع عن جزيرة البحرين الشيخ حميد ابن أخت السلطان مقرن، حاكم البحرين والقطيف. وقد أبدى الجبور وسكان البحرين مقاومة شديدة. وتمكنوا من إحباط هذا الهجوم. وقد مكث قائد الأسطول البرتغالي (سوتامايور)

---

(١) كانت تقدر عائدات البحرين التي تدفع لهرمز بحوالي (١٥٠٠٠) أشرفي ذهباً. انظر: بوشرب، مرجع سابق ص١٢٣.

(٢) سلفاً، نونو بي، صفحات عن الغزو البرتغالي للبحرين، مجلة الوثيقة، البحرينية، ع٨، س٤، ص١٢٦؛ السلمان، مرجع سابق. ص٢٢٢.

(٣) الحميدان، إمارة الجبور، ص٧٨.

(٤) The Commentaries, OP. Cit. vol.1. P114; Sausa OP. cit. vol.1. P.256.

ثلاثة عشر يوماً قبالة سواحل البحرين ينتظر وصول مدد وتجهيزات ولكنها لم تصل، وفشلت الحملة[١].

سمع السلطان مقرن بن زامل بأنباء الهجوم، وعاد مسرعاً إلى جزيرة البحرين، ليشرف بنفسه على الاستعدادات اللازمة لمواجهة هجوم مرتقب. ويبدو أن السلطان مقرن، كان يتوقع هجوماً برتغالياً على بلاده منذ مدة. حيث تذكر المصادر البرتغالية، بأن السلطان مقرن قد بدأ فعلاً ببناء أسطول يتكون من سفن كبيرة، واستعان لهذا الغرض، بعمال مهرة من الترك والفرس والعرب. وجند مقاتلين يحسنون الرمي بالسهام، والبنادق، كما أنه قام ببناء سور بين الساحل والمدينة يبلغ عرضه أكثر من مترين وله بوابات وأبراج مراقبة. وخلفه خنادق ومتاريس، وزودها بالمدافع والمقاتلين، ووضع على رأس كل قوة أحد القواد المدربين للدفاع عن جزيرة البحرين والقطيف[٢].

وتعطينا المصادر البرتغالية تفصيلات أكثر عن تعداد قوات السلطان مقرن ونوع تسليحها. فذكرت أنها تتألف من إثنى عشر ألف مقاتل مزودين بمختلف الأسلحة، من بينهم (٣٠٠) فارس، و(٤٠٠) رامي سهم من الفرس، و(٢٠) تركي من حملة البنادق وجنود المدفعية[٣].

وفي (١٠ شعبان ١٩٢٧هـ/ ١٧ يوليو (تموز) ١٥٢١م) قام البرتغاليون والهرموزيون بهجومهم الكبير المرتقب على البحرين والقطيف.

كانت القوات المهاجمة تتألف من قسمين: قسم أعده ملك هرموز بقيادة وزيره سيد شرف الدين. وهي تتألف من ثلاثة آلاف مقاتل تحملهم

---

(١) الحميدان، المرجع السابق، ص ٧٩؛ Sausa OP. cit. vol.1. P.256.

(٢) كيرفان، المرجع السابق، ص٢٣؛ Sausa OP. cit. vol.1. P.256-8.

(٣) كيرفان، المرجع السابق ص٢٣؛ Sausa OP.cit.vol.1.P.256-8.

(٢٠٠) سفينة. أما القوة البرتغالية بقيادة انطونيو كوريا[١] تتألف من (٤٠٠) رجل تحملهم سبع سفن كبيرة مزودة بالمدافع الضخمة[٢].

تصدى الجبور لهذا الهجوم الضخم بقيادة السلطان مقرن بن زامل شخصياً، ودارت المعارك الحامية في حر الصيف، وكان مقرن على رأس قواته يحثهم على الصمود والاستبسال، وقتل تحته حصانان وهو يقاتل قبل أن يصاب بسلاح ناري إصابة بالغة في فخذه، نقل على إثرها إلى أحد المساجد حيث استشهد بعد ثلاثة أيام متأثراً بجراحه، كما أصيب أنطونيو كوريا قائد الأسطول البرتغالي بجرح بليغ في ذراعه في تلك المعركة ولكنه نجا من الموت[٣].

لم تتوقف المعارك بعد إصابة السلطان مقرن. حيث كان يتولى القيادة الشيخ حميد، إلى أن استشهد السلطان مقرن، فانهارت معنويات جنوده وكثر القتلى والجرحى بينهم. فأمر الشيخ حميد قوات الجبور بالانسحاب إلى القطيف فوراً. وأمر بنقل جثمان خاله مقرن كي يدفن في الأحساء.

وتذكر المصادر البرتغالية: بأن الوزير شرف الدين قائد القوات الهرموزية، أمر قواته بضرورة انتزاع جثة السلطان من القوات المنسحبة، وتعقبوا السفينة التي كانت تحمل جثة السلطان وقبضوا عليها **واحتزوا رأس السلطان مقرن وحملوه معهم إلى هرمز**[٤].

---

(١) انظر صورة رقم (٤) القائد البرتغالي أنطونيو كوريا ص٢٨٠.

(٢) الحميدان، المرجع السابق، ص٨٠؛ وانظر صورة رقم (٥) سفينة قيادة برتغالية، ص٢٨١.

(٣) فالح حنظل، المعارك العربية البرتغالية في الخليج العربي (معركة البحرين). مجلة درع الوطن، عدد يونيو ١٩٩٠م، ص٤٦؛ كيرفان، المرجع السابق، ص٢٥.

(٤) الحميدان إمارة الجبور، ص٨٠؛ الملّا، المرجع السابق، ص١٩٣؛ انظر الصورة رقم (٣) رأس السلطان مقرن ص٢٧٩.

وقد ذكر ابن إياس[1] أن البرتغاليين، أسروا مقرناً وعرض عليهم فدية مقدارها مليون دينار، ولكنهم أبوا وقتلوه صبراً.

وهذا يتعارض مع المصادر البرتغالية التي كانت طرفاً في المعركة، وأ قرب إلى مكان وقوع الأحداث. ومن هنا تأتي صعوبة قبول قول ابن إياس.

كانت النتيجة أن البرتغاليين والهرموزيون، قد تمكنوا من احتلال جزيرة البحرين وانتزاعها من الجبور. وإعادة الإدارة الهرموزية المباشرة إليها. وعينوا حاكماً في الجزيرة. وإلى جانبه حامية برتغالية ترابط في قلعة هناك وتقوم بجباية الرسوم على تجارة الجزيرة[2].

وهكذا سقطت البحرين بعد أن ملكها الجبور قرابة نصف قرن من الزمان. ومن الجدير بالذكر أن القوة الغازية، اكتفت باحتلال جزيرة البحرين، ولم تهاجم القطيف، كما كان مقرراً. ولعل المقاومة العنيفة التي واجهها الغزاة من الجبور في جزيرة البحرين. جعلهم يخشون النزول في القطيف، سيما وأن الجبور يتمتعون بقوات برية ضاربة[3].

لقد أحدث نبأ استشهاد السلطان مقرن، صدى حزن واسع في أرجاء الجزيرة العربية. وقد عبر عن ذلك ابن إياس[4] بقوله: «كان ذلك من أشد الحوادث في الإسلام وأعظمها» وهكذا كان السلطان مقرن الجبري أول حاكم في المشرق الإسلامي يستشهد في معركة مشرفة ضد الاستعمار البرتغالي الجشع دفاعاً عن أرض العرب والمسلمين.

---

(١) بدائع الزهور، ج٥، ص ٤٣١.

(٢) كيرفان: المرجع السابق، ص٢٨.

(٣) الحميدان، إمارة الجبور، ص٨٠.

(٤) بدائع الزهور، ج٥، ص٤٣١.

- **الانتقام من قتلة السلطان مقرن بن زامل:**

لم يكن استشهاد السلطان مقرن ليمر دون انتقام من البرتغاليين وحليفهم ملك هرمز تورانشاه، فبعد هذه الحادثة بأربعة أشهر من سنة (٩٢٧-٩٢٨هـ/ ١٥٢١م) انفجرت ثورة عارمة كادت أن تعصف بالوجود البرتغالي في جميع أنحاء الخليج، فأطبقوا على الحاميات البرتغالية، المتواجدة فيها. وأوقعوا خسائر كبيرة في صفوفها[١]. وقد قام سكان البحرين بقيادة الشيخ حسين بن سيف بن زامل الجبري بشن هجوم مفاجئ على القلعة، وإلقاء القبض على حاكم الجزيرة البرتغالي وجنوده، وتم شنقهم على أشجار النخيل، وتم تحرير الجزيرة من النير البرتغالي حتى عام ٩٢٩هـ/ ١٥٢٣م. حيث عقد البرتغاليون اتفاقاً مع الشيخ حسين بن سيف يبقى بموجبه حاكماً على البحرين مقابل موافقته على قبول مستشار برتغالي إلى جانبه[٢].

تذكر المصادر البرتغالية أن الشيخ حسين بن سعيد (سيف) الجبري قام بقيادة حملة برية قوامها (٥٠٠) فارس، و(٤٠٠٠) راجل في ١٢ ربيع الثاني ٩٢٨هـ/ ١١ آذار (مارس) ١٥٢٢م وهاجم مدينة صحار، التي كان يحكمها ريس شهاب الدين، أحد أعوان ملك هرمز، وربما كان من المشاركين بحملة البحرين ومقتل السلطان مقرن، في نفس الوقت الذي وصل فيه الأسطول البرتغالي إلى سواحل صحار، بقيادة (دون لويز) الذي يعتزم اقتحام المدينة أيضاً لإعادتها إلى السيادة البرتغالية. فاتصل بالشيخ حسين بن سيف لهذا الغرض، فوافق على ذلك، واشترط أن يحكم الجبور صحار مستقلين بها عن ملك هرمز بعد الانتقام من أتباعه[٣].

---

(١) الحميدان، المرجع السابق، ص٨٢؛ Sausa OP. cit. vol.1. P.268

(٢) كيرفان، المرجع السابق، ص٢٩؛ الملّا، المرجع السابق، ج٢، ص٢٠٦-٢٠٧.
مع ملاحظة: أن المصادر البرتغالية تذكر اسم حاكم الجزيرة حسين بن سعيد بدلاً =

وبعد هذا الاتفاق قام البرتغاليون بمهاجمة المدينة بحراً، والجبور براً، فطلب السكان الحماية من الجبور خشية تنكيل البرتغاليين بهم فمنحوهم ذلك. كما سمحوا للحامية الهرموزية بالانسحاب مقابل مبلغ من المال. أما ريس شهاب الدين، حاكم المدينة فقد تمكن من الفرار.

أصبح الشيخ حسين بن سيف حاكماً للمدينة مع اعتراف بالسيادة للبرتغاليين(١).

دب الرعب في قلب الملك تورانشاه لما علم بقرب وصول الاسطول البرتغالي إلى هرمز، فقام بإحراقها. وحمل ما خف وزنه وغلا ثمنه من متاعه، وهرب إلى جزيرة قشم(٢).

أرسل الشيخ حسين بن سيف الجبري أحد أتباعه إلى جزيرة قشم، حيث يقيم ملك هرموز في ذلك الوقت. وتمكن من الوصول إليه وقتله(٣)، ثأراً منه لمقتل السلطان مقرن بن زامل. وبذلك صفى الجبور حسابهم مع عدوهم اللدود تورانشاه.

= من حسين بن سيف. انظر مجلة الوثيقة ع٤، س٢، ص٩٠٦.

(٣) الحميدان، المرجع السابق، ص٨٢؛ Sausa OP. cit. vol.1. P.265-267

(١) الحميدان، المرجع السابق والصفحة؛ Barros, OP.Cit. Dec. 111. iv. vii. Cap. PP.164-167

(٢) Sausa OP. cit. vol.1. P.265.

(٣) الحميدان، المرجع السابق، ص٨٣؛ Sausa OP. cit. vol.1. P.268

الفصل الرابع

نشاط الجبور في دورهم الثاني
في منطقة الأحساء

لم ينته دور الجبور في صناعة الأحداث في المناطق التي كانت خاضعة لسلطتهم قبل زوال دولتهم في الأحساء على يد الشيخ راشد بن مغامس آل شبيب شيخ قبيلة المنتفق سنة ٩٣٢هـ/ ١٥٢٥م. ولعل السبب في ذلك أن الجبور ليسوا مجرد أسرة حاكمة، ينتهي نفوذها بانتهاء سلطتها الحاكمة. ولكنهم كانوا رؤوساء قبيلة، وحيثما وجدت هذه القبيلة وكانت زعامتها قوية ومؤثرة، كانت توجد لها بصمات على الأحداث في تلك المنطقة. والقبائل عموماً كان لها دور مؤثر في الأحداث في جميع الكيانات السياسية التي قامت في أنحاء الجزيرة العربية حتى منتصف القرن الماضي.

وسنقوم في هذا الفصل بتتبع النشاط السياسي والعسكري للجبور في مناطق نفوذهم السابقة، في كل من الأحساء، والقطيف، والبحرين، وقطر، وعُمان، والإمارات. وعلى قدر ما تسعفنا به مصادرنا الشحيحة، والتي سنعتمد فيها بصورة أساسية على المصادر البرتغالية، وما حفظته لنا الذاكرة الشعبية من أشعار قيلت في مدح الجبور.

أولاً: نشاط الجبور في القطيف

كان الشيخ راشد بن مغامس قد نجح في انتزاع البصرة من المشعشعين في حدود العقد الثاني من القرن السادس عشر ميلادي. وكون له إمارة قوية هناك مستقلاً بها عن الصفويين[(1)].

فلما رأى أن الظروف مواتية لتحقيق مطامعه في توسيع إمارته، وضم الأحساء إليها، استغل حالة الضعف التي يعاني منها الجبور فانتزع منهم الأحساء في أوائل عام٩٣٢هـ/ ١٥٢٥م. وذكر الجزيري أنه صار يدعى: «سلطان البصرة والحسا»[(2)]. وهذا النص لا يذكر القطيف من ضمن ممتلكات الشيخ راشد بن مغامس، مما يعني أنها بقيت خارج سلطته.

- **إمارة الشيخ قضيب بن زامل بن هلال الجبري للقطيف:**

يبدو أنه بعد هزيمة الشيخ قضيب بن زامل بن هلال آخر سلاطين الجبور في الأحساء عام ٩٣٢هـ/ ١٥٢٥م على يد شبيب بن مغامس أمير البصرة انسحب إلى القطيف، وكون له إمارة تضم القطيف، وما يتبعها من قرى وجزر. وأقرّ بتبعية اسمية لمملكلة هرمز التي كانت تحت المظلة البرتغالية في الخليج ليدفع بذلك أطماع الشيخ راشد بن مغامس آل شبيب عن ضم القطيف إليه سيما وأنه كان يحكم البصرة والأحساء.

مما يؤيد هذا الرأي النص الذي ورد في رسالة والي البحرين من قبل هرمز ركن الدين الفالي إلى والده الرئيس شرف الدين الفالي وزير هرمز بتاريخ ١٠ربيع الأول ٩٤٢هـ/ أيلول (سبتمبر)١٥٣٥م التي جاء فيها: «أما

---

(١) الحميدان: إمارة آل شبيب، ص٤٦ - ٤٨ .

(٢) الدرر الفرائد المنظمة، ج٣، ص١٧٢٨.

بخصوص أحوال مشايخ الجبور فإنه قد تحقق النصر لهم أخيراً في هذه السنة، بعد أن استمر ذلك القتال سنوات عديدة بين الشيخ فضيل الزامل (الجبري) وآل صبيح (من بني خالد) والذي الآن يبسط سيطرته على جميع تلك النواحي، ويتمنى قدومكم، إذ هو موالٍ لنا...»[١].

هذا النص يؤكد على استمرار الجبور في حكم منطقة القطيف، كإمارة مستقلة، ولديها قوة عسكرية فاعلة، ولها دور سياسي مؤثر في المنطقة، بعد عشر سنوات من سقوط دولتهم في الأحساء.

• إمارة الشيخ فضيل بن زامل الجبري للقطيف:

الإشارة الثانية في النص إلى اسم الشيخ فضيل الزامل الجبري كزعيم للجبور، وأنه يقاوم عشيرة آل صبيح من بني خالد الطامعين في إمارته منذ عدة سنوات. وهذا يعني أن إمارته للقطيف قبل هذا التاريخ بعدة سنوات. ولكن مصادرنا العربية لم تذكر لنا أحداً من أمراء الجبور باسم (فضيل) بن زامل. ولعله تحريف لاسم (قضيب) بن زامل، أثناء كتابته في هذه الوثيقة أو ترجمته إلى العربية.

والاحتمال الآخر هو أن يكون إبناً لزامل بن سيف بن أجود، وآلت إليه إمارة القطيف، وهو الأرجح لدينا. وبذلك يكون قضيب بن زامل توفي أو تنحى عن الحكم قبل هذا التاريخ (٩٤٢هـ/ ١٥٣٥م) ببضع سنوات.

كان الشيخ راشد بن مغامس آل شبيب مشغولاً عن مهاجمة الجبور في القطيف بمهادنة القوى الكبرى المحيطة بمملكته، مثل البرتغاليين في الخليج، والأتراك العثمانيين الذين احتلوا بغداد، واقتربت جيوشهم من

---

(١) الحميدان: إمارة آل شبيب، ص١٣٧-١٣٨، انظر نص الرسالة بالملاحق مترجماً عن الفارسية، وأصل الوثيقة محفوظ في الأرشيف البرتغالي

Na cional da torre do tombo, Lisbon, Documents orientais, No 93.

البصرة. فأرسل ولده مانع في سفارة إلى السلطان العثماني، مبدياً ولاءه للدولة العثمانية في عام ٩٤٥هـ/١٥٣٨م. وقد وافق السلطان سليمان القانوني على بقاء ما بيده من البلاد تحت سلطته مقابل تبعيته للدولة العثمانية[١].

• إمارة الشيخ منيع بن سالم بن زامل بن سيف بن أجود للقطيف:

بعد هذه الاتفاقية، وجد السلطان راشد نفسه مدعوماً من الدولة العثمانية، ضد خصومه من البرتغاليين والهرموزيين، فهاجم القطيف في أواخر عام ٩٤٥هـ/١٥٣٩م. فرحب به أميرها وسلمها له دون قتال.

لقد أشار الحميدان أن أمير القطيف الذي سلمها هو من الجبور دون ذكر لإسمه[٢]. بينما ورد اسمه صريحاً في رسالة وزير البحرين بدر الدين الفالي إلى ملك البرتغال (دون جوان) المؤرخة في ربيع الثاني ٩٤٦هـ/ ١٥٣٩م. التي ورد فيها ما نصه:

«كانت القطيف يحكمها أحد شيوخ العرب من أمراء عامر، المدعو مانع؟ قلده إياها الشيخ (أحمد) بن راشد (المسقطي وزير هرمز). فكان بديهياً أن يكون حاكم القطيف العربي، وملك البصرة العربي على قلب واحد؛ لذا لم ينشب بينهما جدال ولا قتال، وأن تفتح أبواب القطيف وتسلم لملك البصرة»[٣].

---

(١) الحميدان، المرجع السابق، ص١٤٢، انظر ترجمة الوثيقة في ملاحق كتابه، وأصل الوثيقة محفوظ بالأرشيف البرتغالي

Na cional da torre do tombo, Lisbon, Documents orientals, No 83.

(٢) الحميدان: إمارة آل شبيب ص٦٧.

(٣) الحميدان: المرجع السابق ص١٤٣، وأصل الوثيقة بالأرشيف البرتغالي، . OP.CIT.P.38

أمام هذا النص لا بد من الوقفات التالية:

١ • لم أجد في مشجر أسرة الجبور من اسمه (مانع) ولكن هناك اسم منيع بن سالم بن زامل بن سيف بن أجود الجبري، ويمكن أن يحصل تحريف بين اسم مانع ومنيع. خصوصاً في الترجمة.

٢ • بذلك يكون الشيخ منيع بن سالم بن زامل بن أخ سلفه الشيخ فضيل بن زامل، وانتقال السلطة من العم إلى ابن الأخ كثير الحدوث في النظام القبلي.

٣ • لقد تمت الموافقة على تنصيب أمير القطيف من قبل الشيخ احمد بن راشد بن أحمد المسقطي - وزير هرمز - تحت المظلة البرتغالية، خلال الفترة (٩٤٠هـ/ ١٥٣٣م - ٩٤٧هـ/ ١٥٤٠م)، وهو أحد زعماء العرب من أهل عمان[١] ويعرف جيداً أحقية آل أجود بالولاية على غيرهم من أمراء الجبور. نرجح أن الشيخ مانع المذكور في النص هو الشيخ منيع بن سالم بن زامل بن أجود الذي مدحه الشاعر راشد الخلاوي وأشار أن سلطته في منطقة هجر بقوله:

فلولا منيع سور هجر وبابها   وأبناء عقيل عصبة من قرابيه
لك الله ما سنعت لسهيل ناقتي   ولولاه ما نوخت يبرين شاربه[٢]

وربما بالغ الشاعر في سعة سلطة ممدوحه ولكن الوقائع تشير إلى أنه كان محدوداً.

ولكن السؤال الذي يطرح نفسه، لماذا سلم أمير القطيف بلده بهذه السهولة؟ ونجد الإجابة في موضع آخر من الرسالة السابق ذكرها:

---

(١) الحميدان: المرجع السابق، ص١٤٦، هـ٤.

(٢) ابن خميس: عبد الله بن محمد، راشد الخلاوي، ط٢، الرياض ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، ص٢٦٢.

«تطلع (ابن شبيب) إلى التغلب على البحرين والقطيف، بعد أن أدرك أن ملك هرمز ليس بمقدوره حمايتها. . .. إضافة إلى ذلك، فإن الطائفة البرتغالية كانت أوضاعها في الهند مضطربة، وليس في مقدورها المجيء، وأن تعطي للبحرين والقطيف أدنى قدر من اهتمامها»[1].

ويبدو أن أمير القطيف ليس لديه من القوة ما يمكنه من الدفاع عن إمارته ضد هجوم ملك البصرة والأحساء مانع بن شبيب فآثر السلامة وسلمه البلد.

اشتهر الأمير منيع بن سالم بأنه ممدوح الشاعر الخلاوي، وقد أشار الشاعر الخلاوي من طرف خفي، أن ممدوحه أخطأحين تقاعس في الدفاع عن ملكه. وقدم له بعض الأبيات على شكل نصائح، وحِكَم منها قوله:

الملك تاج ماله إلا المصونة	ومن لا يصونه ينزع التاج واهبه
فكم حاكم زاله عن الملك زلّة	أضحى وكفُّ عداه لحماه ناهبه
ومن خُوّل النّعما فيّدي حقوقها	ومن لا يؤدي حقّ نعماه زال به
في ذاك قول الله لا شلك صادق	رب تعالى كل ما شاء قال به[2]

يمكننا تحديد فترة حكم الشيخ منيع بن سالم للقطيف على وجه التقريب ما بين عامي ٩٤٣هـ/١٥٣٦م-٩٤٥هـ/١٥٣٨م. على ضوء ما ذكرنا من أحداث. لم يلبث أن قتل السلطان راشد بن مغامس آل شبيب في إحدى معاركه مع بني خالد في السنة التالية ٩٤٦هـ/ ١٥٣٩م.

كما يفهم من بعض المراسلات بين الهرموزيين والبرتغاليين[3].

---

(١) الحميدان: المرجع السابق، ص١٤٣، ١٤٦هـ٣.

(٢) ابن خميس، المصدر السابق، ص٢٠١-٢٠٢.

(٣) الحميدان، المرجع السابق، ص١٤٣.

وأكد ابن لعبون في تاريخه[1]: أن آل حميد أمراء بني خالد هم الذين قتلوا السلطان راشد بن مغامس آل شبيب.

ويبدو أن القيادة الجبرية، لم يكن لديها من القوة ما يمكنها من استغلال هذه الحادثة في محاولة لاستعادة أملاكهم في كل من الأحساء والقطيف.

● إمارة مقرن بن قضيب بن زامل للقطيف:

الشخصية الرابعة - من حكام الجبور في دورهم الثاني - الشيخ مقرن بن قضيب بن زامل الجبري. ويفترض أنه غادر القطيف بعد احتلالها من قبل آل شبيب، كما يفهم من قصيدة الكليف التي تكاد تكون مصدرنا الوحيد له.

يرى الشيخ أبو عبد الرحمن بن عقيل[2] أن حكم الأحساء آل ثانية للجبور على يد الشيخ مقرن بن قضيب بن زامل بن هلال الجبري، استناداً إلى ما جاء في قصيدة الكليف (الجليف) النبطية المسماة (بالدامغة) والتي قالها الشاعر في مدح مقرن بن قضيب[3]. ولكنه لم يوضح كيف ومتى تم ذلك؟

أما د. عبد اللطيف الحميدان: يرى أن هذه القصيدة، تنطبق على مقرن بن زامل بن أجود الجبري. وليس على مقرن ين قضيب الذي لم نعرف عنه شيئاً[4].

---

(١) ابن لعبون، حمد بن محمد، تاريخ ابن لعبون، القاهرة، ط٢، ٤٠٨ هـ، ص٤٠.

(٢) ديوان الشعر العامي بلهجة أهل نجد، ج١، ص٦٦-٦٧، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م؛ أنساب الأسر الحاكمة، ق١، ص٢٤٢.

(٣) الحاتم، خيار ما يلتقط، ص٥٥-٥٦.

(٤) الحميدان، الصراع على السلطة في دولة الجبور، ص٩٣هـ (٥٧).

وسنقوم فيما يلي: بمناقشة هذين الرأيين على ضوء ما جاء في القصيدة، مع مسح تاريخي للمعلومات المتوفرة ذات العلاقة بالموضوع، خلال هذه الفترة.

١ • لم يكن مدح الأمير مقرن بن قضيب بدعاً من القول: إذ أن شعراء آخرين قد مدحوا أباه، وجده من قبل، ووصفوهما بالشجاعة والكرم. وكانوا ينالون عطاياهم، ومن هؤلاء الشاعر عامر السمين الذي قال في رثاء زامل بن هلال الجبري، ومدح ابنه قضيب بن زامل بقوله:

يا ركب هذي منازل زامل أدرست
قد أصبح الربع منها خاوي خالي
دار الذي كان يحشمني ويكرمني
ويصطفيني وتصدق فيه الأقوالي
دار الذي ساق لي خيل مسوّمة
تتل المجانب من جرد وصهالي

ثم يخلص إلى مدح ابنه قضيب بن زامل بقوله:

مات من خلّف الحيد الذي خضعت
له رقاب روس الملا زين الأفعالي
قضيب قوي الباس في حومة الوغى
حاوي اخصال الثناء والمرتب العالي
صفوة عقيل هو أصطاها وأفرسها
وخيارها همة في كسب الأنفالي[1]

---

(١) ابن حاتم، المرجع السابق، ج١، ص٦١-٦٣.

٢ • لقد أجمع رواة الشعر الشعبي[١] الذين رووا قصيدة الكليف بأنها كانت في مدح مقرن بن قضيب، وليس مقرن بن زامل.

٣ • لقد كان الشاعر يكني مقرناً بأبي مبارك بقوله:

يـا أبـا مـبـارك لا بـلـيـت بـسـيـة
يـا سـتـر بـيـض قـد ذهـلـن دلالـهـا

فعلمنا أن للمدوح ابناً اسمه مبارك، ولم تشر المصادر من قريب أو بعيد إلى وجود أولاد ذكور للسلطان مقرن بن زامل، مع أنها ذكرت أن له بنتاً تزوج بها شريف مكة.

٤ • **ويقول الشاعر أيضاً:**

تـل الـعـشـيـرة مـقـرن زاكـي الـوفـا
حـمـال مـن جـل الـخـطـوب ثـقـالـهـا

قـد شـاف بـالأعـمـام مـا لا يـرتـضـي
بـالـدار وأقـفـى زاهـد بـأعـمـالـهـا

وتـسـلـل عـن ديـرتـه وأصـحـابـه
خـوف الـقـطـيـعـة بـالـصـديـق وقـالـهـا

يذكر الشاعر في البيت الأول: اسم الممدوح (مقرن) وهذا ينطبق على كلا الرجلين. وفي البيتين الثاني والثالث: يشير إلى خلاف بين الممدوح وأعمامه وقد فارقهم مغاضباً لهم، إلى مكان بعيد (عن ديرته وأصحابه).

وهذا لا ينطبق على مقرن بن زامل، لأنه كان هو الطرف الأقوى في الصراع، وأخرج خصمه من الأحساء وحكمها. بينما

(١) ابن حاتم، المرجع السابق والصفحة، الصويان، ص٢٩٤-٢٩٨. وانظر إحالاته.

ينطبق هذا القول على مقرن بن قضيب الذي نرجح خصومته مع بني عمومته من آل أجود، الذين آلت إليهم إمارة القطيف كما مر معنا.

ثم يقول:

وتــزيـنـت لـلـغـيـر فـيـهـا وأثـمـرت
بـنـوايـع شـاق الـفـؤاد جـمـالـهـا

لا شك أن عبارة (تزينت للغير)، المقصود فيها الغريب الذي لا يمت إلى الممدوح بصلة قربى، ويعني بذلك (آل شبيب) الذين احتلوا الأحساء والقطيف، وغيرهم من البرتغاليين والهرموزيين. وهذا الوصف لا ينطبق على حالة مقرن بن زامل وخاله صالح بن سيف بل ينطبق على مقرن بن قضيب.

٥ • إلى أن قال:

حـوّل مـحـل الـمـلـك وانـقـادت لـه
أهـل الـشـروق وغـر بـهـا مـن شـمـالـهـا

لقد صرح الشاعر باستيلاء مقرن على البلاد، إن كان يقصد بعبارة «حوّل» بمعنى حلَّ واستقر. أما إن كان يقصد بمعناها (بدَّل) فهذا يعني أنه نقل مقر الملك إلى مدينة أخرى من مدن المنطقة، مثل القطيف. وفي الشطر الثاني من البيت: أشار إلى امتداد حكمه إلى ثلاث جهات هي الشرق والغرب والشمال، وسكت عن ذكر الجنوب، مما يعني أن الأحساء لا تزال خارج نطاق سلطانه.

مما سبق يتضح أن الشواهد تشير إلى ترجيح أن الممدوح في هذه القصيدة هو مقرن بن قضيب، وليس مقرن بن زامل.

ولكن بقي أن نتساءل ما هي الظروف التاريخية المناسبة لمقرن

بن قضيب، لاسترجاع ملك آبائه، أو جزء منه على الأقل؟ وما هي الفترة التي يمكن أن يحصل فيها مثل هذا الحدث؟

١ • بقيت الأحساء في حوزة آل شبيب منذ الاستيلاء عليها من قبل راشد بن مغامس سنة ٩٣٢هـ/ ١٥٢٥م وحتى عام ٩٦٠هـ/ ١٥٥٣م[١]. فيستبعد استرجاعها خلال هذه الفترة.

٢ • خضعت القطيف لآل شبيب عام ٩٤٥هـ/ ١٥٣٨م كما مرَّ معنا، ثم هاجمها البرتغاليون والهرموزيون سنة ٩٥٢هـ / ١٥٤٥م. ولما قدم أمير الأحساء عبد الله بن مانع بن شبيب لنجدتها وجدها قد سقطت، فعاد أدراجه إلى الأحساء وتركها وشأنها[٢]. ربما بسبب مرض ألمَّ به. قام وزير هرمز نور الدين الفالي بتنصيب حاكم فارسي على القطيف، وترك حامية عسكرية في قلعتها[٣].

احتل العثمانيون الأتراك البصرة سنة ٩٥٣هـ/ ١٥٤٦م. وهي المعقل الرئيسي لإمارة آل شبيب، ثم زحفوا نحو القطيف واحتلوها سنة ٩٥٧هـ/ ١٥٥٠م. بمساعدة عبد الله بن مانع آل شبيب. آملاً أن يسلموا إليه المدينة بعد طرد البرتغاليين والهرموزيين منها. ولكن العثمانيين عينوا عليها والياً تركياً من قبلهم[٤].

ويبدو أن عبد الله بن مانع خشي من امتداد النفوذ التركي إلى الأحساء، وهي آخر ما بقي لإمارة آل شبيب. فعاد إلى الأحساء وقطع صلته بالعثمانيين.

---

(١) الحميدان، إمارة آل شبيب، ص١١٢.

(٢) بوشرب، أحمد، مساهمة الوثائق البرتغالية، الملحق الثالث، ص١٣٦ وما بعدها.

(٣) الحميدان، المرجع السابق، ص ص٩٦-٩٨.

(٤) الحميدان، المرجع السابق، ص ص١٠٨-١٠٩.

إلا أن البرتغاليين والهرموزيين أعادوا الكرة على القطيف، فهاجموها سنة ٩٥٨هـ/ ١٥٥١م. فاضطر العثمانيون إلى الانسحاب منها، عائدين إلى البصرة. وتركوها تواجه مصيرها[١].

في هذا الظرف الذي تخلّا فيه كل من العثمانيين، وابن شبيب عن الدفاع عن القطيف ضد الغزو البرتغالي الهرموزي، يبدو أن الفرصة قد سنحت للأمير مقرن بن قضيب بن زامل لتحريرها من الغزاة.

وقد ذكرت لنا المصادر البرتغالية[٢] أن شيخ قبيلة بني جبر الذي وصفته بأنه كان مشهوراً بشجاعته، قام بحشد أتباعه استعداداً للقيام بهجوم خاطف لاحتلال القطيف، فقرر البرتغاليون القيام بانسحاب سريع من القطيف. واكتفوا بنسف أجزاء من سورها، وقلعتها. فانقض عليها الجبور واستعادوها.

وقد وصف الشاعر الكليف مقرناً بالصقر في انقضاضه على أعدائه لتخليص بقايا ملكه منهم بقوله:

فأجاب كالحر القطامي جارد ... في شوفته زريقة يدعى لها
ورست بعد أمر الله بتزلزل ... طابت معيشتها وزان ظلالها
وجرى بها الحق المبين أقلامه ... وفر منها الجور وزاح أغلالها
حوّل محل الملك وانقادت له ... أهل الشروق وغربها وشمالها
ولي إمام في الديار وقد طمى ... بالعدل يجري عقب جور خلالها[٣]

ويحث الشاعر ممدوحه مقرناً على تخليص الأحساء، وهي ما تبقى من ملكه بأيدي آل شبيب بحد السيف بقوله:

---

(١) الحميدان، المرجع السابق، ص ص١١٠-١١١

(٢) DOCOUTO. Ibid. decada VI. liv. lx. cap. xiv. p.325-32

(٣) الصويان، الشعر النبطي، ص٢٩٤ وما بعدها.

ويقال يا ستر العشيرة قد بقى   قطع بأيدي الظالمين أوصالها
فإن كان تبغى حكم هجر صادق   فاضرب بحد السيف روس رجالها[1]

فإذا كانت النتيجة التي توصلنا إليها صحيحة، يكون الأمير مقرن بن قضيب بن زامل بن هلال هو الذي استعاد ملك الجبور بعد ضياعه. وقد بدأت إمارته في القطيف، بعد طرد البرتغاليين والهرموزيين منها سنة ٩٥٨هـ/ ١٥٥١م. مستقلاً بها، وليس الأحساء كما توهم الشيخ ابن عقيل.

ولكن يبدو أن فترة استقلال الجبور بحكم القطيف لم تطل لأكثر من ثلاث سنوات. إذ أن بعض المصادر العثمانية تذكر بأن العثمانيين حاولوا الثأر لكرامتهم المثلومة بعد هزيمتهم أمام البرتغاليين في القطيف.

فعززوا وجودهم البحري في الخليج العربي لمواجهة البرتغاليين. وقرروا الإستيلاء على البحرين سنة ٩٥٩هـ/ ١٥٥٢م. بقيادة القبطان محمد بيري، ولكن المحاولة فشلت، فقرروا احتلال القطيف والأحساء. وزحفوا من البصرة جنوباً وأتموا ذلك أواخر عام ٩٦٠هـ/ ١٥٥٣م. على الأرجح. وأزالوا إمارة آل شبيب من الأحساء بمساعدة بني خالد[2]. وهناك بعض المراجع التي تؤخر احتلال العثمانيين للأحساء إلى عام ٩٦٣هـ/ ١٥٥٥م[3].

وقد ذكر الجزيري[4] وجود قافلة تضم حاج أهل البصرة وعقيل وبني جبر في موسم عام ٩٧٠هـ/ ١٥٦٣م. وهذا يقودنا إلى التساؤل: هل كان

---

(١) الصويان: المرجع السابق، والصفحات.

(٢) الحميدان، إمارة آل شبيب، ص١١٢.

(٣) آل عبد القادر، تحفة المستفيد، ص١٢١-١٢٢؛ الحصري، ساطع، البلاد العربية والدولة العثمانية، ص٩.

G. Orhunlu, Hint Kaptanligi Ve Piri Reis, in Belleten, 134 (1970) s.235-5.

(٤) الدرر الفرائد، ج٢، ص١١٢٤.

للجبور أي نوع من السلطة في ظل الوجود العثماني؟ أم استعان بهم العثمانيون لخبرتهم السابقة في قيادة وتسيير قوافل الحج والتجارة إلى الحجاز؟

يبدو أن أمير القطيف مقرن بن قضيب بن زامل الجبري دخل في طاعة العثمانيين، ليكون تحت مظلتهم، مفضلاً إياهم على البرتغاليين الذين كان ينظر إليهم ككفار محتلين لبلاد المسلمين[1]. وفي هذه الفترة يصبح مصير الجبور في الأحساء والقطيف غامضاً.

ولكن بما أن بعض المصادر والمراجع المحلية[2] تشير إلى استمرار سلطة الجبور في المنطقة بشكل أو بآخر حتى نهاية لقرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي. فلا بد من عمل مسح تاريخي للمنطقة حتى نهاية هذه الفترة لنتأكد من وجود هذه السلطة الجبرية على الأرض من عدمها.

ثانياً: نشاط بني خالد بعد زوال سلطة الجبور

كان هناك قوتان تتنازعان السيطرة على منطقة الأحساء بعد زوال كل من السلطنة الجبرية وإمارة آل شبيب هما:

الأولى: الأتراك العثمانيون: الذين كان وجودهم هامشياً إذ لا تتعدى سيطرتهم خارج الحصون التي تتمركز فيها حامياتهم في أغلب الأحيان.

---

(١) الحميدان، المرجع السابق، ص١١١، وانظر رسالة البوكيرك بهذا الخصوص.

As Gavetas de torre do tombo, lis boa, 1965, vol. v. p.325-29.
Belgrave, Sir, Charls; «The Pirate Cost», London 1966, P.8.

(٢) ابن بشر، عثمان، عنوان المجد في تاريخ نجد، مكتبة الرياض الحديثة د.ت، ج١، ص٢٥٦؛ الفاخري، محمد بن عمر، تاريخ الفاخري، تحقيق عبد الله يوسف الشبل، الرياض، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م، ص ص٨٤-٨٥؛ ابن عقيل الظاهري، أنساب الأسر الحاكمة في الأحساء، ق١، ص٢٦٣.

الثانية: قبيلة بني خالد: بقيادة آل حميد، التي برزت كقوة في المنطقة منذ ثلاثينات القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي[١].

تأتي أهمية رصد نشاط هذه القبيلة في هذه الفترة بسبب انضواء الجبور تحت قيادتها، وأصبحوا يشكلون بطناً من بطونها الرئيسية، ولا يمكننا تتبع نشاط الجبور في هذه الفترة بمعزل عن نشاط القبيلة الأم بني خالد. وفيما يلي أهم نشاطاتها:

● نشاط بني خالد في الأحساء:

قام بنو خالد بالتصدي لآل شبيب أثناء حكمهم للأحساء والقطيف وجرت بين الفريقين عدة معارك قتل في إحداها الأمير راشد بن مغامس بن شبيب سنة ٩٤٦هـ/ ١٥٣٩م. ثم اشتركوا مع القوات التركية في احتلال الأحساء من آل شبيب سنة ٩٦٠هـ/ ١٥٥١م. كما مرَّ معنا.

يبدو أن زعيم بني خالد القوي سعدون بن حميد كان يطمح إلى حكم الأحساء مع الاعتراف بالسيادة العثمانية لقاء مساعدته للعثمانيين في طرد آل شبيب منها، ولكن العثمانيين حكموا الأحساء حكماً مباشراً، فانقلب الحلف إلى عدواة بين الطرفين.

كان بنو خالد في تلك الفترة أكبر قوة عربية فاعلة في منطقة الأحساء، وقد كانوا فيما مضى من رعايا السلطنة الجبرية في طور قوتها. وبعد ضعف الجبور وزوال دولتهم، أصبحوا بطناً من بطون بني خالد وانضوا تحت قيادة أمرائها من آل حميد.

ومما يدل على قوة بني خالد وحلفائهم الجبور، وضعف السلطة العثمانية في الأحساء. ما جاء في الحكم الموجه إلى أمير أمراء الأحساء بتاريخ ٢٣شعبان ٩٦٧هـ/ ١٩(مايو) آيار ١٥٦٠م. ويتعلق بكتاب ورد منه

---

(١) الحميدان، إمارة آل شبيب، ص١٣٧-١٣٨.

إلى السلطان يذكر فيه: «أنه بعد هزيمة مصطفى باشا في البحرين، ثار سعدون (آل حميد) حاكم لواء (البادية) (٢٠٠،٠٠٠ أقجة) وادعى ملكية الأحساء، ووزع الأراضي على عشائره، وأتباعه من البدو بختمه الشخصي. وقد وضع يده على القرى والأرياف. واتخذ المبرز قاعدة لسلطته...»[١].

قام السلطان العثماني بإرسال خطابات بتاريخ ٨ جمادى الأولى ٩٩١هـ/ ٣١ (مايو) آيار ١٥٨٣م. موجهة إلى كل من الأمير محمد أبوريشة[٢] زعيم قبائل جنوب حلب (الموالي)، وشريف مكة حسن (بن أبي نمي) للمسير بقواتهم إلى الأحساء، والتشاور مع واليها لحرب بني خالد والقضاء على ثورتهم[٣].

ولكن يبدو أن هذه المهمة لم تنفذ، بسبب البعد الجغرافي بين الأطراف الذين أوكلت إليهم.

لما عجزت الدولة العثمانية عن إخماد ثورة بني خالد بالقوة، لجأت إلى الأساليب السلمية، وعلى أعلى المستويات. فأرسل السلطان مراد خان الثالث (٩٨٢-١٠٠٣هـ/ ١٥٧٤-١٥٩٥م) خطاباً إلى الأمير سعدون بن حميد بتاريخ ١٦رجب /٩٩٨هـ/ ٢١آيار (مايو) ١٥٩٠م جاء فيه: «إلى سعدون، لقد كنت سابقاً خادماً مخلصاً لهذه السلطنة ولكنك أصبحت

(١) الوهبي، عبد الكريم عبد الله، بنو خالد وعلاقتهم بنجد، ط١، دار ثقيف للنشر، الرياض، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م، ص١٢٨، نقلاً عن مهمة دفتري ٣ حكم ١١٤٦ بتاريخ ٢٣ شعبان ٩٦٧ هـ؛ كيرفران، المرجع السابق، ص٤٣.

(٢) هو الأمير محمد بن مدلج بن ظاهر أبو ريشة، أمير تحالف القبائل الطائية (الموالي). انظر: أوبنهايم، ماكس فرايهيرفون، وآخرين، البدو، ج١، ترجمة ميشيل كيلو ومحمود كبيبو، تحقيق ماجد شبّر، دار الوراق، لندن، ٢٠٠٤م، ص٤٥٨.

(٣) الوهبي، المرجع السابق، ص١٣٦، نقلاً عن مهمة دفتري ٤٩ حكم٢٥٦ بتاريخ ٨ جمادى الأولى ٩٩١هـ.

في الفترة الأخيرة سبباً للمشاكل، يجب أن أفهم كل الظروف التي أدت إلى هذا التغيير. ولهذا فقد وجهت حاكم عام الأحساء أحمد للاتصال بك،والاجتماع بك. فوضح له شكايتك بكل تفصيل، وصراحة، وسيكتب لي بدوره بالتفاصيل كلها، وإن شاء الله سنعمل بالعدل لإزالة كل المظالم التي وقعت»[1].

ولكن يبدو أن الأمير سعدون آل حميد لم يكن رده إيجابياً على خطاب السلطان العثماني. واستمر في تصعيد ثورة بني خالد ضد الأتراك.

كما يتضح من خطاب لاحق موجه إلى حاكم الأحساء عثمان بك في شوال ١٠٠١هـ/ (يوليو) تموز ١٥٩٣م. جاء فيه أن أمير أمراء الأحساء السابق يوسف قد بعث رسالة مفادها: أنه لم يتبق من ألوية الأحساء تحت السيطرة العثمانية سوى لوائي صفوى والقطيف. أما بقية الألوية ففي يد العرب من بني خالد، وأنهم هم القائمون فعلاً على الولاية[2].

من الملاحظ في هذه الظروف أن أمراء الجبور لم يكن لهم سلطة فعلية مستقلة عن الأتراك.

ما عدا ما أشرنا إليه من إمكانية انفراد الأمير مقرن بن قضيب بحكم القطيف ما بين عامي ٩٥٨هـ/ ١٥٥١م-٩٦٣هـ/ ١٥٥٥م.

---

(١) نفس المرجع السابق، ص١٣٨، نقلاً عن ذيل مهمة دفتري ٤، ص٢١٢، بتاريخ ١٦ رجب ٩٩٨هـ.
فريد، محمد، تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق إحسان حقي، دار النفائس، بيروت، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ص٢٥٩.

(٢) الوهبي: المرجع السابق، ص١٣٩، نقلاً عن مهمة دفتري ٧١، حكم ٦٥٧ بتاريخ شوال ١٠٠١هـ.

● نشاط بني خالد في نجد:

لم يقتصر نشاط بني خالد على منطقة الأحساء والقطيف في هذه المرحلة، بل تعداها إلى نجد. فقد قام شريف مكة حسن بن أبي نمي عام ٩٨٩هـ/ ١٥٨٠بغزوة إلى نجد ومعه جيش كثيف ومدفعية، حتى وصل إلى منطقة الخرج فاستولى على بلدات السلمية، اليمامة، البديع، والخرج[١].

وصلت أخبار هذه الغزوة إلى بني خالد، فهبوا مسرعين لنجدة أهل الخرج على جرائد الخيل، ونجائب الإبل. واشتبكوا مع جيش شريف مكة، وحصلت مناوشات بين الطرفين، ثم انصرف الفريقان إلى بلدانهم[٢].

بصرف النظر عن نتائج هذه المعركة. فإنها تدل على وجود حقيقتين:

الأولى: أن بني خالد كانوا القوة الوحيدة الفاعلة في المنطقة.

الثانية: أنهم كانوا يعتبرون نجداً من مناطق نفوذهم التي يتوجب عليهم الدفاع عنها ضد التدخلات الخارجية. ولم نلحظ أي نشاط للجبور في منطقة نجد في هذه الفترة.

● نشاط بني خالد في العراق:

تعدى نشاط بني خالد بقيادة الشيخ سعدون بن حميد في هذه الفترة حدود منطقة الأحساء ونجد إلى العراق، فقد صدر أمر سلطاني موجه إلى حاكم عام بغداد في ٢٦شعبان ٩٨٣هـ/ ٤/ ١٢/ ١٥٧٥م. أن ابن حميد من أعيان العرب،وقد تم توجيه لواء إليه في الأحساء بمائتي ألف أقجة في

---

(١) ابن بشر، عنوان المجد، ص٢٤؛ الفاخري، تاريخ الفاخري، ص٨٤-٨٥.

(٢) العصامي، عبد الله بن حسين، سمط النجوم العوالي بأخبار الأوائل والتوالي، القاهرة، ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م. ج٤، ص٨٦٢ وما بعدها.

السنة، بشرط أن يقيم في الأحساء مع عشيرته، ويقوم بمهمة حفظها وحراستها من أشقياء البدو، ولكن الشيخ سعدون لم يتقيد بذلك، إذ ورد خبر من بغداد إلى مجلس السلطان العثماني، يوضح أن سعدون قد وصل بقومه إلى بغداد، وأنه يحاول الحصول على الإمدادات والمؤمن منها. فرد المجلس السلطاني: أن طلب من حاكم بغداد، إبلاغ الشيخ سعدون بأن راتبه يصرف له في حالة إقامته وقومه في الإحساء، وليس خارجها[١].

وهناك إشارة أخرى إلى قيام بني خالد بمهاجمة الحاميات التركية في الأحساء بقيادة الشيخ سعدون بن حميد وشخص آخر يدعى عبيكة[٢]، وربما يكون جد آل عبيكة من المهاشير من بني خالد.

• نشاط بني خالد ضد البرتغاليين في الخليج:

لم تكن مقاومة بني خالد موجهة ضد الوجود التركي في المنطقة فقط، بل كانت موجهة أيضاً إلى الوجود البرتغالي في الخليج العربي، واعتراض تجارتهم، لنترك أحد الرحالة الهولنديين الذي كان شاهد عيان يصف لنا إحدى معارك بني خالد مع الأسطول البرتغالي في عام ١٥٨٦م/ ٩٩٥هـ فيقول[٣]: «عُين بدرو بيريرا (Pedro Pereira) قائداً جديداً

---

(١) الوهبي، المرجع السابق، ص١٣٣، نقلاً عن مهمة دفتري ٢٧ حكم ٧٩، تاريخ ٢٦/ شعبان/ ٩٨٣هـ. وذيل مهمة دفتري ٢ ص٥٠٢ في ٩٨٣هـ.

(٢) نفس المرجع، ص١٣٥-١٣٦.

(٣) Linschoten, John, «The Voyage to the East Indies», London 1598,

هذا الرحالة خدم في الأسطول البرتغالي ما بين عامي ١٥٨٣-١٥٩٢م في منطقة المحيط الهندي وصدر مؤلف رحلته بالهولندية عام ١٥٩٦م. ثم ترجمت إلى الإنجليزية عام ١٥٩٨م. ثم قامت مجلة الوثيقة البحرينية بنشر مقتطفات منها تخص منطقة الخليج في عددها الأول، السنة الأولى، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، ص١٥٢ وما بعدها.

للأسطول، وغادر الأسطول مرة أخرى إلى ساحل جزيرة العرب بقصد تأديب القراصنة من قبيلة بني خالد الذين سببوا خسائر فادحة لسفن وتجارة البصرة. وعلم بأنهم تجمعوا في مكان باسم نيكولا (نخيلة) ونزل البرتغاليون في نيكولا دون نظام أو انضباط. وفي المعارك التي دارت بينهم وبين القراصنة (الخوالد) انتصر القراصنة وقتل عدد كبير من البرتغاليين، ولم ينج إلا (٥٠) منهم، وبلغ عدد القتلى (٨٠٠). ورجع قائد الأسطول مرة أخرى إلى هرمز بسفن فارغة. وشعر البرتغاليون بخزي بالغ بانهزامهم المذل. حيث قتل في المعركة رجال بارزون من البرتغال بما فيهم أخ لرئيس الأساقفة، وكبار عمد المدن البرتغالية».

يفهم من النص: أن مهمة البرتغاليين في الشرق لم تكن تجارية بحتة، بل هي امتداد للحروب الصليبية على المسلمين، لذا كان ينخرط في الخدمة على أساطيلهم الكثير من المتطوعين الأوربيين بتشجيع من الكنيسة وأنهم كانو يصفون كل من يقاومهم أو يهدد مصالحهم بالقرصنة واللصوصية.

كانت لبني خالد قوة بحرية مؤثرة في الخليج العربي إلى جانب قواتهم البرية. وأرجح أن هذه القوة البحرية كانت تابعة للخوالد في قطر حيث كان لهم نشاط بحري ملحوظ في تلك الفترة[١].

• نزوح الأمير منيع بن سالم إلى العراق:

بانضواء الجبور تحت قيادة آل حميد أمراء بني خالد، القوة الفعلية المسيطرة على المنطقة، حافظوا على ملكياتهم الزراعية التي توارثوها، أو استرجاع تلك التي أخذها آل شبيب منهم بعد طردهم من المنطقة. وكانت

---

(١) ابن سيار، جبر، نبذة في أنساب أهل نجد، تحقيق راشد بن محمد بن عساكر، الرياض، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م، ص١٠٥، هـ٢.

لهم مكانتهم الاجتماعية المرموقة كأسرة حاكمة سابقة، ويعاملون على أنهم أعيان البلد.

يبدو أن الأمير منيع بن سالم بن زامل بن سيف بن أجود الجبري لم ترق له الإقامة في الأحساء في ظل الزعامة الخالدية، أو أنه اصطدم معها. فخرج إلى نجد في أواخر القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي. وأقام على جو (الثليما) في الخرج هو وبعض جماعته من بني عقيل، كما يفهم من شعر الخلاوي، حينما أرسل رسوله المفترض إلى ممدوحه منيع بن سالم إذ يقول[1]:

فلا جيت في جو الثليما بنزلة   وقد لم جال الما رجال القبايل
وتجمعوا لك من (ظفير) وغيرهم   و(لام) ومعهم من (عقيل) حمايل

ثم انحدر هو وجماعته إلى العراق عام ٩٩٩هـ/ ١٥٩١م- كما يفهم من بعض المصادر النجدية[2]- وهناك انضموا إلى تحالف قبائل المنتفق. وتزعموا الثلث المعروف (بالأجود)[3] وتعرف أسرتهم حالياً باسم (المنيعات) نسبة إلى جدهم منيع بن سالم.

بعد استعراض هذه الأحداث يتبين لنا أن الجبور لم تكن لهم سلطة في الأحساء بمعزل عن بني خالد وقيادتهم حتى نهاية القرن العاشر الهجري/ق ١٦ ميلادي.

---

(١) ابن خميس، راشد الخلاوي، ص٣٤٣.

(٢) ابن عقيل، أنساب الأسر الحاكمة في الأحساء، ق١، ص٢٦٣ وانظر إحالاته.

(٣) العزاوي عباس، عشائر العراق، الدار العربية للموسوعات، ط٢، بيروت، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م، ص ص٨٠-٨١.

ثالثاً: مشاركة بعض الزعامات الجبرية في الأحداث والإدارة المحلية

تشير بعض المصادر إلى ظهور بعض الزعامات الجبرية في الأحساء والقطيف بين فترة وأخرى، وأغلبهم من ذرية السلطان قطن بن علي بن هلال الجبري. ومن هؤلاء:

● في عهد العثمانيين:

كانت الأحساء تحت الحكم المباشر من قبل العثمانيين، ولكن يبدو أنهم استعانوا ببعض الزعامات المحلية لإدارة بعض القرى والبلدات التابعة لكل من ولايتي الأحساء والقطيف، كموظفين لدى العثمانيين.

فقد أشارت إحدى الوثائق العثمانية المؤرخة في شعبان ٩٨٦هـ/ ١٥٧٨م. إلى أحد هؤلاء الزعماء المحليين، واسمه (مهنا بن خالد) الذي كان حاكم لواء (المام)[١] ويبدو أنه (الخمام) وتسمى حالياً (أم خمام)، وهي إحدى القرى الكبيرة التابعة للقطيف[٢].

نرجح أن هذا الشخص أحد زعماء الجبور في المنطقة للأسباب التالية:

١ ● تكرار اسم (مهنا) عند الجبور، مثل: مهنا بن ناصر الجبري وسنشير إليه لاحقاً.

٢ ● كانت القطيف آخر معاقل حكم الجبور، فيرجح وجودهم فيها.

٣ ● تحالف الجبور وآل حميد ضد أي تدخل خارجي في منطقة الأحساء.

وقد شارك (مهنا بن خالد) بقواته إلى جانب الشيخ سعدون آل حميد، في صد هجوم حلف قبلي، ضم المنتفق وشمر وبني لام، بقيادة

---

(١) مهمة دفتري (٣٥) حكم (٦٩٢) بتاريخ شعبان/ ٩٨٦هـ. نقلاً عن، الوهبي، بنو خالد وعلاقتهم بنجد، ص١٣٤.

(٢) المسلم، محمد بن سعيد، ساحل الذهب الأسود، ط٢، بيروت، ١٣٨٢هـ/ ٦٢م، ص٥١.

الشيخ محمد بن عثمان بن شبيب، ضد العماير من بني خالد في منطقة القطيف، ونهبوهم عام ٩٨٦هـ/ ١٥٧٨م. وقد تمكن المدافعون من هزيمتهم واسترجاع المنهوبات، ونهب معسكر قائدهم ابن شبيب، وانضمام شمر وبني لام إلى قوات مهنا بن خالد(١). ولا نستبعد وجود شخصيات جبرية أخرى شاركت مع العثمانيين في الإدارة المحلية. ولم تشر إليها المصادر التي تيسر لنا الاطلاع عليها.

- **في عهد دولة آل حميد من بني خالد:**

في بداية تأسيس دولة آل حميد في الأحساء شارك الشيخ مهنا بن ناصر بن ناصر بن قطن بن علي بن هلال الجبري مع زعيم بني خالد الشيخ براك بن غرير بن عثمان بن سعدون آل حميد في احتلال الأحساء من العثمانيين وطردهم نهائياً منها(٢).

في بداية الربع الأخير من القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي وأقام دولة آل حميد التي استمرت قرابة قرن ونصف في الأحساء على فترتين.

يبدو أن الشيخ مهنا بن ناصر الجبري كان يطمح إلى مشاركة الشيخ براك آل حميد في السلطة لقاء مساعدته في تأسيس الدولة. ولكن الشيخ براك كان ينظر إليه مجرد قائد من قواده، وتابع له. عندها حاول الشيخ مهنا

---

(١) الوهبي، المرجع السابق، والصفحة.

(٢) ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص٦٥؛ الفاخري، المصدر السابق، ص٩٦.
وقد ذكر أن بداية تملك آل حميد الأحساء كان عام ١٠٨٠هـ حينما أجلوا الحامية التركية عنها ولكننا نرى أن البداية الفعلية كانت قبل ذلك بخمسة عشر عاماً على الأقل. حيث تذكر وثيقة شرعية مؤرخة في ١٩/رجب/١٠٧٦هـ/ ١٦٦٥م أن الشيخ محمد بن غرير آل حميد هو صاحب السلطة العليا في الأحساء وقد حكم قبله أخوه براك عشر سنوات على الأقل. انظر ملحق رقم (٥)، ص٢٦٩.

جمع بعض القبائل، والتمرد على الشيخ براك بن غرير آل حميد. كما يفهم من القصيدة التي وجهها إليه الشيخ براك يعاتب فيها رفيق سلاحه على تخليه عنه، ووقوفه مع مناوئيه. وبالرغم من ذلك يذكره بأنه يحفظ له قدره كوريث لبيت السلطنة الجبرية العامرية، ويحثه على إصلاح ما افسد من المودة بينهما، والركون إلى الدعة، وتنمية ما جمع من مال وأملاك، وفيما يلي نورد مقتطفات منها[1]:

رضيناك فيما قد رضينا مساند	وترك الحمايا صرت مفتاح غالقه
فبئس فعال يامهنا رضيتها	وغير سديد الرأي من ذا معاشقه
فلو كنت محتاج لمبذول ما لهم	عذرناك يا من شانت أنواه شايقه
للأصحاب فيما قد مضى ثم زينت	لك النفس ترك الند وارضا مما حقه
تريد تصلّح في حمانا قبايل	متجمعة من كل قيق لفايقه
ونشقى ونشفي يا مهنا صدورنا	برجوى رفيع القدر محصي خلايقه
فنم وارع في واديك ما كنت جامع	بذلك وسدد عنك ما كنت فاتقه
وتبقى على بيت ابن سلطان عامر	ومن له تذاكير بالآثار سابقة

● في عهد الدولة السعودية الثانية:

تولى الشيخ ناصر بن جبر بن سيف بن محمد بن ناصر بن محمد بن سيف بن ناصر بن ناصر بن قطن بن علي بن هلال الجبري ولاية الأحساء للإمام عبد الله بن فيصل بن تركي آل سعود (١٢٨٢-١٢٨٧هـ/ ١٨٦٥-١٨٧٠م) في الدولة السعودية الثانية[2].

---

(١) الصويان، المرجع السابق، ص٥٠٠-٥٠١.

(٢) نخلة، محمد عرابي، تاريخ الأحساء السياسي، ذات السلاسل، الكويت، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، ص١٤٠.

الفصل الخامس

نشاط الجبور في دورهم الثاني
في البحرين وقطر

أولاً: نشاط الجبور في جزيرة البحرين

- **استعادة البحرين وطرد البرتغاليين والهرموزيين منها:**

لم أجد بين الباحثين في تاريخ البحرين، أو الجبور من أشار إلى عودة البحرين إلى سلطة الدولة الجبرية بعد سقوطها بيد التحالف البرتغالي الهرموزي المشترك، واستشهاد السلطان مقرن بن زامل بن أجود الجبري، وهو يدافع عنها في آخر شهر تموز (يوليو) ١٥٢١م/ شعبان ٩٢٧هـ. وأزعم أنني أول من أشار إلى هذه الحقيقة. والتي سوف نوضحها فيما يلي:

قام البرتغاليون بتحصين جزيرة البحرين، وتركوا فيها حامية عسكرية، ومركزاً تجارياً، وموظفين لجباية الضرائب. وتركوا إدارة الجزيرة للهرموزيين، فعينوا عليها حاكماً اسمه حسب المصادر البرتغالية (Lucat)، التي وصفته بأنه رجل مسن من سكان الجزيرة[1].

بعد احتلال، البحرين أصدر الحاكم العام البرتغالي أوامره بقيام

---

(١) بوشرب: المرجع السابق، ص١٢٥؛ كيرفران، المرجع السابق، ص٢٨.

الموظفين البرتغاليين بتحصيل رسوم الجمارك، وجباية الضرائب مباشرة في جميع الموانئ الخاضعة لمملكة هرمز، وبذلك يكون ملك هرمز تورانشاه ووزيره قد خسرا جميع مواردهما المالية، الأمر الذي أثار سخطهما على البرتغاليين، وأخذا يفكران جدياً في التخلص من ظلم البرتغاليين[١]. وقد كانت الخطة: أن يقوم حكام جميع الموانئ الخاضعة لهم في هرمز، ومسقط، وقريات، وصحار والبحرين بالقضاء على البرتغاليين المتواجدين لديهم في ليلة واحدة. ولكن قبل الإقدام على هذه الخطوة كان لا بد من التأكد من مقدرة جميع هؤلاء الولاة على تنفيذ الخطة وإلا ستفشل. فالبنسبة للبحرين يبدو أنه تم عزل واليها المسن (Lucat)، وتم استبداله بالشيخ حسين بن سعيد من قبيلة (بن زابي) حسب التسمية البرتغالية[٢]. والتي يبدو أنها (ابن زامل) وصحة اسم هذا الوالي هو: حسين بن سيف بن أجود بن زامل الجبري.

● ولاية الأمير حسين بن سيف بن أجود الجبري على البحرين:

خلف الأمير حسين والده سيف بن أجود على ولاية عمان[٣]، ثم أصبح والياً على البحرين، عند قيام الثورة على البرتغاليين في شهر تشرين ثاني (نوفمبر) ١٥٢١م/ ذو الحجة ٩٢٧هـ.

ولكن السؤال الذي يطرح نفسه لماذا اختار ملك هرمز ابن أخ السلطان مقرن الجبري للقيام بهذه المهمة؟ والجواب يكمن في أن جميع الحاميات الهرموزية سوف تكون مشغولة بقتال الحاميات البرتغالية

---

(١) سلفاً: المرجع السابق، ص١٢٨.

(٢) الخيري: ناصر بن جوهر، قلائد النحرين في تاريخ البحرين، الأيام للنشر، الكويت، د.ت.، ص١٩٣؛ العناني؛ المرجع السابق، ص٩٨.

(٣) الحميدان، الصراع على السلطة في دولة الجبور، دراسات تاريخية، ج٢ ص٧٨.

الموجودة لديها بنفس التوقيت، ولا يوجد في البحرين قوة يمكن أن تجابه قوة البرتغاليين، إلا قوة الجبور الذين يمكن أن تصلهم إمدادات سريعة من القطيف للتحضير للثورة، وضمان نجاحها. ويبدو أن ملك هرمز فضل أن يخسر البحرين في مقابل تخليص مملكته من تسلط البرتغاليين وجشعهم.

أما الشيخ حسين بن سيف الجبري فقد وجدها فرصة ذهبية للانتقام من البرتغاليين، الذين قتلوا عمه السلطان مقرن. واسترداد البحرين، وإعادتها إلى سلطة الدولة الجبرية. فحشد قواته وباغت الحامية البرتغالية واقتحم قلعتها، وأسر من بقي حياً منهم وصلبهم على جذوع النخل. واستقل بالبحرين عن الهرموزيين[1]. وأعادها إلى حظيرة السلطنة الجبرية، التي كان على رأسها في ذلك الوقت ابن عمه السلطان ناصر بن محمد بن أجود الجبري.

وحينما وصل الأسطول البرتغالي إلى صحار عام ٩٢٩هـ/ ١٥٢٣م.

كان الشيخ حسين بن سيف الجبري يحاصرها، وقد وصفه المؤرخ البرتغالي سوزا بأن نفوذه يمتد من البحرين إلى سواحل عمان وظفار[2].

ومما يؤكد صحة ما ذهبنا إليه، ما جاء في القصيدة التي قالها الشاعر عامر السمين في مدح هذا الشيخ الجبري بمناسبة استرداد البحرين[3] ونقتطف منها الأبيات التالية والقصيدة كاملة في فصل أدبيات الجبور:

نيل العلا بالتقاك الهول والعضبا وعن مصاحبة العزم الحشوم أبا

فاعزم على طلب العلياء مجتهداً فلا يلام الفتى إن فاته الطلبا

---

(١) الخيري، المرجع السابق، ص١٩٣؛ العناني، المرجع السابق، ص٩٨.

(٢) Sausa, OP. Cit. Vol.1, PP.265-267.

(٣) الصويان، سعد، الشعر النبطي، ص٣٤١.

وارض واغضب في كل الأمور ورف بالملك واقطع وصل وارفع وضع رتبا
كن واعياً ما مضى لفظ المقال به من در بحر غزير صافي الغببا

وبعد تقديم النصح للمدوح يصف وصوله إليه عن طريق البحر:

ومع أخا ثقة بالحلم معترف كم أتى عرباً بالعلم من عربا
وهو على من بنات اليم ساجية سيارة ما بها خدو ولا خببا
إلى الملاذ عن أحداث الزمان إلى تاج الملوك وابن السادة النجبا
موضي سنا عامر قيدوم محفلها ومقيت معسرها إن وقتها كهبا

ثم يصف معركته مع البرتغاليين واقتحام قلعتهم والنصر عليهم:

ظنوا بأن قلاع الصخر تمنعهم هيهات هل شملهم ينجى لهم هرباً
أودعت هاماتهم شروى منابرهم وأسياف عزك في أوداجهم خطبا
وبعد ما جاك نصر الله مفتتح ضحك الزمان بثغر العز واعتجبا

بقيت البحرين في حوزة الجبور مستقلين بها عن مملكة هرمز حتى أوائل عام ٩٣٠هـ/ ١٥٢٤م. حيث يستشف من رسالة الرئيس شرف الدين لطف الله الفالي، من منفاه في مدينة (غوا) في الهند، مقر نائب ملك البرتغال للتحقيق معه حوالي عام ٩٣٣هـ/١٥٢٧م. أن ابن عمه بدر الدين بن محمد شاه كان والياً على البحرين منذ أربع سنوات تقريباً[1]. مما يعني أن البحرين خرجت من يد الجبور ثانية إلى سلطة هرمز تحت السيادة البرتغالية.

---

(١) الحميدان: إمارة آل شبيب، ص١٣٣-١٣٦.

- **ولاية الأمير قطن بن سيف بن أجود الجبري على البحرين:**

في أواخر عام ٩٢٩هـ/١٥٢٣م نرجح وفاة الأمير حسين بن سيف الجبري حيث تسكت المصادر عن ذكره بعد ذلك التاريخ. وولاية أخيه الأمير قطن بن سيف بن أجود الجبري، الذي يبدو أنه خلف أخاه لفترة قصيرة على ولاية البحرين والقطيف وعمان.

وفي عهده خرجت البحرين عن سلطة الجبور إلى سلطة الهرموزيين والبرتغاليين أواخر عام (٩٣٠هـ/ ١٥٢٤م). وقد جاءه الشاعر عامر السمين الذي مدح أخاه حسين بن سيف بعد استعادة البحرين من قبل، ومدحه بقصيدة يحثه فيها على الإقدام، وقوة العزيمة، والمغامرة لاسترداد ملكه المسلوب لأن الأجل محتوم، بقوله[1]:

قم قام ناعي من يقيم على الغما	واعزم على صعب الأمور فربما
أمر تخاف لقاه تمّ خلاف ما	تعزم عليه من المصائب تسلما
واعزم فكم عزم بقوة هاجسٍ	يا زي لباب خلاف ملك سلّما
كم قد وقى الله الحتوف مجازفٍ	سل الحراب، وعَطُبَ من لا يَزحما
حملت يد الأقدار رجال ولو صفا	وبكل ما لا أنت محتسب طما

يبدو أن قطناً هذا، لم يكن في حنكة وشجاعة أخيه حسين، ولم تساعده الظروف في استعادة البحرين من البرتغاليين والهرموزيين. حتى خرجت عمان من يده أيضاً، وأصبحت تحت حكم أبناء عمه الهلاليين. وأزعم أنني أول من أشار إلى ولاية هذا الأمير، وصلته بالأسرة الجبرية، من خلال سياق الأحداث، والمناسبة التي قيلت فيها هذه القصيدة.

(١) الصويان: المرجع السابق، ص٣٢٦.

● ولاية جبور عمان على البحرين:

مرَّ معنا أن الصفوين كانوا يلهثون وراء البرتغاليين لعقد حلف معهم يمكنونهم بموجبه من احتلال البحرين والقطيف.

ولكن بعد احتلال البحرين من قبل التحالف البرتغالي الهرموزي استأثروا بالجزيرة وحصنوها، وجعلوا إدارتها للهرموزيين، ولم يستفد الصفويون من هذه الحملة شيئاً. وإنما اكتفوا بوعود من البرتغاليين لتكوين حلف عسكري ضد الدولة العثمانية. وحينما لم يتحقق هذا الوعد، أخذ الصفويون بتحين الفرص لاحتلال جزيرة البحرين، وطرد البرتغاليين منها. وقد سنحت لهم هذه الفرصة في عهد الشاه عباس الثاني الصفوي عام ١٠١١هـ/ ١٦٠٢م[١]. فقد ذكرت بعض التواريخ المحلية عودة أحد أمراء الجبور إلى البحرين، وحكمها فترة من الزمن، حتى احتلها الصفويون وقتلوه، أو أخرجوه منها. على اختلاف في ذلك.

وسنقوم فيما يلي باستعراض هذه الروايات، ومتابعتها، وتمحيصها حتى نتمكن من معرفة اسم هذا الحاكم الجبري، وتحديد الفترة التي حكم فيها.

١ ● رواية المؤرخ البحريني النبهاني[٢] ونلخصها فيما يلي:

بعد سنة ١١١٠هـ/ ١٦٩٨م استقل بالبحرين أحد أمراء الجبور الذين كانوا يحكمون الأحساء. ولما استتب له الحكم، جعل مقره في قرية (العمرو)، وبنى فيها قلعتين. وكان له وزير يقال له (فرير بن رحّال)، فغضب من وزيره وقتله. وفرت امرأة الوزير إلى (دارين) -

---

(١) نصر الله فلسفي: زند كاني شاه عباس الأول، ج٤، طهران، ١٣٤٦هـ. ش. ص ص ١٤٩، ١٦٦.

(٢) النبهاني: محمد بن خليفة، التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية، بيروت، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ص ص ٧٤-٧٧.

إحدى الجزر التابعة للقطيف - وهناك أخذت تدبر أمر الثأر من قاتل زوجها. فأرسلت هدية ثمينة إلى الشاه عباس الثاني الصفوي، تغريه وتحثه على احتلال البحرين. فأمر عامله على شيزار (ويردي خان) باحتلال البحرين، فجهز حملة بقيادة (معين الدين الفالي) وسار بها إلى البحرين، فبرز له الأمير الجبري بجيش من (آل مهير)، وحصلت معركة قتل فيها الأمير الجبري، فكان آخر الحكام الجبريين بالبحرين.

٢ • **رواية آل عبد القادر[١] وهو من مؤرخي الأحساء فهي:**

«في سنة ١٠٩٢هـ/ ١٦٨٨م جهز الشاه عباس الصفوي جيشاً لغزو البحرين، وأخذها عنوة. لم تزل في حوزة الدولة الصفوية إلى سنة ١١٢٣هـ/ ١٧٠٩م، وفي تلك السنة استولى الشيخ محمد الجبري من بني عامر بن عقيل بن عامر على البحرين. ثم عادت إليها الدولة الصفوية».

٣ • رواية المصادر العمانية لهذا الحدث، أو حدث آخر مشابه له، فنلخص مضمونها فيما يلي: استمر الاحتلال الصفوي لجزيرة البحرين حتى قامت دولة اليعاربة في عمان خلال الفترة ١٠٢٤هـ/ ١٦٢٤م-١١٥٤هـ/ ١٧٤١. واستطاعت توحيد جميع أجزاء عمان في دولة قوية موحدة.وبناء أسطول بحري قوي، أخضعت فيه معظم جزر الخليج لسلطتها[٢].

وفي عهد الإمام سلطان (الثاني) بن سيف اليعربي الذي حكم عمان خلال الفترة ١١٢٣هـ/ ١٧٠٩-١١٣١هـ/ ١٧١٨م، قام

---

(١) تحفة المستفيد، ص٥-٦.

(٢) السيابي: المرجع السابق، ج٤، ص٧ وما بعدها.

باحتلال جزيرة البحرين، وطرد الصفويين منها. وجعل ولايتها إلى محمد بن ناصر الغافري[1].

اشتد النزاع بين اليعاربة على السلطة في عمان بعد وفاة الإمام سلطان الثاني بن سيف، فاغتنم العجم الفرصة، وهجموا على البحرين، وحاصروا حاكمها في قلعة (عراد)، ولكنه لم يستسلم، على أمل أن تصل إليه نجدة من عمان. ولكن العمانيين كانوا مشغولين بأنفسهم عن نصرته. فلما طال عليه الحصار ويئس من وصول المدد. فاوض العجم على تسليم القلعة لهم مقابل مبلغ من المال، وأن يخرج بماله إلى عمان. وكان قد جمع أموالاً طائلة مدة ولايته على البحرين، لأن خراجها كان كله إليه.

فخرج من البحرين وسلمها لهم، وعاد إلى عمان، وسكن حصن الغبي بالظاهرة. وتزعم حلف القبائل الغافرية، وصاهر الإمام أحمد بن سعيد البوسعيدي[2].

وبمقارنة المعلومات الواردة في الروايات السابقة، سنحاول معرفة اسم هذا الشيخ الجبري الذي حكم البحرين.

فالنبهاني: لم يصرح باسمه واكتفى بالقول الشيخ الجبري. والعبد القادر قال: إن اسمه محمد الجبري. أما العمانيون فقالوا: إن اسم الوالي العماني على البحرين هو: محمد بن ناصر الغافري فإن كان الجبري غافرياً فالمسألة محسومة وهناك تطابق بين الروايات الثلاث؟

---

(١) ابن زريق: حميد بن محمد، الفتح المبين في سيرة السادة البورسعيديين، تحقيق عبد المنعم عامر، ط٥، صحار، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، ص٣٣٦؛ الأزكوي، المصدر السابق، ص ص ١١١- ١١٢.

(٢) ابن زريق: المصدر السابق، ص ص ٣٣٦-٣٣٧.

١ • ما هي الغافرية: هي حلف قبلي يضم القبائل السنية المذهب وغالبيتها العظمى من أصول عدنانية مثل: الجبور، آل نعيم، آل قتب، بني ياس، بني خالد، بني كلبان، بني غافر، بني مهير. وكانت زعامة هذا الحلف للجبور(١).

ولذلك نجد أن المصادر العمانية تطلق على الجبور تسميات منها: الهلاليون: نسبة إلى جدهم هلال بن زامل الجبري.

والنزاريون: لكونهم من أصول عدنانية.

والغافريون: نسبة إلى الحلف الغافري.

٢ • لقد مرَّ معنا في الرواية العمانية السابقة: أن ناصر بن محمد بن ناصر والي البحرين، قد صاهر الإمام أحمد بن سعيد البوسعيدي. وفي حديث السيابي، عن ابنه الإمام سلطان بن أحمد ١٢٠٦هـ/١٧٩٢م- ١٢١٩هـ/١٨٠٤م وصفه بأنه: كان صاحب همة عالية، وعزيمة طائلة، وكيف لا؟ وأبوه أحمد بن سعيد، وأخواله آل محمد بن ناصر من الجبور(٢).

٣ • مرَّ معنا، أن ناصر بن محمد بن ناصر حينما رجع من البحرين، سكن الظاهرة في حصن الغبي، وتزعَّم القبائل الغافرية.

ومن المعلوم أن هذا الحصن للجبور، وكذلك زعامة الحلف الغافري(٣).

٤ • عند حديث السيابي(٤) عن نسب بني غافر تارة ينسبهم إلى قريش،

---

(١) السالمي: المصدر السابق، ج٢، ص١٢٥-١٣٣؛
السيابي: المرجع السابق، ج٣ ص٢١٠، ج٤، ص١٥٥.

(٢) المرجع السابق: ج٤، ص٢٢٣.

(٣) المرجع السابق: ج٤، ص١٥٦.

(٤) السيابي: سالم بن حمود، إسعاف الأعيان بأنساب أهل عمان، منشورات المكتب =

وتارة أخرى ينسبهم إلى عامر بن صعصعة، ثم يقول اختلطوا حابلاً بنابل.

من هذه الدلائل يتبين لنا أن الشيخ محمد بن ناصر الغافري كان جبرياً.

٥ • ذكر النبهاني في مقالته: أن جيش الشيخ الجبري الذي دافع عن البحرين ضد الغزو الفارسي، كان يتكون في غالبيته من قبيلة آل مهير. ومن المعروف أن هذه القبيلة هي إحدى قبائل حلف النزارية (الغافرية)، الذي يتزعمها الجبور في منطقة الظاهرة في عمان.

وهذا يدل على أن الشيخ الجبري وجيشه قدم من عمان مع حملة الإمام سلطان بن سيف اليعربي التي أشرنا إليها، وليس من الأحساء.

٦ • تسكت المصادر العمانية عن ذكر الشيخ محمد بن ناصر (الجبري) الغافري بعد توليه حكم البحرين، حتى ظهر فجأة على مسرح الأحداث في عمان سنة ١١٣٤هـ/ ١٧٢١م. وتزعم القبائل الغافرية ضد حلف القبائل الهناوية، ودخل معترك النزاع الدامي بين اليعاربة على الحكم، واستطاع أن يقصي الجميع، ويتولى الإمامة في عمان في ٧/ ١/ ١١٣٧هـ-٢٦/ ٩/ ١٧٢٤م، حتى قتل في ١٠/ ٨/ ١١٤٠هـ/ آذار (مارس) ١٧٢٨[١].

والذي نراه: أنه حينما أراد والي البحرين محمد بن ناصر (الجبري) الغافري تحقيق طموحاته في الوصول إلى الحكم في عمان، استخلف ابنه ناصر بن محمد بن ناصر مكانه وغادر إلى عمان سنة ١١٣٤هـ/ ١٧٢١م. للمشاركة في الصراع هناك.

= الإسلامي، بيروت، د.ت.، ص ص ١٨، ٥٩.

(١) السيابي: المرجع السابق، ج٤، ص٦٤.

تدل القرائن أن الشيخ محمد بن ناصر (الجبري) الغافري وابنه ناصر هما من حكم البحرين في تلك الفترة. وبالرجوع إلى مشجر نسب الجبور الهلاليين نجد تكراراً لاسمي ناصر بن محمد ومحمد بن ناصر، وخصوصاً في أحفاد الشيخ محمد بن جفير (جيفر) بن علي بن هلال. الأمر الذي يجعلنا نرجح أنهما من هذا الفرع بالذات.

أما الفترة التي حكم فيها كل من محمد بن ناصر الجبري، وابنه ناصر البحرين، فسنحاول تحديدها ولو بشكل تقريبي بعد مناقشة المقالات السابقة:

- إن التواريخ التي أوردها النبهاني[١] للأحداث في هذه الفترة لا يمكن الركون إليها، فمثلاً ذكر ان الشيخ الجبري حكم البحرين بعد سنة ١١١٠هـ/١٦٩٨م. وأن الذي أخذ البحرين منه الشاه عباس الثاني الصفوي. مع أن الشاه عباس الثاني متقدم على هذا التاريخ حوالي قرن من الزمن. إذ حكم خلال الفترة ٩٩٥-١٠٣٨هـ/ ١٥٩٦-١٦٢٨م[٢]. كما ذكر أن احتلال البحرين من قبل سلطان بن سيف اليعربي كان عام ١١٥١هـ/١٧٣٧م. مع أنه قد توفي قبل هذا التاريخ بعشرين عاماً ١١٣١هـ/١٧١٨م.

- أما آل عبد القادر فجعل بداية ولاية الشيخ محمد الجبري على البحرين عام ١١٢٣هـ/١٧٠٩م وهي قريبة من الحدث ولكنها ليست دقيقة.

- أما المصادر العمانية فقد حصرت احتلال البحرين في عهد

---

(١) التحفة النبهانية، ص ص ٧٤-٧٨.

(٢) The New Caxton Encyclopedia. Vol. I. P.4.

الإمام سلطان بن سيف الثاني ١١٢٣هـ/ ١٧٠٩-١١٣١هـ/ ١٧١٨م. دون تحديد لبدايته أو نهايته[١].

- ويرى ويلسون[٢]: أن احتلال العمانيين للبحرين كان عام ١١٣٠هـ/ ١٧١٧م. مستغلين ضعف الشاه حسين الصفوي، واحتلال الأفغانيين لبلاد فارس خلال الفترة ١١٣٣-١١٤٣هـ/ ١٧٢٠-١٧٣٠م. حتى جاء الشاه نادر شاه وطرد الأفغان من بلاده، وأعلن نفسه شاهاً على فارس عام ١١٤٩هـ/ ١٧٣٦م.

- ويرى لوريمر[٣] أن بداية احتلال العمانيين للبحرين كان عام ١١٣١هـ/ ١٧١٨م. وإعادة احتلال البحرين من قبل الفرس كان عام ١١٤٩هـ/ ١٧٣٦م. وتابعه على ذلك أبو حاكمة[٤].

- والذي نرجحه أن بداية احتلال العمانين للبحرين كان سنة ١١٣٠هـ/ ١٧١٧م. وليس ١١٣١هـ/ ١٧١٨م لأن الإمام سلطان بن سيف الثاني قتل في الأشهر الأولى من تلك السنة[٥]. ولذلك يمكننا اعتبار هذا التاريخ بداية حكم الجبور للبحرين في هذه الفترة.

أما نهاية حكم الجبور للبحرين فلم تكن على يد الفرس كما مر معنا في أغلب المصادر والمراجع التي ذكرناها، لأن الدولة الفارسية في عهد الشاه حسين الصفوي لم يكن لديها أسطولاً بحرياً في الخليج؛ وإنما القوة

---

(١) السيابي: المرجع السابق، ج٣، ص٢٦٨، ج٤، ص ١٨، ٢٦.

(٢) سير أرنولد ويلسون، تاريخ الخليج، ترجمة محمد أمين عبد الله، دار الحكمة، لندن، ط١، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، ص ص ١٥١، ١٥٣.

(٣) دليل الخليج العربي، ج١، ص٨٣٦-٨٣٧.

(٤) أبو حاكمة، أحمد مصطفى، تاريخ الكويت، الكويت، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م، ج١، ص٦٧.

(٥) السيابي: المرجع السابق، ج٤، ص٢١.

البحرية كانت لدى الإمارات العربية المطلة عليه. وقد استغل الشيخ جبارة الهولي[١] من عرب الساحل الشرقي للخليج فترة ضعف الدولة الصفوية في عهد هذا الشاه وكذلك انشغال عمان بفتنتها الداخلية على الحكم، بعد وفاة الإمام سلطان الثاني بن سيف. فوجدها فرصة مناسبة لاحتلال البحرين، فلما هاجمها تحصن أميرها ناصر بن محمد بقلعتها، وحين طال حصاره ويئس من وصول المدد من عمان، فاوض الشيخ جبارة، وسلمه البلد مقابل مبلغ من المال، وغادرها إلى عمان، ولو كان المهاجمون من الفرس لما سمحوا له بالخروج بماله منها. فحكمها الشيخ جبارة مستقلاً بها عن الفرس[٢].

يمكننا تلخيص ما توصلنا إليه من نتائج على النحو التالي:

١ • ولاية الشيخ محمد بن ناصر الجبري (الغافري) على البحرين):

احتل الإمام سلطان الثاني بن سيف اليعربي البحرين من الصفويين عام ١١٣٠هـ/١٧١٧م. وعين عليها الشيخ (محمد بن ناصر الجبري) الغافري حاكماً. الذي بنى قلعتين إحداهما تسمى قلعة عراد[٣] وفي السنة التالية ١١٣١هـ/١٧١٨م. قُتل الإمام سلطان الثاني ودب النزاع بين أفراد أسرة اليعاربة على الحكم في عمان.

استقل الشيخ محمد الجبري بحكم البحرين، ثم غادرها عام ١١٣٤هـ/١٧٢١م للمشاركة في أحداث عمان. واستخلف ابنه ناصراً عليها.

---

(١) تطلق كلمة الهولة (الحولة) على العرب الذين تحولوا إلى شاطئ البر الفارسي من الخليج العربي.

(٢) ابن رزيق المصدر السابق، ص٣٣٦؛ النبهاني، المرجع السابق، ص٧٧.

Lockhart, L. Nadir, shahs' Campaigns. (London 1938) P.160.

(٣) النبهاني، التحفة، ص٧٨؛ آل عبد القادر، تحفة المستفيد، ص٦.

٢ • ولاية الشيخ ناصر بن محمد بن ناصر الجبري على البحرين:

تولى الشيخ ناصر بن محمد الجبري البحرين خلفاً لأبيه، مستقلاً بها عن عمان، إذ أنه لم يكن يرسل من خراجها شيئاً إلى عمان. واستوزر الشيخ (فرير بن رحال)[١] ثم قتله بسبب خيانته. ثم حاصره الشيخ جبارة الجبري (الهولي)، وفاوضه على أن يترك البحرين مقابل مبلغ من المال عام ١١٣٧هـ/ ١٧٢٤م. لما يئس الشيخ ناصر من وصول نجدة إليه من عمان قبل العرض، وغادرها إلى عمان[٢].

• ولاية الجبور (الهولة) على البحرين:

ينتسب (النصور) إلى بطن الجبور من بني خالد، ولا يعتد بقول المستشرق نيبور: بأنهم من عرب المطاريش من عمان[٣]. وربما التبس عليه الأمر لأنهم كانوا يساكنونهم في نفس مدينة (أبي شهر)، وبينهم حلف،ومصاهرات[٤]. وقد تابعه على هذا الخطأ بعض الباحثين المعاصرين[٥].

---

(١) تعتبر أسرة آل رحال من كبار تجار اللؤلؤ في القطيف أثناء حكم الجبور، ثم هربوا إلى البحرين أثناء إمارة مانع بن راشد (٩٤٦-٩٥١هـ) ونرجح أن خروجهم، حدث عام ٩٥٠هـ/ ١٥٤٣م. انظر الحميدان، امارة آل شبيب ص١٤٩.

(٢) الملا، تاريخ هجر، ج١، ص١٩١. أما قصة إمرأة الوزير مع الشيخ الجبري فلا تعدو كونها اسطورة شعبية لم تثبت أمام الحقائق التاريخية.

(٣) Niebuhr, Description P.273

(٤) المصان: جابر بن عبد الخضر، عقد جيد الدرر في معرفة حساب نوروز أهل البحر، تحقيق علي أبا حسين، مجلة الوثيقة البحرينية العدد الثاني، السنة الأولى، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ص٩٣.

(٥) أبو حاكمة: تاريخ الكويت، ج١، ق١، ص١٤٥؛ الخصوصي، بدر الدين، دراسات في تاريخ الخليج العربي، ج١، ط١، ذات سلاسل الكويت، ١٩٨٤م، ص١٠٩.

كانت مساكنهم سابقاً في منطقة القطيف، وتذكر وثيقة عثمانية[1] أن الشيخ مهنا بن خالد حاكم لواء (المام) (أم الخمام) التابع للقطيف انضم بقواته إلى زعيم بني خالد القوي الشيخ سعدون آل حميد في التصدي لغزوة قام بها شيخ المنتفق محمد بن عثمان آل شبيب، ومعه قبائل شمر وبني لام، وهاجم العماير من بني خالد ونهبهم عام ٩٨٦هـ/ ١٥٧٨م. وقرر الاستيلاء على الأحساء. ولكن بني خالد هزموهم ونهبوا معسكرهم وتخلت قبائل شمر وبني لام عن المنتفق وانضموا إلى قوات الشيخ مهنا بن خالد.

ونرجح أن الشيخ مهنا بن خالد من بقايا الزعامات الجبرية في منطقة القطيف، وأنه أحد أجداد الشيخ جبارة (الهولي) بن ياسر بن منصور بن خالد بن مهنا بن (خالد). والشيخ جبارة عاش في النصف الأول من القرن الثاني عشر الهجري. إذ أن خمسة أجيال تغطي مدة (١٥٠) سنة لأن كل جيل يغطي (٣٠) سنة في المتوسط عند المؤرخين.

وقد ذكر الشيخ محمد بن عيسى آل خليفة[2] أن مساكنهم سابقاً كانت في قرية الجعيمة (اليعيمة) في منطقة القطيف، ثم نزحوا إلى الزبارة في قطر. ومن هناك انتقلوا إلى بر فارس، واستقروا في مكان يسمى (كلاتوه). وكان كبيرهم الشيخ خالد بن مهنا الجبري، ثم ابنه منصور وبه .عوا (النصور)، ثم خلفه في المشيخة ابنه ياسر، فلما تكاثروا وضاق عنهم المكان انتقل بهم إلى منطقة (القابندية)، و(الطاهرية)، وبندر (كنكون)، وصاروا حكاماً للقابندية[3]. وبما أن

---

(١) مهمة دفتري (٣٥) حكم (٦٩٢) بتاريخ شعبان سنة ٩٨٦هـ. نقلاً عن الوهبي، عبد الكريم، بنو خالد وعلاقتهم بنجد، ص١٣٤.

(٢) انظر صورة الوثيقة التي كتبها الشيخ محمد بن عيسى آل خليف في الملاحق ص٢٧٠.

(٣) صديق: عبد الرزاق محمد، صهوة الفارس في تاريخ عرب فارس، الشارقة، مطبعة =

الشيخ جبارة بن ياسر عاش في النصف الأول من القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي فيمكننا تحديد فترة هجرتهم على وجه التقريب ببداية القرن الحادي عشر الهجري. باعتبار الشيخ خالد بن مهنا جده الثالث، وكل ثلاثة أجيال يعيشون قرناً من الزمن في المتوسط.

- **ولاية الشيخ جبارة بن ياسر الجبري (الهولي) على البحرين:**

بولاية الشيخ جبارة على البحرين، انتقلت السلطة فيها من الجبور (العمانيين) إلى الجبور (الهولة) عام ١١٣٧هـ/ ١٧٢٤م. وقد استمر في حكم البحرين حتى هاجمها نادر شاه الأفشاري ملك إيران عام ١١٥٠هـ/ ١٧٣٧م. أثناء فترة غياب الشيخ جبارة لتأدية فريضة الحج، فانتزعها من نائبه الذي لم يتمكن من صد الهجوم الفارسي عليها، بقيادة ميرزا تقي الدين والي شيزار[١] وهكذا خضعت البحرين للاستعمار الفارسي مرة أخرى. عاد الشيخ جبارة الجبري من الحج، واستقر بالقطيف التي كانت تابعة لدولة آل حميد من بني خالد في عهد الأمير سليمان بن محمد بن غرير (١١٤٢هـ/ ١٧٣٠م-١١٦٦هـ/ ١٧٥٣م) الذي رحب به وقدم له المساعدة والدعم، فقام بحملة لاستعادة البحرين من العجم. ولكنه لم يتمكن من احتلالها وعاد إلى القطيف. وبعد مقتل نادر شاه عام ١١٦٠هـ/ ١٧٤٧م. عاد إلى بلدة الطاهرية في بر فارس، وتوفي هناك[٢].

= المعارف، ١٤١٥هـ، ص ١٠٣-١٠٤؛ حاتم محمد غريب، تاريخ عرب الهولة، دراسة تاريخية وثائقية، الكويت، ص٤٧.

(١) النبهاني، التحفة، ص٧٨؛ آل عبد القادر، تحفة المستفيد. ص٦ .

(٢) صديق: صهوة الفارس، ص١٠٤-١٠٥.

- **ولاية الشيخ نصر بن مذكور النصوري الجبري للبحرين:**

كان الشيخ نصر بن مذكور حاكماً لميناء (أبو شهر). وبعد مقتل نادر شاه وتسلم خلفه كريم خان الزندي مقاليد الحكم في إيران عام ١١٧٠هـ/ ١٧٥٧م. عاشت فارس في فوضى عارمة[١] امتدت لمدة عشر سنوات.

استغل الشيخ نصر انشغال الإيرانيين بحروبهم الداخلية، وجهز اسطوله وهاجم البحرين واحتلها عام ١١٦٦هـ/ ١٧٥٣م[٢]، وطرد الفرس منها واستقل بها عن النفوذ الفارسي، حتى تمت سيطرة كريم خان على ايران عام ١١٧٠هـ/ ١٧٥٧م حيث أصبح النفوذ الفارسي على البحرين يتمثل بدفع ضريبة سنوية فقط لحكومة فارس. وقد استمر حكم آل مذكور لجزيرة البحرين مع أبي شهر حتى كان آخر حكامها الشيخ غيث بن ناصر، ثم أخيه الشيخ نصر، ويبدو أن آل مذكور توقفوا عن دفع الضريبة السنوية لدولة فارس منذ عام ١١٩٣هـ/ ١٧٧٩م. كما تفيد السجلات المالية. حيث شهدت إيران حروباً داخلية، فاستقلوا بالجزيرة عن النفوذ الفارسي، حتى أخذها منهم آل خليفة عام ١١٩٧هـ/ ١٧٨٣م[٣].

ثانياً: نشاط الجبور في قطر

كانت شبه جزيرة قطر تابعة للأحساء طوال فترة السلطنة الجبرية (٨٢٠-٩٣٢هـ/ ١٤١٧-١٥٢٥م). وأول والٍ عليها من الجبور كان في عهد السلطان أجود بن زامل هو ابنه الأمير زامل بن أجود، وكان مقره في ميناء سلوة[٤].

---

(١) ويلسون، تاريخ الخليج، ص١٥٦؛ أبو حاكمة، تاريخ الكويت، ج١، ق١، ص١٤٤.

(٢) لوريمر، دليل الخليج، ج١، ص٧٣٨؛ أبو حاكمة المرجع نفسه ج١، ق١، ص١٤٥.

(٣) المصان: مصدر سابق، ص١٠٩، هـ٢٢.

(٤) الحميدان: إمارة الجبور، ص٤٨-٤٩.

وما يهمنا هنا هو نشاط الجبور السياسي في قطر في دورهم الثاني بعد زوال دولتهم في الأحساء سنة ٩٣٢هـ/ ١٥٢٥م.

تشير بعض المصادر والمراجع - التي تيسر لنا الإطلاع عليها - أن آل مسلم هم الذين كانوا يحكمون قطر قبل بروز أسرة آل ثاني كحكام لقطر[١].

● ولاية آل مسلم الجبريين على قطر:

لنا أن نتساءل متى بدأ استيطان آل مسلم في قطر، وكونوا إمارتهم فيها؟

إن أقدم إشارة لدينا إلى أسرة آل مسلم الجبريين وردت في إحدى الوثائق البرتغالية[٢] المترجمة عن الرسالة التي بعثها الرئيس ركن الدين بن بهاء الدين وزير هرمز إلى الرئيس السابق شرف الدين لطف الله الفالي، والتي يبدو من محتوياتها أنها كتبت حوالي عام ٩٥٠هـ/ ١٥٤٣م. وقد ورد فيها ما يلي:

«بعض رجال الشيخ مانع (ابن راشد آل شبيب) وأفراد من حاشيته بعد أن علموا بنواياه بمحاربة المسلمين في البحرين أخذوا ينفضون عنه. وفروا إلى البحرين بصحبة أبنائهم وزوجاتهم. وكان على رأس هؤلاء الفارين محمد بن رحال، وحسين بن رحال وذويهم، حيث وضعوا أنفسهم جميعاً تحت حماية حاكم البحرين. كما أن أحد زعماء العرب البارزين المدعو الشيخ محمد بن مسلم نزح هو الآخر إلى البحرين مع قومه، وبالرغم من كونه من سكان الأحساء».

---

(١) آل عبد القادر، تحفة المستفيد، ص٢٤؛ مصطفى أحمد عبد الرحيم، نشوء قطر وتطورها. ط١، ذات السلاسل، الكويت، ١٩٧٧م، ص ٣٩.

(٢) الحميدان، إمارة آل شبيب، ص١٥١؛ وانظر ترجمة أحمد بوشرب للنص في مجلة الوثيقة البحرينية، ع ٤، س٢، يناير ١٩٨٤، ص١٣٤.

فالنص يشير صراحة إلى نزوح آل مسلم بزعامة شيخهم محمد بن مسلم من الأحساء إلى البحرين، أثناء حكم الشيخ مانع بن راشد بن شبيب (شيخ قبيلة المنتفق) للأحساء خلال الفترة (٩٤٦هـ/ ١٥٤٠م- ٩٥١هـ/ ١٥٤٥م). ولكن نزوح آل مسلم كان من منطقة القطيف، لأنه حدث بعد احتلال القطيف. ولو كانوا من سكان الأحساء لنزحوا منها منذ احتلالها من قبل آل شبيب عام ٩٣٢هـ/ ١٥٢٥م. وكاتب الوثيقة ذكر الأحساء على اعتبار أن القطيف تابعة لها.

كان آل مسلم مستقرين في منطقة القطيف في كل من عنك والجعيمة، وجزيرتي جنة والمسلمية التي اتخذت اسمها منهم. وكانوا يمتهنون الغوص. وقد آلت ملكية جزيرتي (جنة والمسلمية) بعد نزوحهم للعماير من بني خالد؛ فلما حكم الشيخ براك بن غرير آل حميد ألزمهم بدفع تعويضات عنهما[١]. ويبدو أن عملية النزوح، هذه كانت قبل كتابة الرسالة بفترة وجيزة في نفس العام ٩٥٠هـ/ ١٥٤٤م. ولا أعتقد أن سبب النزوح الذي ذكره كاتب الوثيقة: هو نية الشيخ مانع بن راشد محاربة أهل البحرين، هو السبب الحقيقي وراء نزرحهم من أوطانهم، وترك ممتلكاتهم؛ ولكن يبدو أن الشيخ مانع بن شبيب قد ضيق على الجبور، ونزع ملكياتهم الزراعية، مما دفعهم إلى الهجرة.كما أن الرواج التجاري الذي كان سائداً في عهد الجبور لم يعد موجوداً في ظل حكم آل شبيب للمنطقة، إضافة إلى إمكانية زيادة الضرائب على التجارة، الأمر الذي دفع بكبار التجار مثل آل رحال الذين كانوا من كبار تجار القطيف إلى النزوح إلى البحرين أيضاً.ونرجح أن هجرة آل مسلم إلى قطر كانت من البحرين، وليست من القطيف، أو الأحساء مباشرة. مع العلم أنه يوجد بعض الأسر من آل مسلم لا يزالون يقيمون في قرية الجشة

---

(١) الخالدي: سعود بن زيتون، محطات تاريخية، ص٢٦٠.

بالأحساء[١]. ونرجح أن هجرتهم إليها كانت عكسية من قطر، سيما وأن هذه القرية تقع في الطرف الشرقي من الأحساء[٢]، وقريبة من ميناء العقير وسواحل قطر.

والمصادر التي تيسر لنا الإطلاع عليها، لا تمكننا من تحديد تاريخ انتقال آل مسلم إلى قطر على وجه التحديد. إلا أن وثيقة عثمانية مؤرخة في سنة ٩٦٢هـ/ ١٥٥٥م. تشير إلى وجودهم في قطر بزعامة شيخهم القوي محمد بن سلطان بن مسلم، وقد كانوا يمارسون التجارة والنقل البحري والغوص ولديهم حوالي ألف سفينة[٣].

الأمر الذي يجعلنا نرجح أن انتقال آل مسلم من البحرين إلى قطر كان قبل هذا التاريخ بمدة لا تقل عن عشر سنوات حتى تمكنوا من ترتيب أوضاعهم هناك. وهذا يعني أن مدة مكوثهم في البحرين كانت قصيرة. وعلى ضوء ذلك يكون تاريخ انتقالهم إلى قطر بعد عام ٩٥٠هـ/ ١٥٤٤م. ولكن هل كان زعيمهم هذا هو نفسه الشيخ محمد بن مسلم الذي انتقل بهم من القطيف إلى البحرين؟ أم هو أحد أحفاده؟ والراجح لدي أنه هو نفسه، إذ لا يفصل بين التاريخين إلا سبعة عشر عاماً فقط. ومن المعروف أن الزعامات القبلية مدى الحياة. ومن المؤسف أن مصادرنا - التي تيسر لنا الإطلاع عليها- خلت من ذكر أسماء أمراء آل مسلم في قطر، وفترات حكمهم، ما عدا شيخهم محمد بن سلطان بن مسلم الآنف الذكر، الذي نزح بهم من القطيف إلى البحرين، ثم إلى قطر في منتصف القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي.

---

(١) آل عبد القادر، المرجع السابق، ص٤٠. وانظر أيضاً؛ الجاسر؛ حمد، أنساب الأسرة المتحضرة في نجد ج٢، مادة مسلم.

(٢) آل عبد القادر، نفس المرجع والصفحة.

(٣) ابن سيار: نبذة في أنساب أهل نجد، ص١٠٥، هـ٢.

● آل مسلم في ظل دولة آل حميد الخالديين:

تولى الشيخ براك بن غرير آل حميد الخالدي حكم الأحساء حوالي عام ١٠٧٧هـ/ ١٦٦٧م. وكان آل مسلم هم زعماء قطر في ذلك الوقت. فأسند إليهم ولايتها وجباية خراجها، فأصبحوا تابعين لبني عمومتهم أمراء بني خالد منذ ذلك الحين[١].

ذكر لوريمر[٢] أن آل مسلم كانوا يقيمون في (الحويلة)، وكانت أكبر مدينة على الساحل في قطر عام ١١٨٠هـ/ ١٧٦٦م. وآل أبو عينين من الصبيح من بني خالد كانوا يقيمون في (الوكرة).

وقد استوطن آل خليفة من العتوب في (الزبارة) تلك السنة بعد هجرتهم من الكويت.

ذكر صاحب لمع الشهاب[٣] الذي ألف كتابه عام ١٢٣٣هـ/ ١٨١٧م. أن آل مسلم كانوا أكبر قبيلة في قطر. وكانت مساكنهم في قريتي (فريحة والفويرط). ومن أهم القبائل المتواجدة معهم في قطر، قبيلة المعاضيد في قريتي (الرويضة والمطيبخ). وآل أبي حسين في قرية (اليوسفية). والسودان (آل السويدي) في (الدوحة).

وقد ساهم استيطان آل مسلم في قطر بتطوير المنطقة تجارياً وزراعياً، حيث أصبح لقطر مكانة اقتصادية مرموقة في ذلك العصر[٤].

---

(١) الريكي، حسن بن جمال بن أحمد، لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب، تحقيق عبد الله العثيمين، دارة الملك عبد العزيز، الرياض، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م، ص٢٥٣.

(٢) العناني، أحمد، قطر في دليل الخليج، ط١، الدوحة، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، ص ص ٧، ١٨٤.

(٣) المصدر السابق، ص٢٧١.

(٤) عبد الرحيم، عبد الرحيم، الدولة السعودية الأولى، ط٤، القاهرة، ١٩٧٩م، ج١، ص٩٧.

- **آل مسلم في ظل الدولة السعودية:**

بعد زوال دولة آل حميد في الأحساء، واستقرار الوضع لصالح الدولة السعودية الأولى عام ١٢٠٨هـ/ ١٧٩٣م. قام القائد السعودي إبراهيم بن عفيصان بمهاجمة قطر في آواخر عام ١٢٠٧هـ/ ١٧٩٢م. وتمكن من إجلاء آل خليفة من قلعتهم في الزبارة إلى البحرين. وخضعت قرى وبلدات قطر للسعوديين[١]. حتى اضطرت الدولة السعودية الأولى للإنسحاب من قطر عام ١٢٢٦هـ/ ١٨١١م. لتدعيم الجبهة الغربية لمواجهة حملات محمد علي باشا والي مصر عليها[٢].

وقد ذكر أبوحاكمة[٣]: في معرض حديثه عن فترة إقامة العتوب في الزبارة، ما يفيد أن آل مسلم كانوا يقومون بجباية الزكاة من السكان في قطر.

وقد استمرت إمارة آل مسلم الجبريين في قطر لمدة ثلاثة قرون تقريباً متكيفةً مع الظروف، فانضوت تحت مظلة دولة بني خالد في الأحساء[٤] ثم الدولة السعودية الأولى، حتى زال نفوذها.

- **زوال نفوذ آل مسلم في قطر:**

في يناير ١٢٣٨هـ/ ١٨٢٣م. قام الملازم ماكلاود المقيم البريطاني في الخليج حينئذٍ بزيارة لمدينة البدع (الدوحة حالياً)، ووجدها أكبر

---

(١) ابن غنام، حسين، تاريخ نجد المسمى روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الأمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام. تحقيق ناصر الدين الأسد، مطبعة المدني، القاهرة، ١٣٨١هـ/ ١٩٦٢م. ص١٨١-١٨٥؛ عبد الرحيم، المرجع السابق، ص٨٩، ٩٧ - ٩٨.

(٢) العناني، قطر في دليل الخليج، ص١٢-١٣؛ عبد الرحيم المرجع السابق، ص٩٧.

(٣) تاريخ الكويت، ج١، ص١٣٤.

(٤) الريكي: لمع الشهاب، ص٢٥٣.

ميناء في قطر ترسوا فيه السفن التجارية. وكانت تحت حكم شيخ من آل (بو عينين) من الصبيح من بني خالد. وهذا يعني انتقال الزعامة من آل مسلم الجبريين إلى آل بو عينين من الصبيح[1] من بني خالد. وفي عام ١٢٦٦هـ/ ١٨٥٠م. انتقل عدد من آل مسلم من الفويرط والحويلة إلى الدوحة، وبنوا قلعة آل مسلم التي عرفت حالياً باسم (قلعة الدوحة). كما أسسوا حي الدويحة فيها[2]. ولكن يبدو أن نفوذ آل مسلم في قطر قد ضعف بعد زوال دولة آل حميد من بني خالد في النصف الأول من القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي. ثم برزت أسرة آل ثاني كحكام لقطر في الربع الأخير من القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي.

---

(١) العناني: المرجع السابق، ص١٧.

(٢) المرجع نفسه، ص١٨٥.

الفصل السادس

نفوذ الجبور في عُمان بعد زوال دولتهم في الأحساء

استمر نفوذ الجبور السياسي في بلاد عُمان بعد زوال دولتهم في الأحساء سنة ٩٣٢هـ/ ١٥٢٥م. على يد الشيخ راشد بن مغامس آل شبيب، وكانوا يحكمون أجزاء من عُمان بما يشبه دويلات المدن.

وقد تمثّل هذا النفوذ في عقب هلال بن زامل بن حسين بن ناصر الجبري، وهو أخ السلطان أجود الجبري. وشارك في عهده في فتح عمان وظفار، وبعض الأجزاء الشرقية من اليمن كما مرّ معنا.

وقد تركز هذا النفوذ في يد أولاد علي بن هلال الذين كانوا يشكلون مجموعتين:

الأولى: بزعامة محمد بن جفير (جيفر) بن علي بن هلال وكان مقرها عمان الداخل.

الثانية: بزعامة أولاد قطن بن علي وهم: علي وقطن وناصر. وكان علي قد ولي إمارة الجبور في الأحساء لفترة قصيرة، ثم تنازل عنها لابن عمه قضيب بن زامل بن هلال الجبري. وكانت الأحساء قاعدتهم التي ينطلقون منها إلى الظاهرة (عمان الشمالي). ونظراً للبعد الجغرافي بين هاتين المجموعتين، فلا بد وأن تتأثر كل مجموعة بالمحيط الذي تعيش فيه بفعل الروابط الاجتماعية والاقتصادية والتحالفات القبلية، والسياسية

المتشابكة. وهذا بالضرورة سيؤثر في وجهات نظر زعامة كل مجموعة من هاتين المجموعتين. وبالتالي تباين موقفها من الأحداث في المنطقة.

- **نفوذ الجبور قبل قيام دولة اليعاربة:**

بدأ نشاط الجبور في عمان واضحاً في النصف الثاني من القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي. فقد وثب الشيخ محمد بن جفير بن علي بن هلال الجبري على الإمام الإباضي بركات بن محمد بن إسماعيل، وانتزع منه حصن (بهلا) مقر الإمام في حدود عام ٩٦٥هـ/ ١٥٥٧م. ثم باعه إلى آل عمير بثلاثمائة لك (ثلاثة ملايين)[١]. وقد استغل حالة الضعف والفوضى التي كانت تعاني منها الإمامة، حيث تمت مبايعة ثلاثة أئمة في عهد واحد؛ فإضافة إلى بركات كان هناك عمر بن القاسم الفضيلي، وعبد الله بن محمد القرن[٢].

استغل النبهانيون هذا الظرف، فاحتلوا مدينة (نزوى). ولكن الزعيم الجبري محمد بن جفير استمال الإباضية إلى جانبه، وجمع جيشاً هاجم به نزوى فأخذها من النبهانيين. فتحالف كل من سليمان بن مظفر النبهاني - الذي بويع ملكاً في عمان عام ٩٨٠هـ/ ١٥٧٢م.- وناصر بن قطن بن علي بن هلال الجبري، وأخوه قطن بن قطن ضد ابن عمهم محمد بن جفير بن علي بن هلال متملك نزوى. ودارت معركة حامية بين الطرفين - وقف فيها أولاد قطن على الحياد - قتل فيها محمد بن جفير الجبري. وبعد مقتله، تدخل أبناء قطن لوقف القتال، وسقطت نزوى بيد سليمان بن مظفر النبهاني سنة ٩٨٥هـ/ ١٥٧٧م[٣]. وصاهر سليمان النبهاني في

---

(١) السالمي: تحفة الأعيان، ج١، ص٣٩٤-٣٩٥؛ الأزكوي، المرجع السابق، ص٧٣-٧٤؛ السيابي، عمان عبر التاريخ، ج٣، ص١٣٧.

(٢) السيابي: نفس المرجع، ج٣، ص ص ١٣٦-١٣٧.

(٣) السالمي: المصدر السابق، ج١، ص٣٩٦؛ الأزكوي، المصدر السابق، ص٨١؛ =

الجبور ليقوي حلفه معهم. وكان يشتي عندهم في الظاهرة، ويصيف في بهلا.

وبعد مقتل محمد بن جفير تزعم ابنه محمد بن محمد بن جفير مجموعة أبيه من الجبور[1]. ومن الجدير بالذكر أن علي بن قطن الجبري كان حليفاً لمالك بن أبي العرب- جد الأسرة اليعربية التي حكمت عمان فيما بعد - وحاكم مدينة الرستاق، وكان يتزعم الحلف الهنائي الذي يضم القبائل اليمانية، وقد استطاع بهذا التحالف احتلال نزوى، وبهلا وعدد من الحصون التي كانت في حوزة سليمان بن مظفر النبهاني[2]. حاول محمد بن محمد بن جفير الجبري استغلال النزاع الحاصل بين النبهانيين لاحتلال مدينة (صحار) بالخديعة سنة ١٠٢٥هـ/ ١٦١٦م. فتظاهر لأميرها محمد بن مهنا الهديفي بأنه قادم لنجدته ضد خصمه عمير بن حِمْيَرَ. ودخل المدينة ولكن خطته لم تنجح إلا لفترة قصيرة، ثم أخرج منها[3].

يبدو في هذه الفترة أن مجموعتي الجبور قد توحدوا في كتلة واحدة ضد النبهانيين. وكان يتزعم هذه الكتلة كل من ناصر بن ناصر بن محمد بن قطن، وعلي بن قطن بن قطن بن قطن بن علي بن هلال ومحمد بن محمد بن محمد بن جيفر (جفير) بن علي بن هلال الجبري. فقد استصرخهم أهل

= السيابي المرجع السابق، ج٣، ص١٤٧.

(١) الأزكوي: المصدر السابق، ص ٨٢؛ السيابي، المرجع نفسه، ج٣، ص١٤٨ .

(٢) الأزكوي: المصدر السابق، ص٨٦؛ السالمي، المصدر السابق، ص٣٩١-٣٩٣؛ السيابي، المرجع السابق، ج٣، ص ص ١٥٤-١٥٥.

(٣) الأزكوي: المصدر السابق، ص٩٠؛ الحميدان، عبد اللطيف، نفوذ الجبور في شرق الجزيرة العربية بعد زوال سلطتهم السياسية سنة ٩٣١، مجلة كلية الآداب، جامعة البصرة، عدد ١٨ سنة ١٩٨١، ص ٢١١-٢٤٠.

حصن (ينقل) حينما هاجمهم نبهان بن فلاح النبهاني فهبوا لنجدتهم جميعاً، وهزموا قوات نبهان وشتتوها سنة ١٠٢٦هـ/ ١٦١٨م[١].

وفي هذا الظرف قال السيابي[٢]: «وصار ملك الظاهرة إلى آل هلال رهط الجبور». وعددت المصادر العمانية المدن والحصون الخاضعة لسيطرة الجبور في تلك الفترة فذكرت منها: سمد الشان، وأبرا، والغبي، وبات، وينقل، وجو (البريمي)، ولوى، ومقنيات، والأفلاج. وكانت موزعة بين كل من: علي بن قطن بن قطن الجبري، وناصر بن ناصر بن قطن الجبري، وقطن بن قطن بن قطن الجبري، ومحمد بن محمد بن جفير الجبري، وأخيه سيف بن محمد بن جفير الجبري[٣].

• نفوذ الجبور في عهد دولة اليعاربة:

كانت عمان في مطلع القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي تعيش فيما يشبه دويلات المدن في الداخل، والتنافس بين زعمائها على أشده. بينما مدن الساحل العماني تخضع للاحتلال البرتغالي. وفي هذا الظرف القاسي قيض الله لعمان رجلاً قوياً حازماً هو ناصر بن مرشد اليعربي الذي بويع بالإمامة عام ١٠٣٤هـ/ ١٦٢٤م[٤]. فاستطاع أن يوحد عمان الداخل. ثم التفت إلى عمان الظاهر الذي يهيمن عليه الجبور، فاصطدم معهم وقاتلوه بضراوة دفاعاً عن معاقلهم، وقد استمرت هذه الحرب القاسية سجالاً لعدة سنوات. وتشير المصادر

---

(١) الأزكوي: المصدر السابق؛ ص ٩٣؛ السالمي، المصدر السابق، ج١، ص٤٠٩؛ السيابي: المرجع السابق، ج٣، ص١٦٦-١٦٧.

(٢) المرجع السابق، ج٣، ص١٦٩.

(٣) السيابي: المرجع السابق، ج٣، ص١٧٩؛ الحميدان: المرجع السابق والصفحات.

(٤) الأزكوي: المصدر السابق، ص٩٤ وما بعدها؛ السيابي، المرجع السابق؛ ج٣، ص١٧٩-١٨٢؛ الوسمي، عمان بين الاستقلال والاحتلال، ص ٣٨- ٣٩.

العمانية في النهاية إلى تمكن قوات الإمام ناصر بن مرشد من السيطرة على جميع هذه الحصون[1].

ومن الجدير بالذكر أنه في هذه الفترة انفصلت مجموعتي الجبور السابقيتين، بعد مقتل محمد بن محمد بن جفير الجبري. وتحالف ناصر بن ناصر بن قطن الجبري مع الإمام ناصر بن مرشد اليعربي ضد الشيخ سيف بن محمد بن جفير الجبري -الذي خلف أخاه في الزعامة- فحاصروه في حصن (لوى) لمدة ستة أشهر، ثم خرج منه هو ورجاله. وتسلمت قوات الإمام حصن لوى فعين الإمامُ ناصراً بن ناصر الجبري أميرا عليه مكافأة له على مساندته لهم[2].

بعد أن تمكن الإمام ناصر بن مرشد من إخضاع مجموعة الجبور التي تزعمها آل محمد بن جفير الجبري، التفت إلى المجموعة التي يتزعمها حليفه ناصر بن ناصر بن قطن الجبري وأراد كسر شوكتها. فتحول الحلف بينهما إلى عداء، فانسحب ناصر بن ناصر بن قطن إلى الأحساء. ومن هناك أخذ يشن هجماته على عمان الشمالي والداخلي، وينهب مواشيهم ويقتل من يعترضه، ثم يعود قافلاً إلى الأحساء على ظهور ركائبه العمانية السريعة المسماة بالطيارات، حتى خافه الناس والتجأوا إلى المدن هرباً منه[3]. وكان يسانده في غزواته بنو خالد بزعامة محمد بن عثمان آل حميد. وفي إحدى غزوات محمد بن حميد أناخ قرب حصن الغبي، فأرسل إليه والي المنطقة للمفاهمة، ولكنه خدعه

---

(١) الأزكوي: المصدر السابق، ص٩٧-٩٩؛ السيابي، المرجع السابق، ج٣، ١٨٦-٢٠٢.

(٢) الأزكوي: المصدر السابق، ص١٠٠-١٠١؛ السيابي، المرجع السابق، ج٣، ص٢٠٢.

(٣) الأزكوي: المصدر السابق، ص١٠٣-١٠٤؛ السيابي، المرجع السابق، ج٣، ص٢٠٩-٢١٢.

فقبض عليه وأرسله إلى سجن الرستاق فبقي هناك حتى مات[١]. ويبدو أن ابن عمه قطن بن قطن بن قطن بن علي بن هلال كان يسانده أيضاً في غزواته، فقد وصفه الشاعر موافق بقوله[٢]:

نهابُ وهابُ ما تملك أنامله   محمودُ معروفٍ لي أنوى هيبة الوطن

غير الإمام ناصر بن مرشد خطط مرات لصد هجمات ناصر بن قطن الجبري. فتارة يجعل قوات ترابط لمراقبته والتعرض له، فيباغتها ويبيدها، وتارة يلجأ إلى هدم الحصون في منطقة الجو (البريمي) حتى لا يحتلها ناصر بن ناصر بن قطن ويتحصن بها عند اللزوم. ثم استعان بأقاربه من آل محمد بن جفير وتحالف معهم بزعامة كل من: عمير بن محمد بن محمد بن جفير الجبري، وأخويه جفير، وعلي للإغارة على إبل ناصر بن ناصر بن قطن بمنطقتي الظفرة والظاهرة خلال موسم الرعي. فأرسل سرية معها جفير بن محمد الجبري لأخذ إبل ناصر بن ناصر بن قطن وهي بالظفرة (الإمارات)، فتصدى لها حلفاء ناصر من بني ياس وقاتلوهم فرجعوا خائبين. ثم جمع قبائل الباطنة ومعهم عمير بن محمد الجبري، فأغاروا على إبل ناصر بن ناصر بن قطن وأخذوها وصارت عند عمير بن محمد الجبري، وبعد فترة وجيزة، هرب بها الراعي وأعادها إلى صاحبها[٣]. يبدو أن ذلك كان بتواطئ من عمير بن محمد لكي يعيد إبل ابن عمه إليه، وأن تلك الغارة كانت لإرضاء الإمام ناصر بن مرشد ليس إلا. ويبدو أن جميع هذه الخطط لم تجد نفعاً مع ناصر بن ناصر بن ناصر بن قطن العنيد. وقد كثرت غزواته وتعددت معاركه مع العمانيين بحيث لا

---

(١) الأزكوي، المصدر السابق، ص١٠٥.

(٢) الصويان: مرجع سابق، ص٣٥٠.

(٣) الأزكوي: المصدر السابق، ص١٠٥؛ السيابي، المرجع السابق، ج٣، ص٢٠٩-٢١٢.

يتسع المجال هنا لتعدادها[١]. ويبدو ان ناصراً كان مصماً على إرغام السلطان العماني على دفع مبالغ مالية إليه كإتاوة سنوية، كما كان يفعل الحكام السابقون منذ قرن ونصف، إذ كانوا يدفعون لزعماء الجبور رسوم حماية سنوية بموجب المعاهدة التي أبرمها السلطان أجود مع الامام عمر بن الخطاب الخروصي عام ٨٩٣هـ/ ١٤٨٧م.

وأخيراً اضطر الإمام ناصر بن مرشد إلى استرضاء ناصر بن ناصر بن قطن الجبري بالمال ولو لفترة[٢]، ثم تسكت المصادر عن ذكر غزواته، ويبدو أنه قد توفي. ثم لم يلبث الإمام ناصر بن مرشد أن توفي سنة ١٠٥٠هـ/ ١٦٤٤م.

تسكت المصادر العمانية عن نشاط الجبور من آل قطن. ويبدو أنهم استقروا في منطقة الأحساء وأصبحت الزعامة العليا لشيوخ بني خالد من آل حميد.حيث قامت دولتهم في الأحساء في بداية الربع الرابع من القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي.

● إمامة الشيخ محمد بن ناصر الجبري الغافري على عُمان:

لقد مرَّ معنا أثناء حديثنا عن نشاط الجبور في البحرين في دورهم الثاني ولاية الشيخ محمد بن ناصر الجبري الغافري للبحرين عام ١١٣٠هـ/ ١٧١٧م. بعد احتلالها من قبل الإمام سلطان الثاني بن سيف اليعربي، الذي توفي عام ١١٣١هـ/ ١٧١٨م، فدب النزاع على السلطة بين اليعاربة. خرج محمد بن ناصر الجبري الغافري من البحرين واستخلف ابنه ناصراً عليها، وتوجه إلى عمان عام ١١٣٤هـ/ ١٧٢١م[٣]

---

(١) السيابي: المرجع السابق، ج٣، ص ص ٢١٣-٢١٥.

(٢) S. b. miles. the countries and tribes of persian gulf, 2nd, 1966. London p.203-4.
الحميدان، المرجع السابق والصفحات.

(٣) انظر: الفصل الخامس من الكتاب ص١٠٠ وما بعدها.

فوجد الأمور قد استقرت لصالح الإمام سيف الثاني بن سلطان الثاني، وكان ابن عمه بلعرب بن ناصر اليعربي وصياً عليه لكونه قاصراً[1].

جاء الشيخ محمد بن ناصر مع وجهاء قومه مهنئاً الإمام الجديد، فتهجم عليه وتوعده الوصي بلعرب بن ناصر، فرجع محمد بن ناصر إلى قومه مغضباً واستنهض الحلف الغافري ضد بلعرب بن ناصر الذي تزعم حلف بني هناءة[2].

دارت بين الطرفين حرب أهلية طاحنة - لا يتسع المجال لتفصيلها - انتهت بانتصار محمد بن ناصر بعد أن دوخ عمان، ودان له بالطاعة. فقام أهل الحل والعقد بمبايعته إماماً على عمان في ٧/ ١/ ١١٣٧هـ/ ٢٦/ ٩/ ١٧٢٤م. واستمرت إمامته حتى قُتل في ١٠/ ٨/ ١١٤٠هـ- آذار (مارس) ١٧٢٨م[3].

وقد قال علماء الإباضية في صحة إمامته لكونه على غير مذهبهم «أنهم بايعوه تقية. . . . وللمسلمين أن يقدموا في الدفاع إذا غشاهم العدو من لا ولاية له عندهم، إذ رأوا صلاحيته، وأن غيره لا يقوم مقامه»[4].

وقد وصفه السيابي بقوله «محمد بن ناصر تعوّد لا يهزم له جيش، ولا تنكسرله راية، ولا يفل له سيف كما سمعت. . . . حتى آخر ذرة من حياته»[5].

---

(١) الأزكوي: تاريخ عُمان، ص١١٥ وما بعدها.

(٢) المصدر نفسه: ص١١٨ وما بعدها.

(٣) المصدر نفسه: ص١٣٠ وما بعدها.

(٤) السيابي: المرجع السابق، ج٤، ص٦٦.

(٥) المرجع نفسه، ص٤٩.

- **نفوذ الجبور في عهد الدولة ألبوسعيدية:**

اقتصر نشاط الجبور في هذه الفترة على أسرة آل محمد بن جفير الجبري ومن يتبعهم من الجبور الذين كانوا يسكنون في مدينة (بركا) في كل من حي عاصم والحفري والحرادي.ووصفهم السيابي[١] بأنهم: (كانوا كثيراً، أعياناً في بركا). وكانت بركا هذه تتبع ولاية صحار، التي كان أحمد بن سعيد البوسعيدي والياً عليها من قبل الإمام سيف بن سلطان اليعربي (١١٥٠هـ/ ١٧٣٧م- ١١٥٤هـ/ ١٧٤١م).

باشر أحمد بن سعيد مهام ولايته، فقدم إليه شيوخ الجبور، فأكرمهم ورفع منزلتهم ووثق علاقته بهم، وفي المقابل أخلص له الجبور. فحينما ساءت العلاقة بينه وبين الإمام، وسار بأسطوله لحصار صحار، هب شيوخ الجبور وتوسطوا بين الرجلين، وضمنوا أحمد بن سعيد، وأصلحوا بينهما. فأبقاه على ولايته[٢]. فأراد أحمد بن سعيد توثيق علاقته أكثر بالجبور، فتزوج ابنة شيخهم جبر بن محمد بن محمد بن جفير الجبري.فأنجبت له ولدين هما: سلطان، وسيف، وبنت اسمها موزة[٣].

في هذه الفترة كانت دولة اليعاربة تلفظ أنفاسها الأخيرة. إذ كانت تعاني من اضطرابات داخلية وخارجية، وكان لابد من وجود رجل قوي يعيد للإمامة قوتها، وهيبتها. فكان المنقذ أحمد بن سعيد البوسعيدي، مؤسس الأسرة البوسعيدية الحالية. وبويع إماماً سنة ١١٥٦هـ/ ١٧٤٣م. فخلّص عمان من الفتن الداخلية، والتدخلات الخارجية[٤].

---

(١) المرجع السابق، ج٤، ص١١٤-١٢٠.

(٢) ابن رزيق: الفتح المبين، ص ص ٢٩١-٢٩٥.

(٣) ابن رزيق: الفتح المبين ص٣١١؛ السيابي، المرجع السابق، ج٤، ص٢٢٣.

(٤) ابن رزيق: المصدر السابق، ص٣٠٩ وما بعدها؛ الوسمي: المرجع السابق، ص٤٠-٤١.

حافظ الجبور على صلتهم الوثيقة بالإمام الجديد، وكان له سبعة أولاد من عدة نساء. كان أكبرهم هلال ولكنه توفي في حياة أبيه. والثاني والثالث سلطان وسيف أخوالهما الجبور، والرابع سعيد[1]. وكان أبوه يحبه ويؤثره على أخويه. فخافا أن يعهد إليه بالإمامة قبلهما: فقاما بحركة غير مدروسة، إذ استوليا على حصن (بركا) القريب من أخوالهما. فلما بلغ أبوهما الخبر، زحف إليهما بجيشه وحاصر الحصن، فتدخل بعض الوجهاء والعلماء، فدخلوا عليهما وأقنعوهما بتسليم نفسيهما لوالدهما، وطلب الصفح منه. ففعلا وعفا عنهما[2]. وظن أن الأمر قد انتهى.

ثم قاما باحتلال مسقط، وتحصنا فيها، ومعهما جدهما لأمهما الشيخ جبر بن محمد بن محمد الجبري، الذي يبدو أنه كان يدفعهما إلى التمرد والمطالبة بحقهما في ولاية العهد. أو أن يشركهما والدهما في إدارة بعض المناطق في الدولة على الأقل. وما أن سمع أبوهما بذلك حتى نهض بجيشه إلى مسقط، وأخذ يقذف حصنهما بالمدفعية. فما كان من جدهما الجبري إلا أن أسرع إلى حلفاء الجبور من قبائل شمال عُمان، فنهض معه الشيخ صقر بن رحمة القاسمي، ومعهما ثلاثون ألف مقاتل، وحاصرا مدينة الرستاق العاصمة سنة ١١٧٦هـ/ ١٧٦٣م.

ارتبَك أحمد بن سعيد من سقوط الرستاق. فرفع الحصار عن ولديه وصالحهما، وبالمقابل قام الشيخ الجبري والشيخ القاسمي برفع الحصار عن الرستاق. سيما وقد نجحت الخطة وحصل المطلوب، وعاد الشيخ القاسمي إلى جلفار (رأس الخيمة)، بعد اعتراف الإمام باستقلالها عنه[3].

---

(١) السيابي: المرجع السابق، ج٤، ص١٧٩-١٨٠.

(٢) السيابي: المرجع السابق، ج٤، ص١٦٥.

(٣) ابن رزيق: الفتح المبين، ص ٣٣٢ وما بعدها؛ السيابي، المرجع السابق، ج٤، ص١٧٠-١٧٢؛ أبو حاكمة، تاريخ الكويت، ق١، ج١، ص١٤٣.

بالرغم من جميع هذه المحاولات فإن الإمامة آلت إلى السيد سعيد بن أحمد بعد وفاة أبيه سنة ١١٩٦هـ/ ١٧٨٢م. وابتعدت عنه القبائل الشمالية التي كان للجبور نفوذ كبير عليها. ولم يحصل أي صدام بينه وبين أخويه. ثم تنازل عن الإمامة لابنه حمد بن سعيد. فخرج عمه سيف بن أحمد إلى «زنجبار»، إحدى المستعمرات العُمانية في شرق أفريقيا واستقل بها. فأرسل سعيد بن أحمد أسطولاً لإرغام سيف على الانسحاب إلى جزيرة «لامو» وتوفي هناك[1]. ثم قام أخوه سلطان بتأييد من أخواله الجبور وتساندهم القبائل النزارية باحتلال حصن سمائل. ثم زحف على مطرح واحتلها. وقد قام الإمام حمد بحملة لاستعادة سمائل ففشلت، وعاد إلى الرستاق. ثم قام والي مسقط بحملة أخرى، فهزمه سلطان وتقهقر إلى مسقط. ثم توقف كل واحد منهما عن صاحبه[2].

مما سبق يتضح لنا أن الإمام حمد كانت تؤيده القبائل اليمانية الإباضية. أما عمه سلطان فقد كانت تؤيده القبائل النزارية السنية المذهب.

توفي الإمام حمد بن سعيد بن أحمد سنة ١٢٠٦هـ/ ١٧٩٢م. فقام عمه سلطان بن أحمد بمساعدة أخواله الجبور بالاستيلاء على السلطة، وبويع إماماً لعُمان[3]. في هذه الفترة كان شيخ الجبور محمد بن ناصر الجبري، الرجل الذي لعب دوراً هاماً ومؤثراً في التاريخ العُماني، حتى انه جدير بأن يلقب بـ(ملك عُمان الغير متوج). فقد كان شجاعاً حازماً عاقلاً مدبراً، سياسياً محنكاً، قائداً مطاعاً للقبائل النزارية (الغافرية) لقد كان هذا الشيخ محل ثقة الإمام سلطان في المشورة والتدبير، فأسند إليه ولاية

---

(١) ابن رزيق: المصدر السابق، ص٣٥٩؛ الخصرصي، دراسات في تاريخ الخليج، ج١، ص٨٥-٨٦؛ السيابي، المرجع السابق، ج٤، ص٢٠٢.

(٢) ابن رزيق: المصدر السابق، ص ص ٣٥٩-٣٦٠؛ السيابي، المرجع السابق، ج٤، ص٢٠٣.

(٣) ابن رزيق: المصدر السابق، ص٣٦٧ وما بعدها.

مسقط، وهي من أعظم الولايات في عُمان. ووصياً على ولديه سالم وسعيد، عندما قام برحلته البحرية إلى البصرة سنة ١٢١٩هـ/ ١٨٠٤م. التي انتهت بمقتله. ويعتبر الإمام سلطان بن أحمد مؤسس الدولة العُمانية الحديثة، وهو جد سلاطينها المعاصرين[١].

تولى سعيد بن سلطان السلطنة بعد أبيه بمساعدة الوصي عليه الشيخ محمد بن ناصر الجبري، وكانت تتهدد الدولة أخطار داخلية وخارجية. ولمواجهة هذه الأخطار اعتمد السلطان سعيد بن سلطان اعتماداً كلياً على محمد بن ناصر الجبري في تسيير أمور دولته، وأصبح صاحب الحل والعقد فيها[٢].

كان أول هذه المخاطر خروج عمه قيس بن أحمد حاكم مدينة صحار عليه، طمعاً في منصب السلطنة. وكان قيس يعرف أن لا سبيل إلى تحقيق هذا الهدف إلا بتدمير قوة الجبور المتمركزين في وادي سمائل، بقيادة زعيمهم القوي محمد بن ناصر حتى يمنعهم من نجدة مسقط عند مهاجمتها، فوجه قسماً من قواته لمهاجمة الجبور والقسم الآخر هاجم به مسقط. ولكن الشيخ محمد الجبري كان متيقظاً لذلك، فجمع من القبائل النزارية جيشاً بلغ اثنى عشر ألفاً، وهاجم به قوات قيس بن أحمد التي كانت تحاصر مسقط، وكادت أن تحتلها، فألحق الهزيمة بقيس وقواته، وأنقذ ملك سعيد بن سلطان من الضياع[٣].

وأما الخطر الثاني الذي هدد سلطة السلطان **سعيد بن سلطان** فقد كان خطراً مشتركاً داخلياً وخارجياً. تمثل في طموح ابن عمه بدر بن سيف بن سلطان البوسعيدي في الوصول إلى الحكم، عن طريق

---

(١) المصدر نفسه: ص٤٤٠؛ ولسون: تاريخ الخليج، ص١٧٨.

(٢) ابن رزيق: المصدر السابق، ص٤٠٨.

(٣) المصدر نفسه: ص ص ٤١٦-٤٢١؛ السالمي، تحفة الأعيان، ج٢، ص٢٠٤.

التحالف مع الدولة السعودية الأولى، فاعتنق مبادئ الدعوة السلفية الإصلاحية. إذ وصلت الفتوحات السعودية إلى عُمان الشمالي منذ سنة ١٢١٠هـ/ ١٧٩٥م. واتخذت من واحة البريمي قاعدة لها للتوسع في عُمان.

اعتنقت القبائل السنية في منطقة الظاهرة والصير مبادئ الدعوة السلفية أيضاً، والتفت حول بدر وأصبح قائداً لها[١]. ولكن بدراً رأى في الشيخ محمد بن ناصر الجبري عقبة كبرى أمام تحقيق أهدافه، فكتب إلى الإمام سعود بن عبد العزيز يعرض عليه قيام تحالف بينهما، ويطلب مساعدته في التخلص من الزعيم الجبري قائلاً: «إني أعاهدك على هذا الدين، ومطيع له، هذا كل ما تأمرني به من الأوامر والجهاد أفعل لا محالة. لكن أريد أن تقبضني محمد بن ناصر، وأكون في عمان كلها رئيساً»[٢]. فأجابه الإمام سعود إلى ما طلب ما عدا موضوع محمد بن ناصر الجبري. قال صاحب الشهاب «لأجلي أترك محمد بن ناصر الجبري، ولا تعترضه بسوء وإن أساء معك»[٣] لا شك أن هذا التصرف ينم عن بعد نظر للإمام سعود للأمور مستقبلاً.

قام سعيد بن سلطان باستدراج ابن عمه بدر إلى حصن (نخل) الذي يملكه محمد بن ناصر الجبري، وقتله غيلة سنة ١٢٢٠هـ/ ١٨٠٧م[٤].

ويبدو أن خطة اغتياله كانت أساساً من وضع وتنفيذ سعيد بن سلطان، وان الشيخ محمد الجبري قد سهل تنفيذها سواء كان ذلك عن قصد أو بدون قصد.

---

(١) ابن رزيق: الفتح المبين، ص٤٣٠- وما بعدها.

(٢) الريكي: لمع الشهاب، ص١٥٢.

(٣) ابن رزيق، المصدر السابق، ص ص ٤٣٠-٤٣١. الريكي، لمع الشهاب، ص١٥٣.

(٤) المصدر نفسه: ص١٤٥؛ ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص١٣٨؛ ويلسون، المرجع السابق، ص١٧٨.

يرى د/ الحميدان[1] أن السلطان سعيد بن سلطان قد وضع في حسبانه ردة فعل السعوديين بعد اغتيال بدر بن سيف حليفهم القوي في عمان؛ لأن اغتياله يمثل تحدياً بالنسبة لهم. فألصق تهمة اغتياله بالشيخ محمد بن ناصر الجبري، ليتخلص من الرجلين معاً بضربة واحدة، ويتحاشى غضب السعوديين، ومؤيديهم من القبائل النزارية. وفي الوقت نفسه تقل شعبية الشيخ الجبري بين تلك القبائل، فيسهل عليه التخلص منه في مرحلة لاحقة من الخطة.

وأنا أوافقه الرأي سيما وأن الزعيم الجبري سيزداد نفوذه في عمان بعد انفراده بزعامة القبائل الغافرية (النزارية). فقد قام السلطان سعيد بإرسال كتاب إلى الإمام سعود بن عبد العزيز يذكر فيه: أنه يتبرأ من قتل بدر بن سيف. وأن الذي قتله هو محمد بن ناصر الجبري[2]. ثم أرسلت عمته الشيخة موزة بنت الإمام أحمد كتاب دعوة إلى زوجة الشيخ محمد بن ناصر الجبري، وهي ابنة خالها جبر بن محمد الجبري. فلما حضرت بصحبة زوجها الشيخ محمد بن ناصر الجبري قام السلطان سعيد بإلقاء القبض عليه وسجنه. فقالت زوجته لعمة السلطان: «أهكذا حشمتي عندكم؟ قيدتم محمداً بعد أن كتبت إلي بالوصول إليك؟..»[3]. في إشارة منها إلى تواطئ عمة السلطان في هذه القضية. ثم كانت هناك مساومة بأن يكون إطلاق سراحه مقابل تنازله عن حصني (سمائل) و(بدبد) للسلطان، فتنازل عنهما وأفرج عنه، وحددت إقامته. ولكنه

---

(١) نفوذ الجبور، ص٢١١ وما بعدها.

(٢) عبد الرحيم، الدولة السعودية الأولى، ج١، ص١١٠.

(٣) ابن رزيق، بدر التمام في سيرة السيد الهمام سعيد بن سلطان، ملحق الفتح المبين، ص٤٣٥؛ عبد الكريم، ناهد، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في عمان في عهد دولة آل بو سعيد مجلة الجمعية التاريخية السعودية، ع ٩، س٥، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م. انظر ص١٦٣.

تمكن من الوصول إلى مكان إقامته في سمائل، ومنها على وجه السرعة إلى منطقة الظاهرة، حيث كان له وداع حافل من زعماء القبائل النزارية. وعندما سألوه عن وجهته اكتفى بالقول: «إن الفرج قريب»[١].

● التعاون بين الجبور والدولة السعودية الأولى:

توجه الشيخ محمد بن ناصر الجبري إلى الدرعية عاصمة الدولة السعودية آنذاك، وقبل وصوله إليها عرج على القصيم، والتقى ببعض أعيانها - ويبدو أنهم من أقاربه الجبور الذين استقروا هناك - فمكث عدة أيام ثم مضى إلى الدرعية، وبصحبته بعض هؤلاء الأعيان حيث قدموه إلى الإمام سعود بن عبد العزيز، وقد سبقته شهرته إليه. فأحسن استقباله، وأكرم وفادته، ووعده بالنصرة[٢].

مكث الشيخ محمد الجبري فترة في الدرعية كان خلالها يتلقى بعض الدروس الدينية.والإطلاع على آراء الشيخ محمد بن عبد الوهاب الإصلاحية، ثم رجع إلى عمان، وهناك التقى بقائد القوات السعودية مطلق المطيري، وجمعا جيشاً كبيراً من القبائل المؤيدة لهما. بلغ تعداده ثلاثون ألفاً. وأخذا يزحفان على المدن والقرى العمانية في عمان الداخل مثل مطرح، وصحار، ونزوى، وسمايل، وبهلا. ولم تتمكن القوات العمانية بقيادة السلطان سعيد بن سلطان وابن عمه عزان بن قيس -حاكم صحار- من إيقاف اندفاع القوات الموالية للسعوديين بقيادة كل من مطلق المطيري والشيخ ناصر الجبري[٣].

---

(١) ابن رزيق، الفتح المبين، ص٤٣٥-٤٣٦.

(٢) ابن رزيق، المصدر السابق، ص ٤٣٦-٤٣٧؛ MILES, OP. CIT, P.312.

(٣) السالمي: تحفة الأعيان، ج٢، ص٢٠٩؛ الريكي، لمع الشهاب، ص١٥٥؛ رويت، رودولف سعيد: سعيد بن سلطان، ترجمة سامي عزيز، وزارة التراث القومي والثقافة بعمان، مسقط ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م. ص٤٤.

أمام هذه الانتصارات المتوالية التي حققتها القوات الموالية للسعوديين بقيادة كل من الشيخ محمد الجبري ومطلق المطيري، أحس السلطان سعيد بن سلطان بالخطر المحدق بمملكته فلجأ إلى حكام إيران طالباً مساعدتهم. وواضعاً مصير بلاده بين أيديهم. وأمده الإيرانيون بثلاثة آلاف مقاتل أبحروا من بندر عباس ونزلوا في ميناء بركة عام ١٢٢٣هـ/ ١٨١٠م.

علم بهم شيخ الجبور محمد بن ناصر، فأسرع بقواته من سمائل، وأرسل إلى القائد السعودي في البريمي فالتقى به، وهجموا على قوات السلطان سعيد والعجم في (أزكي)، ودارت معركة حامية الوطيس قتل فيها كثير من العجم، وقوات السلطان سعيد، وفرَّ الباقون لا يلوون على شيء[١]. وقد برزت مواهب الشيخ محمد الجبري القيادية في هذه المعارك. ومن الجدير بالذكر أن أولاد الإمام سعود بن عبد العزيز وهم تركي وناصر وسعد وصلوا إلى البريمي أثناء غياب والدهما في الحج سنة ١٢٢٥هـ/ ١٨١١م. وتسلم تركي القيادة من مطلق المطيري وساروا في غزوة على الساحل العماني فحاقت بهم الهزيمة، فطلب مطلق المطيري النجدة من شيخ الجبور محمد بن ناصر فلبى الطلب مسرعاً، وهزم أعداءهم وهاجم ميناء بركة، ومطرح واستولى عليهما، ثم حاصروا مسقط. ثم زحفوا بمحاذاة الساحل وسيطروا على طبرى، وصور، ووصلت قوات بقيادة محمد بن ناصر إلى جعلان، ثم عادت إلى مواقعها في أزكي والبريمي[٢].

ظهرت بوادر تحالف جديد بين السلطان سعيد بن سلطان والشيخ

---

(١) ابن رزيق: المرجع السابق، ص ص ٤٥٠-٤٥٤.

(٢) ابن بشر، المصدر السابق، ج١، ص١٥٤-١٥٦؛ الريكي لمع الشهاب، ص١٥٥؛ ابن رزيق، المصدر السابق، ص٤٥٣-٤٥٤.

سلطان بن صقر القاسمي، فسارع كل من مطلق المطيري والشيخ الجبري إلى ضرب هذا التحالف، فهاجموا صحار، فخضعت، ثم حاصروا مسقط فأذعن السلطان سعيد بدفع مبلغ مئة ألف ريال للسعوديين[1]. غضب الإمام سعود بن عبد العزيز من خروج أبنائه إلى عمان دون إذنه، فأرسل يستدعيهم هم والقائد مطلق المطيري في أوائل عام ١٢٢٦هـ/ ١٨١٢م. وأرسل بدلاً عنه عبد العزيز بن غردقة قائداً للقوات السعودية في عمان. ولكن القائد الجديد واجه اضطرابات في عمان وقتل في إحدى المعارك. فاضطر الإمام سعود بن عبد العزيز إلى إرسال مطلق المطيري مرة أخرى إلى عمان، نظراً لخبراته السابقة. ولكن هذا القائد المشهور قتل في إحدى عملياته الحربية قرب جعلان سنة ١٢٢٨هـ/ ١٨١٣م. وكان مقتله خسارة كبيرة للنفوذ السعودي في عمان. ثم خلفه أخوه بتّال المطيري وتمركز في البريمي[2]. توفي الإمام سعود بن عبد العزيز سنة ١٢٢٩هـ/ ١٨١٤م. وكانت خسارته لا تعوض بالنسبة للدولة السعودية الأولى. في الوقت الذي أخذت فيه عساكر محمد علي باشا حاكم مصر تزحف على الحجاز وماحل عام ١٢٣٣هـ/ ١٨١٨م. حتى سقطت الدرعية وبسقوطها سقطت إمبراطورية عربية إسلامية كادت أن توحد جميع أنحاء الجزيرة العربية.

● عودة التعاون بين السلطان سعيد بن سلطان وشيخ الجبور:

أدرك السلطان سعيد بن سلطان بأنه ارتكب خطأ جسيماً بعدائه لشيخ الجبور محمد بن ناصر الجبري، وتفريطه بهذا السند القوي لملكه. فأرسل

---

(١) لمع الشهاب، ص ١٥٦؛ ابن رزيق المصدر السابق، ص٤٥٨؛ وانظر: رويت، سعيد بن سلطان، ص٤٨. الذي قدر المبلغ بـ(٤٠٠٠٠) دولار دفعت كزكاة.

(٢) ابن رزيق: المصدر السابق، ص٤٥٨-٤٦٠؛ ابن بشر، المصدر السابق ص١٥٥؛ عبد الرحيم، الدولة السعودية الأولى، ج١، ص١١٤-١١٥.

إليه من يسترضيه ويعرض عليه ما يطلب من الأموال، والحصون على أن يكف عن مساندة خصومه أياً كانوا فقبل ذلك[١].

لقد طلب السلطان سعيد إلى الشيخ محمد الجبري أن يتصدى للقوات السعودية بقيادة بتال المطيري ليثبت له صدق ولائه.

ولكن الشيخ الجبري بحنكته وحكمته المعهودة أقنع القائد السعودي بالانضمام إلى حلفه مع السلطان سعيد، سيما وأن الدولة السعودية قد سقطت. وان يسمح له بهدم حصن البريمي ليبرهن على صدق نواياه. فلما تم للسلطان ما أراد دون إراقة قطرة دم شكر لشيخ الجبور حسن صنيعه وأكرمه غاية الإكرام. وزالت من نفسه جميع إحن الماضي[٢].

في سنة ١٢٣٥هـ/ ١٨٢٠م. ثار رجل يدعى محمد بن علي في منطقة جعلان ضد السلطان سعيد وحلفائه، ودارت معركة دامية بينهما في مطلع سنة ١٢٣٦هـ/ ١٨٢٠م. وهزم قوات السلطان سعيد ومعه الانجليز، ولم يثبت أمامه غير الشيخ محمد الجبري وأصحابه، وبتال المطيري وأصحابه[٣]. وفي سنة ١٢٣٦هـ/ ١٨٢٠-١٨٢١م اشترك شيخ الجبور محمد بن ناصر في حملة بحرية ضد البحرين، ولكن الحملة فشلت بسبب تفشي مرض الطاعون بين جنود الحملة. ويذكر أبن رزيق بأن الشيخ محمد بن ناصر كان قد نصح السلطان سعيد بتأجيل الحملة ولكنه رفض[٤].

استغل حمود بن قيس بن عزان حاكم صحار غياب السلطان سعيد في

---

(١) ابن رزيق: المصدر السابق، ص٥٢٦، الحميدان المرجع السابق والصفحات.
(٢) ابن رزيق، المصدر السابق، ص ٤٦٨؛ رويت، المرجع السابق، ص٥٢.
(٣) ابن رزيق: المصدر السابق، ص٤٦٨-٤٦٩.
(٤) المصدر نفسه: ص ٤٧٣

تفقد ممتلكاته في شرق أفريقيا، فأخذ حمود يمد نفوذه على المناطق الساحلية باتجاه مسقط، فضم لوى، وشناص، والخابورة. فأسرع الشيخ محمد الجبري على رأس قوة من (١٥٠٠) رجل من أتباعه إلى مسقط ليمنع حمود بن عزان من دخولها.

وذكر ابن رزيق أنه بعد وصول الشيخ الجبري إلى مسقط اجتمع بالشيخة موزة بنت الإمام أحمد، وقالت له: «**هذه مسقط هي كنز عُمان**، فيجب أن نحمي كنزها برجال لا يميلون إلى خيانة». وحرك حلفاءهم من القبائل النزارية، فقام آل نعيم بمهاجمة صحار تضامناً مع الشيخ ناصر الجبري، فأربكت هذه التحركات خطط حمود بن عزان، وثنته عن عزمه[1]. عاد السلطان سعيد مسرعاً من زنجبار إلى مسقط فوصل إليها في مايو (آيار) ١٨٣٠م/١٢٤٦هـ. وشكر الشيخ محمد بن ناصر الجبري على موقفه. وأعطاه حصن سمائل. كما عين أخاه علي بن ناصر الجبري حاكماً على زنجبار (تانزانيا) التي حكمها لمدة ثلاث سنوات، ثم مات هناك[2].

بعد استقرار الأوضاع في عُمان، عاد السلطان سعيد إلى زنجبار، وترك ابنه هلال حاكماً لمسقط، فقام سعود بن علي بن سيف حاكم ميناء بركة باستدراج هلال واعتقاله، فخافت أسرة السلطان سعيد من احتمال احتلال مسقط من قبل سعود بن علي. فاستنجدت الشيخة موزة بنت الإمام أحمد بن سعيد بالشيخ محمد بن ناصر الجبري، لحماية مسقط من الخطر الذي يتهددها.

أسرع الشيخ محمد بن ناصر بأتباعه إلى مسقط وأحكم السيطرة عليها، بانتظار عودة السلطان سعيد بن سلطان إلى مسقط لمعالجة

---

(١) المصدر نفسه: ص ص٤٧٤-٤٧٦؛ رويت؛ سعيد بن سلطان، ص٧٢.

(٢) الحميدان، المرجع السابق، والصفحات.

الموقف. وتمت تسوية الموضوع بعد توسط الشيخ الجبري بين الطرفين، وكافأه السلطان سعيد بأن أعطاه حصن بدبد[1].

كان آخر دعم قدمه الشيخ محمد الجبري للسلطان سعيد حين قام حمود بن عزان باحتلال الرستاق سنة ١٢٤٨هـ/ ١٨٣٢م. فقام الشيخ الجبري واستنهض ثمانين شيخاً من النزارية مع قبائلهم، وفرض حصاراً شديداً على صحار معقل حمود بن عزان. الأمر الذي أرغمه على المسارعة لمصالحة السلطان سعيد والرضوخ له. ثم طلب السلطان سعيد من الشيخ محمد بن ناصر أن يأتيه بشيوخ النزارية فشكرهم وأكرمهم[2].

توفي شيخ الجبور محمد بن ناصر الجبري رحمه الله عام ١٢٥٠هـ/ ١٨٣٤م. ففقد السلطان سعيد بن سلطان البوسعيدي وأسرته أقوى مناصريهم، ورجلاً بمثابة صمام الأمان بالنسبة لملكهم. وكان بشجاعته وقيادته الحكيمة، وكثرة أتباعه قادراً على تغيير موازين القوى، وسير الأحداث في عمان، خلال النصف الاول من القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي. وقد قيل للسلطان سعيد كناية عن كثرة أتباع حليفه الشيخ محمد بن ناصر الجبري: من يكن هؤلاء أتباعه لن يحتاج إلى قوم آخرين[3].

وكان الشيخ محمد الجبري يقول معبراً عن ولاء القبائل النزارية وطاعتها له: «النزارية ولا فخر، يميلون حيث أميل»[4].

وكان زعماء الإباضية في عمان يخشون أن ينفرد الشيخ محمد بن ناصر الجبري بحكم عمان، وينشر فيه المذهب الحنبلي الذي كان يعتنقه.

(١) ابن رزيق، المصدر السابق، ص٤٧٧-٤٧٨.
(٢) المصدر نفسه، ص ص ٤٧٩-٤٨٠.
(٣) ابن رزيق، المصدر السابق، ص٤٢٢.
(٤) المصدر نفسه، ص٤٧٦.

فقال السالمي[1]: «كان هناك خوف من أن يتولى السلطنة في عمان... محمد بن ناصر الجبري، فلا يؤمن منه ملكه في عمان أن يدعو الناس إلى مذهب... (الوهابي) ووصفه «بأنه جبار عنيد...». وقال أيضاً: «بأن المشهور عنه عند العامة أنه وهابي» وهذا يدل ان الشيخ الجبري ﷺ ظل متمسكاً بمبادئ الدعوة الإصلاحية حتى بعد زوال الدولة السعودية.

- **اضمحلال النفوذ السياسي للجبور:**

بعد وفاة الشيخ محمد بن ناصر الجبري، انتقلت زعامة الجبور وحلف القبائل النزارية إلى ابنه الشيخ جبر، ثم حفيده الشيخ علي بن جبر. ويبدو أن السلطان سعيد وابنه السلطان ثويني وحفيده السلطان سالم، كانوا يكنون للزعامة الجبرية كل احترام وتقدير، لما قدموه من خدمات جليلة للحفاظ على ملكهم. والوقوف في وجه أطماع منافسيهم من آل عزان بن قيس في الوصول إلى الحكم.

انتقل الحكم من أسرة السلطان سعيد بن سلطان إلى السلطان عزان بن قيس بن عزان بن قيس سنة ١٢٨٥هـ/ ١٨٦٩م-١٢٨٧هـ/ ١٨٧٠م. فحاول الشيخ علي بن جبر الجبري ان يتأقلم مع العهد الجديد، بإقامة علاقة حسنة مع السلطان عزان، وقدم له بعض الخدمات، كان أهمها حماية أتباع عزان من تعرض القبائل النزارية لهم[2]. ولكن السلطان عزان كان قد أضمر الانتقام من الجبور، لمواقفهم المؤيدة لمناوئيهم من آل سعيد، وعزم على تجريدهم من السلطة والنفوذ. فما أن ثبتت سلطته حتى قام بانتزاع حصن أزكي من الشيخ علي بن جبر الجبري، ومصادرة أموال الجبور والتنكيل بهم، وكان من ضمنها أموال الشيخ محمد بن

---

(١) تحفة الأعيان، ج٢، ص٢٤٢.

(٢) السالمي: المصدر السابق، ج٢، ص٢٥٤.

ناصر الجبري[1]. ويبدو أن حلف الغافرية (النزارية) قد تفكك بعد منتصف القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي، حيث استقرت قبائل هذا الحلف في كيانات سياسية، مثل بني ياس، والقواسم، وآل نعيم وبني قتب فيما يعرف اليوم بدولة الأمارات العربية المتحدة وبتفكك هذا الحلف خسر الجبور الدعم والنفوذ السياسي الذي كانوا يتمتعون به داخل عمان، وما أن جاء الثلث الأخير من القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي، حتى أصبح الجبور[2] كبقية القبائل العمانية التي لا تأثير لها على الساحة السياسية. بعد أن وصفهم السالمي[3] بقوله: «كان لأهل هذا البيت شرف ورئاسة قبائل الغافري، وكانوا يعتبرون لهم منزلة السلطنة».

---

(١) السالمي: المصدر السابق، ج٢، ص٢٧٦؛ الحميدان المرجع السابق والصفحات.

(٢) الخصوصي، المرجع السابق، ج١، ص٨٩-٩٤.

(٣) المصدر السابق، ج٢، ص٢٦٣.

الفصل السابع

النشاط الاقتصادي في عهد الجبور

الوساطة التجارية وتجارة العبور

عرف عرب الخليج الوساطة التجارية بين الشرق والغرب بحكم موقعهم الجغرافي المتميز منذ القدم، إضافة إلى كونهم نشطاء مهرة في الملاحة البحرية، وصنفوا فيها المؤلفات، واخترعوا الآلات التي تساعدهم في ذلك[1]. وقد وصلت سفنهم التجارية منذ العصر العباسي إلى بلاد الهند والصين، وشرق إفريقيا. وكانوا يمارسون النقل البحري حتى بين تلك البلدان[2]. وكان لهم جاليات تجارية مستقرة في الهند من العمانيين، والبصريين، والسيرافيين، والبغداديين[3]. وفي عهد السلطنة الجبرية كانت مراكبهم التجارية تجوب المحيط الهندي وتصل إلى موانئ الهند ذهاباً وإياباً[4]. حاملة البضائع المحلية والأسيوية.

---

(١) انظر كتاب الربان أحمد بن ماجد: الفوائد في أصول البحر والقواعد، دمشق ١٩٧١م.

(٢) الملا، المرجع السابق ج١، ص ٣٧٧.

(٣) المسعودي: علي بن الحسين، مروج الذهب ومعادن الجوهر، بيروت، ج١، ص ٢١٠.

(٤) انظر رسالة الوزير محمود القاواني في الدولة البهمنية بالهند، التي يعتذر فيها للسلطان أجود بن زامل عن تعرض بعض رعايا الجبور لقرصنة بحرية قرب سواحل الهند، في الملاحق، ملحق رقم (٣) ص٢٦٧.

كانت السلطنة الجبرية في أوج اتساعها تسيطر على الساحل الغربي للخليج العربي ابتداءً من حدود البصرة شمالاً، وانتهاءً بميناء ظفار على بحر العرب جنوباً[١]. ومن أهم موانئ الجبور التجارية: القطيف، والبحرين، والعقير، وسلوة، وصحار، وظفار. وقد كانت هذه الموانئ تتمتع بالأمن والاستقرار، والتسهيلات التجارية، إضافة إلى موقعها الجغرافي المتميز، حيث تربط هذه الموانئ التجارة البحرية، بالتجارة البرية.

تمكن الجبور من إخضاع القبائل وتأمين طرق التجارة البرية. التي تربط هذه الموانئ ببلاد الشام مثل: مدينة حلب، وموانئ البحر المتوسط مثل: ميناء طرابلس ومنها إلى أوربا. وتأمين طرق الحج والتجارة المارة بمناطق نفوذهم في نجد وبادية الشام، مثل: طريق الحاج العراقي المار بالكوفة،وطريق حاج البصرة، وطريق حاج الأحساء عبر اليمامة، وكذلك طريق التجارة اليمني المار بنجران واليمامة والأحساء[٢]. وطريق التجارة البري ما بين القطيف وبلاد الشام مروراً بالبصرة.

حيث كانت القوافل تسير بمحاذاة نهر الفرات حتى مدينة عانة. ثم يفترق الطريق، الأيمن منهما يتجه إلى حلب مروراً (بالطيبة) حيث يتم جباية رسوم الجمارك على بضائع هذا الطريق. والطريق الأيسر يمر ببلدة (السخنة) حيث يتم جباية رسوم الجمارك على بضائع هذا الطريق أيضاً. الذي يواصل باتجاه الغرب مروراً بمدينة (تدمر) حيث يفترق الطريق بعدها في (عين البيضاء)، الأيمن منهما يواصل إلى حمص ثم ميناء طرابلس. والأيسير يواصل إلى دمشق[٣].

---

(١) Sausa, Op. cit, vol.1, pp.265-267.

(٢) الخالدي، خالد عزام: تنظيمات الحج،و تأثيراته في الجزيرة العربية في العصر العباسي، ص٥٤٢.

(٣) أوبنهايم، البدو، ج١، ص٤٤٦.

أهم البضائع المستوردة

- **من الهند:**

كانت أهم السلع المستوردة من الهند هي: عود الطيب، ولتّجاره في الخليج خبرة في أنواعه، وكان أجودها المندلي والقماري. وخشب الساج، والتوابل والعطور، والعقاقير، والكبريت، والحديد الخام، والذهب، والفضة، والأرز[(١)].

كان الميزان التجاري لصالح الهند لكثرة صادراتها، ولكن عرب الخليج كانوا يعوضون هذا الفارق، لسيطرتهم على النقل البحري بامتلاكهم السفن الكبيرة التي كانت تعبر المحيط الهندي. أما السفن الهندية فكانت صغيرة الحجم، وتبحر قريباً من السواحل الهندية وتستخدم في النقل المحلي فقط[(٢)].

- **من شرق أفريقيا:**

كان العمانيون قبل القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي قد احتلوا العديد من المستوطنات على شكل دويلات مدن على طول الساحل الشرقي لإفريقيا. أقاموا فيها جاليات تجارية مثل: مقديشو، وكلوة، وممباسا، ومالندي، وزنجبار، ولامو، وسفالة (موزمبيق) وغيرها. ولم يكن لسكانها من الزنوج سفناً خاصة بهم وإنما كانوا يستخدمون السفن العمانية. كانت أهم صادرات إفريقيا إلى الخليج

(١) العسكري: سليمان إبراهيم، التجارة والملاحة في الخليج العربي في العصر العباسي، مطبعة المدني، القاهرة، ١٩٧٢م، ص١٩٣؛ الملا، المرجع، ج١، ص٣٨٠.

(٢) نفس المرجع، ج١، ص٣٨٠.

العربي هي: خامات الذهب والحديد، والعاج، وجلود النمور، والرقيق. وظهور السلاحف التي كان غواصوا الخليج يضعونها على رؤوسهم أثناء الغوص[1].

- **من مصر:**

أما أهم البضائع المستوردة من مصر فكانت: السكر والأقمشة القطنية[2].

بعد أن تصل هذه البضائع إلى موانئ السلطنة الجبرية، وتأخذ الأسواق المحلية حاجتها، يصدر الفائض منها إلى الأسواق الخارجية، عن طريق تجارة القوافل التي يسيطر عليها الجبور، وتسير تحت حمايتهم إلى بلاد الشام والعراق، والحجاز، ومصر. وكانت تسمى قوافل بني عقيل، وقد استمر هذا الاسم يطلق على التجارة البرية حتى منتصف القرن العشرين، وهو ما يعرف عند أهل نجد بتجار (العقيلات). وقد ذكر ابن إياس[3] أنه في عهد السلطان مقرن بن زامل كان «يجلب إلى مكة اللؤلؤ، والمعادن الفاخرة، والمسك والعنبر، والعود القماري، والحرير الملون، وغير ذلك من الأشياء التحفة». وفي موسم حج عام ٨٨٨هـ/ ١٤٨٣م. بلغ عدد جمال قافلة بني جبر (٢٠,٠٠٠) عشرون ألف راحلة[4]. ولا بد أن عدداً كبيراً منها كان مخصصاً لنقل التجارة المرافقة

---

(١) ابن بطوطة: محمد بن عبد الله، رحلة ابن بطوطة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، د.ت. ص ١٧٢-١٧٣؛ فلبس، وندل، تاريخ عمان، ترجمة محمد أمين عبد الله، ط٥، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م. ص٢٧ وما بعدها؛ الملا، المرجع السابق، ج١، ص٣٨٠.

(٢) الملا، نفس المرجع، ص٣٨١.

(٣) بدائع الزهور، ج٥، ص٤٣١.

(٤) الجزيري: الدرر، ج١، ص٧٦٠.

للحجاج. أما مصر فكان يجلب إليها جياد الخيل، واللؤلؤ، وبضائع الهند والعراق[1]. وقد كانت مكة المكرمة والمدينة المنورة، ومنى من أهم الأسواق التجارية في موسم الحج[2]، حيث يبيع الجبور بضائعهم، ومن ثم تصل إلى جميع أنحاء العالم الإسلامي.

أهم المنتجات والصادرات المحلية

● المنتجات الزراعية:

لم تكن السلطنة الجبرية تعتمد على تجارة العبور فحسب، بل كان فيها ثروات زراعية وحيوانية، لوجود واحات خصبة وغنية[3] فيها، تكثر فيها العيون الجارية[4]. ومن أهم هذه الواحات: واحة الأحساء، واحة القطيف، وجزيرة البحرين (أرال)، وواحة تؤام (البريمي). وقد كانت هذه الواحات تنتج أجود أنواع التمور، والفواكه والخضروات، والأرز[5]. وكانت أغلب هذه المنتجات الزراعية تستهلك في التجارة المحلية. ماعدا التمور التي كانت تنتج بكميات كبيرة، ويصدر الفائض منها إلى نجد والحجاز، وبلاد فارس، وشرق إفريقية، والهند. كما كان

---

(١) الملا، نفس المرجع والصفحة.

(٢) الخالدي، خالد عزام، تنظيمات الحج، ص ٣٩١.

(٣) أنظر وصف الربان أحمد بن ماجد لجزيرة البحرين (أوال) في الملاحق، ملحق رقم (٤) ص٢٦٨.

(٤) آل عبد القادر، تحفة المستفيد، ص ص ٤٦-٥٢؛ لمزيد من التفاصيل عن العيون والينابيع في المنطقة الشرقية أنظر:

Lewis Pelly, Ajourny to Riyadh, camridge (1865), pp.65-66.

(٥) انظر قائمة أوقاف مسجد سيف بن حسين الجبري عن مزارع الأرز. بالهفوف، ص١٩٣-١٩٤ من الكتاب.

اللبان ينتج من جنوب الجزيرة العربية، ويصدر عبر ميناء (ظفار) على بحر العرب[1].

- **الثروة الحيوانية:**

كان أهمها:

- الإبل: التي كانت تربى بأعداد كبيرة في صحاري الجزيرة العربية، وكانت تصدر إلى بلاد الشام، ومصر، وتركيا.

- الخيول العربية: التي كانت تربى في الواحات الزراعية في الأحساء والقطيف والبحرين وعمان، وتصدر بكميات كبيرة إلى الهند بحراً، حيث يكثر الطلب عليها وترتفع أسعارها[2]. وقد وجد البوكيرك أن ميناء (جوا) في الهند يستورد ما لا يقل عن ألف جواد سنوياً من هذه الخيول[3].

- **الغوص والصيد البحري:**

كانت سلطنة الجبور تسيطر على أغنى مغاصات اللؤلؤ حول جزيرة البحرين التي تنتج أجود أنواع اللؤلؤ في العالم، وكان له في موانئ الجبور تجاره، ومراكبه، وغواصوه. حيث يجمع ويصنف ثم يصدر إلى الهند عن طريق هرمز. وكان يشتغل في حرفة اللؤلؤ أكثر من (٣٠,٠٠٠) عاملاً، كانوا يستخدمون ما لا يقل عن (٤٥٠٠) مركباً. وقد قدرت بعض المصادر البرتغالية قيمة إنتاج البحرين من اللؤلؤ عام ١٠١٣هـ/ ١٦٠٤م.

---

(١) الملا: المرجع السابق، ج١، ص٣٧٧.

(٢) الحميدان، إمارة الجبور، ص٤١.

(٣) الخليفة، خالد، التأثير البرتغالي على اقتصاد منطقة الخليج العربي، مجلة الوثيقة، ع١٩، س١٠، ذو الحجة ١٤١١هـ/ ١٩٩١م. ص١٠٣.

ما قيمته (١٥٠,٠٠٠) دوكات[١] أما صيد الأسماك فكان للاستهلاك المحلي فقط.

● أهم الصناعات المحلية:

اشتهرت بعض مدن المنطقة بإنتاج سلع معينة ومن ذلك:

- اشتهرت مدينة القطيف (الخط) بصناعة (الرماح الخطية)، حيث كانت تستورد أعواد الرماح (البامبو) من الهند، ثم تُقوَّم وتُركَّب عليها الأسنة والحراب.

- كما اشتهرت دارين باستيراد المسك والعطور الهندية، وتركيبها، وتوزيعها، وبيعها. فكان يقال (مسك دارين).

- واشتهرت الأحساء بوفرة إنتاج (التمر)[٢] وصناعة الدبس منه. وكذلك حياكة العباءات الأحسائية من الصوف ووبر الجمال. فكان يقال (العباءات الأحسائية).

كما اشتهرت المدن العمانية الساحلية بصناعة السفن.

وكانت أغلب هذه المصنوعات تستهلك محلياً، أو تباع في الأقاليم المجاورة مثل نجد والحجاز.

تعتبر السلطنة الجبرية في مقاييس عصرها دولة ثرية.بسبب سيطرتها على تجارة العبور (الترانزيت) بين الشرق والغرب، بشقيها البحري والبري. إضافة إلى ما تملك من ثروة زراعية وحيوانية.

---

(١) الخليفة، نفس المرجع، ص١٠٢-١٠٣؛ والدوكات عملة ذهبية ضربت منذ سنة ١٢٨٤م في مدينة البندقية. وكان العرب يسمونها (المشخص). انظر الشافعي، العملة وتاريخها ص١٠٨.

(٢) الملا، المرجع السابق، ج، ص ٣٨١.

استمرت قوة الجبور الاقتصادية لأكثر من قرن من الزمن تقريباً منذ نشأة دولتهم عام ٨٢٠هـ/ ١٤١٧م. وحتى نهاية عهد السلطان مقرن بن زامل بن أجود عام ٩٢٧هـ/ ١٥٢١م.

التأثير البرتغالي على اقتصاد السلطنة الجبرية

احتل البرتغاليون مملكة هرمز، التي تتحكم في مدخل الخليج العربي، وتجارته البحرية مع العالم الخارجي في عام ٩١٢هـ/ ١٥٠٧م. وقد ضغط البرتغاليون بأساطيلهم على الدول الإسلامية المطلة على بحر العرب، والخليج العربي، والمحيط الهندي، والبحر الأحمر، لحرمانهم من الوساطة التجارية بين الشرق والغرب، التي كانت سائدة منذ أقدم العصور. مما أثر سلباً على مجمل الأنشطة الاقتصادية في تلك الدول، عن طريق القرصنة والابتزاز[١].

● احتكار البرتغاليين لتجارة السلع المربحة:

كانت السلطنة الجبرية وبقية الدول المطلة على الخليج العربي أكثر تضرراً من الدول الأخرى المطلة على البحار المفتوحة مثل: عمان واليمن والحجاز من الحصار البرتغالي، بسبب تحكمه في مدخل الخليج العربي بعد احتلال جزيرة هرمز، وسيطرته التامة على الملاحة والتجارة فيه.فقد احتكروا تجارة السلع المربحة مثل: اللؤلؤ، والخيول، والتوابل. وقد كانت هذه البضائع تشكل العمود الفقري لتجارة الجبور، إذ كان اللؤلؤ والخيول العربية أهم صادراتهم إلى الهند. وكانت التوابل والعطور الهندية أهم وارداتهم منها. وبهذه الطريقة تم شل اقتصادهم بشكل شبه تام.

إذا وصلت السفن العربية إلى هرمزوهي تحمل شيئاً من السلع

---

(١) ويلسون، تاريخ الخليج، ص ص ٨٣-٨٤.

المحتكرة، يقوم الضباط البرتغاليون بشرائها بالسعر الذي يريدونه، ثم يبيعونها للتجار بالسعر الذي يفرضونه أيضاً[1]. إضافة إلى الضرائب والرسوم الجمركية الباهظة، التي يفرضونها على السلع في الموانئ التي يسيطرون عليها. مما تسبب فيما يعرف بثورة الجمارك في جميع الموانئ التي يسيطر عليه البرتغاليون في الخليج عام ٩٢٧هـ/ ١٥٢١م[2].

- **نظام الرخص الملاحية والسيطرة على ملاحة الخليج:**

سيطر البرتغاليون على الملاحة في فرض نظام الرخص الملاحية (cartaz) على السفن العربية. ومنعوها من نقل البضائع المحتكرة. وأي سفينة لا تحمل رخصة ملاحية يتم مصادرة بضائعها، وقتل ملاحيها، وحرقها، أو إغراقها[3]. أما السفن العربية المرخصة فإنه لا يسمح لها بالاتجار إلا مع البرتغاليين في هرمز فقط.

- **محاولات الجبور لكسر الحصار البرتغالي:**

فماذا فعل الجبور لكسر هذا الحصار الاقتصادي المفروض عليهم؟ كان وصول البرتغاليين إلى الخليج العربي في عهد السلطان محمد بن أجود (٩٠٢هـ/ ١٤٩٧م-٩١٧هـ/ ١٥١١م)، الذي يبدو انه أحس بمدى الخطر البرتغالي الذي يهدد دولته، فأصدر أوامره إلى قواته التي في عمان بالتصدي للبرتغاليين منذ وصولهم إلى الموانئ العمانية الخاضعة لمملكة هرمز وقتالهم لمنعهم من احتلالها. كما مرَّ معنا في فصل سابق.

أما في عهد خلفه السلطان صالح بن سيف بن زامل (٩١٧هـ/ ١٥١١م-٩٢٢هـ/ ١٥١٦) فقد مال إلى مهادنة البرتغاليين، وتبادل

---

(١) الخليفة، مرجع سابق، ص ص ١٠٤-١٠٥.

(٢) ويلسون، المرجع السابق، ص٨٥.

(٣) الخليفة، مرجع سابق، ص ص ٩٦، ١٠٢.

المراسلات والهدايا مع قائد الأسطول البرتغالي (البوكيرك). وتوصل إلى اتفاق مع ملك هرمز، الذي أصبح تحت حماية البرتغاليين بدفع مبلغٍ سنوي مقابل ادعاءاته في البحرين. واللجوء إلى الطرق الدبلوماسية بدلاً من الحلول العسكرية. ولكن يبدو أن هذه الطريقة لم تجد نفعاً في تخفيف هذا الحصار الاقتصادي الخانق على الجبور.

فكر الجبور في إيجاد منفذ بحري لهم بعيداً عن أخطار القرصنة البحرية التي كان يحترفها البرتغاليون. فاتجهت أنظارهم إلى ميناء (ظفار) على بحر العرب، الذي خضع لسلطة الجبور كغيره من الأقاليم الأخرى، منذ عهد السلطان أجود بن زامل. واتخذوا منه منفذاً رئيساً لتصدير الخيول إلى الهند، حيث كان يتم تجميعها من أماكن تربيتها في السلطنة، ومن ثم تصديرها للأسواق الخارجية عن طريق هذا الميناء[١]. كما كان يتم عن طريقه تصدير اللبان الذي يكثر إنتاجه في منطقة ظفار وجنوب الجزيرة العربية.

أما في عهد خلفه السلطان مقرن بن زامل بن أجود (٩٢٢هـ/ ١٥١٦م-٩٢٧هـ/ ١٥٢١م). فقد كان موقفه صلباً في وجه الأطماع البرتغالية والهرموزية. واتخذ الإجراءات الحازمة ضدهم مثل:

١ • منع السلطان مقرن دفع أي مبالغ لمملكة هرمز، لبطلان ادعاءاتهم في تبعية البحرين لهم لأنها كانت ملكاً لآبائه وأجداده.

٢ • قام باستقدام عدد من العمال لبناء السفن من الترك والعرب، وبنى عدداً من الزوارق السريعة، التي تعمل بالأشرعة والمجاديف. وأخذ يعترض سفن التجارة البرتغالية في الخليج، ومصادرة ما فيها من بضائع، كرد فعل على القرصنة البرتغالية ضد تجارة الجبور في الخليج[٢].

---

(١) Aubin, op. cit. pp.117-18, 121.

(٢) السلمان، مرجع سابق، ص٢٢٧.

٣ • قام بمحاولة تطوير الجيش الجبري، وإدخال الأسلحة النارية إليه عن طريق استقدام بعض المدربين من الأتراك[١].

عجلت السياسة التصادمية التي انتهجها السلطان مقرن ضد البرتغاليين وحلفائهم الهرموزيين، بهجومهم على البحرين قبل اكتمال استعدادات الجبريين الدفاعية، مما أدى إلى استشهاد السلطان مقرن، واحتلال جزيرة البحرين عام ٩٢٧هـ/ ١٥٢١م كما مرّ معنا. ترتب على ذلك انتكاسة خطيرة على المستويين السياسي والاقتصادي في السلطنة الجبرية.

لم تدم هذه الانتكاسة طويلاً، إذ بعد بضعة أشهر تمكن الشيخ حسين بن سيف بن أجود حاكم عمان من استعادة جزيرة البحرين من البرتغاليين، وميناء صحار من الهرموزيين، في عهد السلطان ناصر بن محمد بن أجود. أثناء انتفاضة أهل الخليج ضد البرتغاليين.

أصبح البرتغاليون أكثر دبلوماسية في تعاملهم مع الجبور بعد هذه الانتفاضة. وعادت الأمور السياسية والاقتصادية إلى توازنها في السلطنة الجبرية. ولكن هذه الصحوة لم تدم لأكثر من سنتين، حيث توفي مهندسها الشيخ حسين بن سيف الجبري في ظروف غامضة. وعاد الاحتلال البرتغالي الهرمزي إلى جزيرة البحرين ثانية. فخسر الجبور أهم مواردهم الاقتصادية من لؤلؤ البحرين. ويبدو أن أحفاد هلال بن زامل الجبري قد استقلوا بعمان عن السلطة المركزية في الأحساء، فخسرت السلطنة مواردها من تجارة الخيول، واللبان عبر ميناء ظفار.

يبدو أن خزينة السلطان ناصر بن محمد بن أجود عانت من شح الموارد المالية، بعد أن خسرت مواردها من البحرين وعمان،وربما

---

(١) بوشرب، مرجع سابق، ص١٢٤.

القطيف أيضاً. فتنازل عن الحكم لابن عم أبيه قضيب بن زامل بن هلال لقاء مبلغ من المال عام ٩٣٠هـ/ ١٥٢٤م. وبذلك ذوت السلطنة الجبرية اقتصادياً وسياسياً، بعد أن عاشت مزدهرة لأكثر من قرن من الزمن.

العملة المتداولة عند الجبور

لم تشر المصادر التي تيسر لي الإطلاع عليها إلى أن سلاطين الجبور قاموا بضرب عملة خاصة بهم. وقد ذكر ابن إياس[1]: أن السلطان مقرن بن زامل بن أجود تصدق بـ(٥٠٠٠٠) خمسين ألف دينار ذهباً على فقراء الحرمين في موسم الحج عام ٩٢٧هـ/ ١٥٢١م. ولكنه لم يذكر نوع هذه الدنانير ويبدو أن الجبور كانوا يتداولون العملات الرائجة في التجارة العالمية آنذاك مثل:

١ • **الدينار الأشرفي**: وهو دينار ذهبي تم ضربه في عهد السلطان المملوكي الأشرف برسباي، الذي تولى الحكم في مصر عام ٨٢٥هـ/ ١٤٢٢م. وقد اتفق مع الإيطاليين أن قيمة هذا الدينار تعادل (الأفرتيني) الإيطالي في الوزن والعيار، ليحافظ بذلك على ثبات قيمته في مقابل عملتهم في التجارة العالمية[2]. وقد كان البرتغاليون يطلقون عليه اسم (زافران)، وكان هذا الدينار متداولاً في سلطنة الجبور، ومملكة هرمز[3].

٢ • **الدوكات**: وهي عملة ذهبية ضربت منذ سنة ١٢٨٤م في مدينة البندقية بإيطاليا. وكانت من النقد الرائج في التجارة العالمية أيضاً، وخصوصاً في أوربا. وكان العرب يسمون هذا الدينار

---

(١) بدائع الزهور، ج٥، ص٤٣١.
(٢) الشافعي، العملة وتاريخها، ص١٠٩.
(٣) كيرافران، المرجع، ص٢٠.

(المشخص) لوجود صور أشخاص القديسين عليه[1]. وكان متداولاً هو الآخر عند الجبور، وفي الحجاز.

٣ • **الأقجة العثمانية**[2]: وهي عملة فضية دخلت إلى منطقة الأحساء مع العثمانيين، وزامنت الجبور في دورهم الثاني. وكانت تستعمل لدفع رواتب الموظفين العثمانيين. وفي الأسواق المحلية.

---

(١) الشافعي، المرجع السابق، ص١٠٨.

(٢) مهمة دفتري (٣) حكم (١١٤٦) بتاريخ ٢٣ شعبان ٩٦٧هـ.

الفصل الثامن

نظام الحكم والإدارة عند الجبور

القبيلة والدولة

إن مفهوم الانتساب إلى القبيلة في الجزيرة العربية، لا يقتصر على البدو فقط، بل أن الكثير من الأسر المتحضرة تنتسب إلى قبائل معروفة، ولكنها استقرت في المدن والأرياف، وتركت حياة البداوة كنمط اجتماعي للحياة، يعتمد على رعي الماشية والتنقل في الصحراء.

جرت العادة أنه في سنوات الجفاف، وانعدام الأمطار في البادية يلجأ البدو إلى المناطق الزراعية، ويشكلون ضغطاً عليها وكلما كانت سلطة الدولة ضعيفة، كلما ازداد تغلغل البدو والضغط على المناطق الريفية، حتى تلجأ السلطات المحلية إلى الاستعانة بشيخ القبيلة، ومنحه بعض الامتيازات المادية، والسلطات المعنوية لمساعدتهم في منع تعديات البدو على المناطق الزراعية، ومن أمثلة ذلك: الإمارة الطائية في بلاد الشام في عهد دولتي الأيوبيين والمماليك[1]. والعصفوريون شيوخ بني عامر العقيليون في عهد دولتي القرامطة والعيونيين. وبنو جبر في عهد دولة بني جروان

(١) الحياري؛ مصطفى، الإمارة الطائية في بلاد الشام، عمان، ١٩٧٧م.

في الأحساء[1]. وبنو خالد في عهد الدولة العثمانية في الأحساء أيضاً[2].

● ملامح دولة القبيلة:

كان العالم ابن خلدون[3]، الذي عاش في النصف الثاني من القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي، أول من أشار إلى أهمية دور القبيلة في قيام الممالك، إذ يقول: «فإن الغلب الذي يكون به الملك، إنما هو بالعصبية، وبما يتبعها من شدة البأس. . . ولا يكون ذلك غالباً إلا مع البداوة، فطور الدولة من أولها بداوة. ثم إذا حصل الملك تبعه الرفه، واتساع الأحوال والحضارة».

امتازت الجزيرة العربية بقيام دول وإمارات فيها، كان للقبيلة دور أساسي في إنشائها، تحولت مشيخة القبيلة فيها إلى أسرة حاكمة. ثم تأخذ الأسرة بتوسيع دائرة نفوذها بإخضاع القبائل المجاورة لها، أو الدخول في تحالفات معها، معتمدة على قوة القبيلة وتماسك قيادتها.

والدولة التي نعنيها هنا هي ذلك النمط من الحكم الذي كان سائداً قبل قيام الدول الحديثة. فلا حدود مرسومة وثابتة جغرافياً بين الدول. والسلطة المركزية فيها تقوى، وتضعف حسب شخصية الحاكم. يخضع لها مجموعة من البشر يعيشون ضمن حدود هذه الدولة بصرف النظر عن أصولهم ومعتقداتهم.

لا شك أن طبيعة الحكم في سلطنة الجبور كانت متأثرة بالطبيعة

---

(١) المديرس، الدولة العيونية، ص ص ١٣٧-١٣٩.

(٢) الوهبي، بنو خالد، ص ١٢٧ وما بعدها .

(٣) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، تاريخ ابن خلدون المسمى (العبر)، بيروت، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م. ج١، ص ١٤٤ .

القبلية للأسرة الحاكمة، والبيئة التي قامت فيها. حيث يوجد زعيم كبير على قمة السلطة ويساعده في إدارة البلاد عدد من أفراد أسرته. وليس هناك نظام ثابت لانتقال السلطة من السلف إلى الخلف.

تطور دولة الجبور

لعلنا باستعراض هذه المفاهيم، نلقي الضوء على طبيعة السلطة في سلطنة الجبور، وتنظيماتها الإدارية. بالرغم من ندرة المصادر التي يمكننا الاعتماد عليها لتوضيح الصورة من جوانبها المختلفة.

أما لقب الحاكم وتطور الإدارة فقد مر بثلاث مراحل هي:

- **مشيخة القبيلة:**

في بداية القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي كانت قد ترسخت زعامة بني جبر كشيوخ لقبيلة بني عامر في منطقة الأحساء التي كانت في تلك الفترة خاضعة لحكم أمراء بني جروان من عبد القيس. وفي عهد الأمير إبراهيم الجرواني، كان شيخ بني عامر زامل بن حسين بن ناصر بن جبر. ويساعده ابنه الأكبر سيف بن زامل.

يبدو أن تنامي قوة ونفوذ الزعامة الجبرية في الإحساء، أخاف الأمير الجرواني من استيلائهم على سلطته. فقد ذكر السخاوي[١]: أن آخر أمراء بني جروان خطط لقتل سيف بن زامل الجبري، الساعد الأيمن لأبيه، وانكشفت الخطة، فثار الجبور على الحاكم الجرواني، وقتلوه، واستولوا على الأحساء وبذلك يكون الشيخ زامل بن حسين الجبري/

---

(١) السخاوي، الضوء اللامع، ج١ ص ١٩٠ .
الحميدان، الصراع على السلطة في دولة الجبور، ص٤٩.

مؤسس الدولة الجبرية، وأول حكامها. وقد سبق وأثبتنا ذلك في الفصل الثاني من هذا الكتاب.

• تأسيس المملكة الجبرية:

بذلك تكون زعامة الجبور، قد تحولت من مشيخة القبيلة إلى الملك. والملك يعني خضوع جميع السكان من بدو وحضر لسلطة الدولة. وإن كانت القبيلة تعتبر صمام الأمان في تثبيت السلطة، والأمن في الدولة.

وقد مر معنا قيام الشيخ زامل بعدة حملات تأديبية للقبائل المخلة بالأمن، والتي تهدد طرق التجارة البرية، عبر الجزيرة العربية. وقد ذكر ابن بسّام[١]: أن جيشه كان يتكون من البدو والحضر. وهذا يعني التقاء مصالح الطرفين في استتباب الأمن وتشجيع التجارة، وتأمين السبل. وفي عهده وعهد ابنه سيف بن زامل اتسعت رقعة الدولة الجبرية فأصبحت تضم الأحساء والقطيف ونجد وقطر.

• قيام السلطنة الجبرية:

في عهد السلطان أجود بن زامل اتسعت رقعة الدولة الجبرية وضم إليها جزيرة البحرين وما يعرف اليوم بدولة الإمارات وعمان، وإقليم ظفار، وبعض المناطق الشرقية من اليمن.

وتلقب بالسلطان الشيخ أجود بن جبر[٢]، وبذلك تحولت مملكة الجبور إلى سلطنة، ومن عهده أخذ حكام الجبور يتلقبون بالسلاطين،

---

(١) انظر نص بن بسام الفصل الثاني من الكتاب ص٢٨-٢٩.

(٢) الحميدان، المرجع السابق، ص٥٤.

ولقب السلطان: يدل على مركزية السلطة، وشرعيتها، واستقلالية الدولة عن التبعية لأحد، ضمن حدود يعترف بها[1].

أما لقب (الشيخ) فإنه ذو مدلول قبلي، إذ تعرف القبيلة بشيخها. فيقال عرب بني جبر، كمام يقال بلاد بني جبر. كما ورد في كثير من المصادر[2]. وقد حرص السلطان أجود أن يحمل أبناؤه لقب ابن جبر[3]. ومثل هذا اللقب لا يزال متعارفاً عليه في منطقة الخليج والجزيرة العربية. فيقال: (ابن صباح) و(ابن ثاني) و(ابن خليفة) مع احترامي للأسر التي استخدمت أسماءها كأمثلة.

● تداول السلطة في دولة الجبور:

من الملاحظ أن تداول السلطة في سلطنة الجبور كان يتم حسب الأعراف القبلية في انتقال المشيخة .

فتارة تنتقل من الأب إلى الابن، كما في حالة الشيخ زامل وابنه سيف، الذي شارك مع أبيه في تأسيس الدولة. وأخرى من الأخ إلى أخيه كما في حالة سيف وأخيه أجود الذي ساهم أيضاً في الفتوحات التي تمت في عهد والده وأخيه سيف.

بعد استلام السلطان أجود للحكم عام ٨٧٤هـ/ ١٤٧٠م عين ابنه زاملاً حاكماً على ميناء سلوة، وشبه جزيرة قطر، وفي عام ٨٨٠هـ/ ١٤٧٥م أرسله على رأس حملة بحرية لاحتلال هرمز، وتنصيب سلغور

---

(١) الحميدان، إمارة الجبور، ص٦٢.

(٢) الجزيري، الدرر، ج١، ص ٧٦٠، ج٢، ص١١٢٤.
الغزي، الكواكب السائرة، ج١، ص٢١٥.
ابن فهد، عبد العزيز بن عمر، بلوغ القرى بذيل اتحاف الورى، مخطوط الحرم المكي، (تاريخ دهلوي) حوادث موسم ٩١٧ هـ .

(٣) الحميدان، المرجع السابق، ص٥٥ .

ملكاً عليها، بموجب اتفاق تم بموجبه تنازل سلغور بن توران شاه عن البحرين، وادعاءاته في تبعية القطيف[١].

ولكن بعد هذا التاريخ تصمت المصادر عن ذكر زامل بن أجود. ويبدو أنه توفي في حياة أبيه، قبل عام ٩٠٢هـ/١٤٩٧م. ونرجح أنه قتل في إحدى معاركه مع آل مانع من العصفوريين، إذ أن شاعرهم ابن حماد يقول في رده على ابن زيد شاعر السلطان أجود أنهم قتلوا شخصاً جبرياً مهماً اسمه (زامل) في معركة حدثت بينهم في عهد السلطان أجود قرب المطلاع (شمال الكويت حالياً). يقول ابن حماد[٢]:

ومن قبلة المطلاع فيكم وقيعة	لجا غلها بأقصى ضميرك زاد
ولما قضينا وارتضينا على اللقا	وزان القضا لي يا بن زيد وجاد
غديت وخليت السوام وزامل	يفوق على البيدا بغير وساد

بلغت السلطنة الجبرية في عهد السلطان أجود أوج قوتها واتساعها فحينما وصل البوكيرك قائد الأسطول البرتغالي إلى منطقة الخليج في عهد السلطان محمد بن أجود عام ٩١٣هـ/١٥٠٧م وصف ابن جبر بأنه يحكم جزيرة العرب من شمال الخليج إلى مكة إلى عمان وعدن[٣]. وإن كان هذا الكلام فيه بعض المبالغة، إلا أنه ليس بعيداً عن الحقيقة.

لم يكن السلطان محمد بن أجود في قوة والده، ونفوذه على جميع أمراء الأسرة الحاكمة، فقد فشل في توريث الحكم إلى ابنه ناصر، أو إلى أخيه الأصغر علي بن أجود.

وهنا برزت الطريقة القبلية في الاستيلاء على السلطة من قبل الرجل

---

(١) ابن ماجد، الفوائد، ص٣٠٢.

(٢) الصوبان، الشعر النبطي، ص٣٠٣.

(٣) The Commentaries of The Great Afonso Dal Boquerque. Trans by W. de Gray Birch. (New York, reprinted 1970) Vol. 1. P.84.

الأقوى من أبناء الأسرة الحاكمة، فقد تنافس كل من الشيخ صالح بن سيف بن زامل، بن أخ السلطان أجود. وحفيده الشيخ مقرن بن زامل بن أجود. وكان هذان الرجلان يصاحبان السلطان محمد بن أجود في بعض حملاته، وفي قيادة ركبان الحجاج إلى مكة المكرمة. ولكن يبدو أن صالحاً أكبر سناً من منافسة مقرن، وأكثر علماً منه، إذ كان أحد طلبة العلم الشرعي قبل ولايته كما مر معنا. مما رجح كفته في الأسرة أمام منافسه وتولى سلطنة الجبور[1]، فانتقل بذلك الحكم من بيت أجود إلى بيت أخيه سيف بن زامل، الذي له الفضل في تأسيس الدولة -كما مر معنا- وقتل وهو يثبت أركانها.

استمر السلطان صالح في السلطة لمدة خمس سنوات، كان خلالها منافسه القوي مقرن بن زامل يشدد الضغط عليه، حتى أقصاه عن الحكم عام ٩٢٢هـ/ ١٥١٦م بالقوة، وبذلك عادت السلطة إلى بيت السلطان أجود بن زامل مرة ثانية.

كان السلطان مقرن بن زامل حازماً وقوياً، حافظ على هيبة السلطنة الجبرية واستقلالها عن البرتغاليين والهرموزيين. حتى استشهد، وهو يدافع عن جزيرة البحرين ضد الغزو البرتغالي الهرموزي المشترك عام ٩٢٧هـ/ ١٥٢١م. كما مر معنا.

وبذلك فقدت السلطنة سيادتها على جزيرة البحرين. والقطيف ولو إلى حين.

ترك استشهاد السلطان مقرن بن زامل بن أجود فراغاً سياسياً كبيراً في السلطنة الجبرية. لم يستطع خلفاؤه ملء هذا الفراغ، فاتجهت الأنظار صوب أسرة السلطان أجود بن زامل، فكان علي بن أجود أكبرهم سناً،

---

(١) ابن فهد، عبد العزيز: بلوغ القرى بذيل إتحاف الورى، أحداث موسم عام ٩١٢هـ؛ ابن العماد، شذرات الذهب، ج٨، ص١٧٣.

فبايعوه سلطاناً عليهم. ولكنه لم يستطع السيطرة على الأمور في السلطنة فتنازل عن الحكم بعد شهرين من ولايته لابن أخيه السلطان ناصر بن محمد بن أجود الذي استمر في الحكم لمدة ثلاث سنوات وفي عهده استعادت السلطنة الجبرية بعض توازنها بمساعدة ابن عمه الأمير حسين بن سيف بن أجود حاكم عُمان .

فقد استطاع هذا الأخير قيادة الثورة ضد البرتغاليين في البحرين فأبادهم وأعاد سيادة السلطنة الجبرية على البحرين والقطيف أواخر عام ٩٢٧هـ/ ١٥٢١م. ثم انتزع ميناء صحار العماني من الهرموزيين وأضافه إليه عام ٩٢٩هـ/ ١٥٢٣م .

بعد وفاة الأمير حسين بن سيف الجبري. وولاية أخيه الأمير قطن بن سيف الجبري لم تلبث أن خرجت البحرين من يد الجبور مرة ثانية للسيادة الهرموزية البرتغالية المشتركة.

شحت الموارد المالية على السلطان ناصر بن محمد بن أجود الجبري بعد أن فقد موارده من البحرين وعمان وربما القطيف أيضاً. فتنازل عن الحكم لابن عم أبيه قضيب بن زامل بن هلال الجبري لقاء مبلغ من المال. وبذلك تكون السلطة قد خرجت من بيت أجود بن زامل مرة أخرى ولكن هذه المرة إلى بيت أخيه هلال بن زامل في أواسط عام ٩٣٠هـ/ ١٥٢٤م. واستمرت حتى قام الشيخ راشد بن مغامس بن شبيب، شيخ قبيلة المنتفق باحتلال الأحساء والإجهاز على السلطنة الجبرية عام ٩٣٢هـ/ ١٥٢٥م.

● عوامل إنهيار السلطنة الجبرية:

لقد كان هناك أكثر من سبب وراء زوال هذه السلطنة ولكننا نذكر أربعة منها والتي نعتقد أنها الأهم:

١ ● ضعف السلاطين الذين خلفوا السلطان مقرن، وصراعهم المستمر

على السلطة. ولا أدل على ذلك من أن خمسة منهم حكموا مدة تقل عن خمس سنوات ٩٢٧-٩٣٢هـ. وكان هذا من أهم العوامل التي أدت إلى انهيار السلطنة.

٢ • انتقال السلطة من الأجوديين إلى الهلاليين المسيطرين على عمان والذين تغلب عليهم البداوة، وتنقصهم الدراية السياسية. فاتسمت فترة حكمهم بعدم الاستقرار في السلطة بسبب الصراع عليها. حيث حكم ثلاثة منهم أقل من سنتين.

٣ • سقوط جزيرة البحرين بيد البرتغاليين والهرموزيين، واستشهاد السلطان مقرن، كان صدمة قوية للسلطنة الجبرية، جعلها تفقد توازنها، وتتخبط في فوضى سياسية واقتصادية.

٤ • الركود الاقتصادي، والكساد التجاري، الذي زامن فترة حكم خلفاء السلطان مقرن، حيث تمكن البرتغاليون من القبض على عنق الزجاجة في الخليج، فسدوا هذا المنفذ الحيوي الهام في وجه التجارة البحرية الخليجية إلا عن طريقهم. وازداد الأمر سوءاً حين استولوا على جزيرة البحرين وسلبوا خيراتها التي كانت ترد إلى خزينة السلطنة الجبرية.

التقسيمات الإدارية

• في عهد السلطان أجود بن زامل وابنه محمد:

قام السلطان أجود بن زامل قبل وفاته بتقسيم السلطنة إلى ثلاث مناطق إدارية، وجعل إدارة كل واحدة منها إلى أحد أبنائه الثلاثة، وقدم عليهم ابنه محمد، الذي أصبح السلطان من بعده. وكانت هذه التقسيمات على النحو التالي:

- الأحساء العاصمة ونجد: كانت تحت الإدارة المباشرة للسلطان

الذي يتربع على قمة هرم السلطة. وذلك حتى تكون علاقته مباشرة مع شيوخ القبائل في نجد لضمان الأمن وسلامة طرق الحج. وتجارة العبور إلى الشام والحجاز واليمن.

- عُمان: وتضم ما يعرف حالياً بدولة الإمارات، وعمان، وإقليم ظفار وشرق اليمن. وكان مقر الحاكم الجبري في واحة البريمي التي تتحكم في عمان عسكرياً وتجارياً.

وكان أول حاكم لهذا الإقليم الأمير سيف بن أجود، الذي ساهم في حياة والده في فتح هذه المنطقة وضمها إلى سلطة الجبور. وهو تابع لسلطة أخيه السلطان محمد بن أجود. وقد عدد البوكرك الموانئ التابعة له فذكر منها: (الفرتاق)، الرستاق، ومسقط، وقلهات، وظفار[1].

لكن يبدو أن الأمير سيف بن أجود قد توفي قبل وفاة أخيه السلطان محمد بن أجود عام ٩١٧هـ/ ١٥١١م. إذ لم يكن من ضمن المتنافسين على العرش من بعده.

أما ولاية عمان فقد آلت إلى ابنه حسين بن سيف بن أجود من بعده.

- منطقة القطيف والبحرين: كانت القطيف وقراها، وجزيرة البحرين وما يتبعها من جزر، تشكل وحدة إدارية. ويبدو أنها كانت تحت حكم علي بن أجود، وهو أصغر إخوته، وتحت الإشراف المباشر من أخيه السلطان محمد بن أجود[2].

• في عهد السلطان صالح بن سيف الجبري:

أما في عهد السلطان صالح بن سيف، فلم تسعفنا المصادر عن نوعية

---

(١) OP. Cit., P. 84.

(٢) الحميدان، المرجع السابق، ص٥٦ - ٥٧.

التقسيمات الإدارية في عهده. وإن كنا نرجح أنها لم تختلف عن الطريقة المتبعة عند من كانوا قبله أو بعده.

• في عهد السلطان مقرن بن زامل الجبري:

أما في عهد السلطان مقرن بن زامل بن أجود الجبري فكانت مقسمة إلى ثلاث مناطق أيضاً، كما كانت في عهد جده أجود، وعمه محمد بن أجود.

- منطقة الأحساء ونجد: تحت الحكم المباشر للسلطان مقرن.
- منطقة عُمان: يحكمها نيابة عن السلطان مقرن الأمير حسين بن سيف بن أجود.
- منطقة القطيف والبحرين: كانت تحت حكم ابن اخته الشيخ حميد نيابة عنه.

• في عهد السلطان ناصر بن محمد بن أجود:

أما في عهد السلطان ناصر بن محمد بن أجود فيبدو أن السلطنة كانت مقسمة إلى منطقتين فقط.

١ • تتكون من الأحساء والقطيف ونجد: تحت الإشراف المباشر للسلطان ناصر بن محمد بن أجود.

٢ • تتكون من جزيرة البحرين، وبقية الساحل الغربي للخليج، وعمان وظفار على بحر العرب. وكانت تحت حكم الأمير حسين بن سيف بن زامل بن أجود، حتى توفي مطلع عام ٩٣٠هـ/١٥٢٣م[١].

بعد وفاة الأمير حسين بن سيف خرجت البحرين من يد الجبور مرة ثانية وأصبحت تحت السيادة البرتغالية الهرموزية المشتركة.

---

(١) Suasa, OP. Cit. Vol. 1 PP. 265-267

في هذه الظروف الغامضة والمضطربة يبدو أن الأمير قطن بن سيف خلف أخاه حسين في إمارة عمان لفترة قصيرة. وقد مدحه الشاعر عامر السمين[١] وقدم له النصح وحثه على المخاطرة لاستعادة ملكه المسلوب. ولكن يبدو أن الظروف لم تكن في صالحه.

أما ولاية عمان فقد تسلمها الشيخ قضيب بن زامل بن هلال الجبري. وقد مر معنا أن الشيخ هلال بن زامل الجبري - أخ السلطان أجود - قد شارك في فتوحات منطقة ظفار، وشرق اليمن أيام السلطان أجود، لأن ذرية هلال بن زامل الجبري قد استقروا في عمان بعد ذلك .

إن هذه الأقاليم الإدارية على اتساع رقعتها، لابد وأن يكون هناك تقسيمات أصغر منها يديرها ولاة أو شيوخ يعينون في مدنها وبلداتها وجزرها، ويساعدهم عدد من الموظفين الإداريين والماليين المخصصين لجباية الزكاة، والجمارك في الموانئ التابعة لهم.

يضاف إلى ذلك قادة فرق الجيش، والشرطة في كل إقليم. وجميع هؤلاء يرتبطون إدارياً بالحاكم الأعلى للإقليم، الذي يدير البلاد بأسلوب اللا مركزية.

وهكذا نجد أن تعدد مراكز القوى في السلطنة الجبرية جعل التصادم فيما بينها أمراً لا مفر منه، حينما تولى الزعامة العليا سلاطين ضعفاء، لا يستطيعون الهيمنة وفرض هيبتهم على الجميع.

(١) الصويان، المرجع السابق، ص٣٢٦-٣٢٧ .

تنظيم الجيش في عهد الجبور

● **قيادة الجيش:**

كان السلطان يعتبر القائد الأعلى للجيش. وكثيراً ما كان سلاطين الجبور يقودون الجيوش في المعارك، وخصوصاً المصيرية منها.

كان سلاطين الجبور يتصفون بالشجاعة والإقدام في حروبهم، وقد اعترف بذلك أعداؤهم، وأصدقاؤهم على السواء. فقد قاد الشيخ زامل بن حسين عدة حملات لتأديب القبائل في عهده. كما قام الملك سيف بن زامل على آخر ملوك بني جروان فقتله، وانتزع الملك منه، كما مر معنا.

ووصف المؤرخ السخاوي[1] السلطان أجود بن زامل بقوله:

«أنه ذو أتباع يزيدون على الوصف، مع فروسية تعددت في بدنه جراحات كثيرة بسببها»

السلطان محمد بن أجود، الذي قاد جيشاً بلغ خمسين ألفاً نجدة لشريف مكة عام ٩١٢هـ/ ١٥٠٧م[2].

السلطان صالح بن سيف بن زامل وصفه ابن العماد الحنبلي[3] بقوله: «كان... شجاعاً مقداماً، عادلاً في ملكه، صالحاً كاسمه».

أما السلطان مقرن بن زامل بن أجود، الذي قاد معركة الدفاع عن البحرين بنفسه، حتى استشهد. فقد وصفته المصادر البرتغالية أنه كان «يضع نفسه في مقدمة الصفوف بكل جرأة»[4] وقد قتل تحته حصانان وهو يصول في ميدان المعركة، حتى أصابه طلق ناري فاستشهد[5].

---

(١) الضوء اللامع، ج١، ص ١٩٠ .

(٢) ابن فرج، السلاح والعدة في تاريخ جدة، ص٤١.

(٣) شذرات الذهب، ج٨، ص١٧٣.

(٤) بوشرب، المرجع السابق، ص ١٢٥ .

وقد مر معنا الكثير من المعارك التي قادها أمراء الجبور مثل:

- قيام الأمير زامل بن أجود بحملة بحرية لاحتلال مملكة هرمز.
- قيام الأمير سيف بن أجود بفتح عمان.
- قيام الأمير هلال بن زامل بن حسين بفتح ظفار وشرق اليمن.
- قيام الأمير حسين بن سيف بن أجود باستعادة البحرين من البرتغاليين، وكذلك قيامه باحتلال مدينة صحار من الهرموزيين. وغيرها من الحملات التي لم تشر المصادر إلى قادتها صراحة كقول المصادر البرتغالية[1]: وصلت نجدة لمدينة مسقط يقودها (ابن جبر) قوامها عشرة آلاف مقاتل.

وغيرها من الحملات التي لم تشر المصادر إلى أسماء قادتها من الجبور.

● عناصر الجيش وتقسيماته:

كان الجيش في عهد السلطنة الجبرية يتألف من العنصر العربي، الذي يتصف بالنشاط والحيوية من منطقة نجد، والمتأقلم مع ظروف البيئة الصحراوية[2]. وكانت نواته من محاربي قبيلة بني عامر العقيلية، ثم انضمت إليه مجموعات من القبائل الأخرى المتحالفة معهم. وبعد أن قامت دولتهم كانت قوات الجبور تتألف من البدو والحضر - كما مر معنا - للدفاع عن هذه الدولة الفتية، التي التقت فيها مصالح الطرفين. وقد

---

(٥) سلفا، صفحات عن الغزو البرتغالي، ص٢٧.

(١) The Commentaries, OP. Cit. Vol.1. PP 74-75

(٢) قال الشاعر بن زيد في وصف جيش السلطان أجود:

فياويل كل الويل من حارب أجود   إلى جر من روس البوادي جنودها

الدخيل، البحث عن أعراب نجد، ص٢٨٠.

تنامى عدد هذا الجيش حتى بلغ خميسن ألفاً في عهد السلطان محمد بن أجود، وهو عدد كبير في تلك الفترة.

كان الجيش خلال فترة تأسيس الدولة في عهد كل من الشيخ زامل بن حسين، والشيخ سيف بن زامل يتكون من قوات برية فقط. إذ لم نلاحظ أي نشاط عسكري بحري في عهدهما.

أ- القوات البرية:

كانت القوات البرية تنقسم إلى قسمين حسب وسيلة النقل.

قوات الهجانة: وهي التي تعتمد في تنقلاتها على الإبل بصورة أساسية، لتوفرها بأعداد كبيرة، وقدرتها على تحمل مشاق عبور الصحراء، وقلة الماء. وكان بعضها مخصصاً لنقل تجهيزات الجيش ولوازمه من خيام ومؤن وماء وسلاح. وهناك أنواع من الإبل مخصصة للركوب، وهي سريعة وخفيفة الحركة، خصوصاً تلك التي كانت تربى في منطقة عمان، إذ كانت تستعمل في القتال، والكرو الفر، مثلها مثل الخيل تماماً.

وقد ذكر لنا البوكيرك قائد الأسطول البرتغالي عدد قوات الجبور، التي وصلت لنجدة مدينة صحار العمانية، حينما حاصرها أسطوله عام ٩١٣هـ/١٥٠٧م. بحوالي ألفي فارس على جيادهم، وخمسة آلاف من الجنود المشاة[١]. وصلوا من داخل عمان. وهذا يعني أن نسبة الفرسان إلى المشاة كانت (٢ إلى ٥).

كما ذكرت لنا المصادر البرتغالية عدد قوات الجبور البرية التي هاجمت مدينة صحار عام ٩٢٩هـ/١٥٢٣م. بأنها تتألف من (٥٠٠)

---

(١) The Commentaries, OP. Cit. Vol.1. P 89

فارس و(٤٠٠٠) من المشاة. وهذا يعني أن نسبة الفرسان إلى المشاة في هذه الحملة هي (١ إلى ٨).

- قوات الفرسان: كانت الخيل متوفرة في المنطقة لأنها كانت تربى في الواحات بكيمات تجارية للتصدير، ومن سلالات عربية أصيلة. وكانت هذه القوات هي السلاح الحاسم في المعارك البرية. لسرعة حركتها في شن الغارات والكر والفر، ومفاجأة العدو وإرباكه. وقد كانت نسبة الفرسان في قوات الجبور البرية حوالي (٢٠٪) من الجيش حسب الإحصائيات السابقة.

- قوات المشاة: وهي تكون حوالي (٨٠٪) من عدد القوات البرية بناءً على الإحصائية التي أشرنا إليه بعاليه.

ب- القوات البحرية:

تم في عهد السلطان أجود بن زامل تجهيز أول حملة بحرية بقيادة ابنه الأمير زامل بن أجود، واحتل جزيرة هرمز عام ٨٨٠هـ/ ١٤٧٥م[١]. ولكن السفن التي استخدمت في الحملة لم تكن سفناً حربية مجهزة بمدفعية، بل سفناً شراعية عادية مخصصة للنقل نقلت القوات ثم أنزلتها على شواطئ الجزيرة.

الأسطول:

أما الأسطول فلم يتم بناؤه إلا في عهد السلطان مقرن بن زامل، فقد استقدم بعض الحرفيين الأتراك من الحجاز، لبناء مراكب ذات مجاديف سريعة الحركة، لا تعتمد فقط على الأشرعة والرياح[٢]. وأخذ يعترض بها

(١) ابن ماجد، الفوائد، ص٣٠٢.

(٢) Ozbaran, S. «Bahrain in the Sixteenth Century» OP. Cit. P 229. =

تجارة البرتغاليين بين هرمز والبصرة، رداً على اعتراض البرتغاليين لتجارة الجبور البحرية .

كما قام السلطان مقرن بالاستعانة ببعض الحرفيين من الترك والفرس والعرب لبناء أسطول حديث[(١)]، يستطيع به الدفاع عن شواطئ مملكته ولكن يبدو أن أحداث غزو البرتغاليين والهرمزيين للبحرين واحتلالها، قد تسارعت قبل إنجاز هذا المشروع عام ٩٢٧هـ/ ١٥٢١م. حيث تم حرق جميع السفن التي كانت في ميناء الجزيرة[(٢)].

ج- أنواع الأسلحة:

- الأسلحة التقليدية:

أما تسليح هذه القوات، فكان حسب المصادر البرتغالية[(٣)]: تقليدياً، وخفيفاً مثل: السيوف، والرماح، والخناجر، والقسي (القوس والنشاب). وتجهيزات الحماية التقليدية مثل: الترس، والدرع، والخوذة[(٤)].

أما أماكن صنع هذه الأسلحة فكانت من أماكن مختلفة: فالسيوف والخناجر كانت تصنع في الهند، ويسمى سيفها بالمهند. وفي اليمن، ويسمى باليماني .

أما الرماح فكانت تجلب قناتها من الهند إلى القطيف (الخط) وهناك يتم تقويمها وتركيب الأسنة (الحراب) عليها، وتسمى الخطية .

= بوشرب، المرجع السابق، ص١٢٤.

(١) السلمان، الغزو البرتغالي، ص٢٢٧.

(٢) بوشرب، المرجع السابق، ص١٢٥.

(٣) Suasa, OP. Cit. Vol. 1. PP. 265 267

(٤) The Commentaries, OP. Cit. Vol.1. PP 74-75

أما القسي: فكانت في الغالب تجلب من بلاد فارس (إيران).

وقد ذكرت المصادر البرتغالية[1]: أن جيش السلطان مقرن الذي دافع عن البحرين كان معه (٤٠٠) من رماة السهام.

- الأسلحة النارية:

تم في عهد السلطان مقرن بن زامل إدخال الأسلحة النارية إلى جيش الجبور، ولكن بشكل محدود. ومن هذه الأسلحة ما أشارت إليه المصادر البرتغالية[2]. من وجود (٢٠) تركياً من رماة البنادق، ضمن جيش السلطان مقرن الذي كان معداً للدفاع عن البحرين. وكذلك وجود بعض المدافع التركية، التي كانت متمركزة على سور المدينة. ويبدو أن مهمة هؤلاء الأتراك كانت تدريب الجيش الجبري على استخدام هذه الأسلحة، التي وصلت حديثاً إلى السلطنة عام ٩٢٧هـ/ ١٥٢١م.

كان جيش السلطنة الجبريةيعتبر من أقوى الجيوش في الجزيرة العربية آنذاك. ولكن دخول البرتغاليين بأساطيلهم البحرية القوية، والمجهزة بالمدفعية الثقيلة، إلى منقطة الخليج، أخل بموازين القوى. مما أدى إلى فقدان الجبور بعض موانئهم البحرية، مثل: البحرين والقطيف وفرض حصار إقتصادي عليهم، وبالتالي ضعفهم وزوال دولتهم.

---

(١) بوشرب، مرجع سابق، ص١٢٤.

(٢) بوشرب، نفس المرجع والصفحة.

الفصل التاسع

الحياة الاجتماعية والدينية

الحياة الاجتماعية عند الجبور

● الوضع الاجتماعي لأسرة الجبور الحاكمة:

تعتبر الخلفية الاجتماعية لأسرة الجبور بدوية. وكانت تسود بينهم الأعراف والتقاليد القبلية مثل: الشجاعة والفروسية، والكرم، وإغاثة الملهوف، وإيواء المستجير، والمروءة.

وقد حفظت لنا المرويات الشعرية التي قيلت في مدح حكام وأمراء الجبور أمثلة كثيرة تبرز هذه الخصال[١].

أما الشجاعة فقد ذكرنا طرفاً من أخبارها عند الجبور في معرض حديثنا عن قيادة الجيش[٢].

أما فنون الفروسية وركوب الخيل فكانت من الأولويات التي يربون عليها أبناءهم منذ نعومة أظفارهم، سيما وأنهم كانوا يربون الخيول ويصدرونها إلى البلدان الأخرى.

---

(١) انظر: فصل أدبيات الجبور في هذا الكتاب.

(٢) انظر: الفصل الثامن من الكتاب.

وأما الكرم فقد كان أهل الحرمين يسمون السلطان أجود (أبو الجود أجود)[١] لكثرة نفقاته فيهم. والسلطان مقرن بن زامل أنفق في حجته الأخيرة خمسون ألف دينار على فقراء الحرمين[٢].

كان حكام الجبور وأمرائهم يجيزون الشعراء وقاصديهم بأصائل الخيل مع فحولها، وكرائم الإبل العُمانيات، والذهب الأحمر، وأحمال التمر والطعام.

وقد أشار الشاعر العليمي إلى أنواع هذه الأعطيات في قصيدته التي مدح فيها الأمير قطن بن قطن بن علي بن هلال الجبري بقوله[٣]:

شيخ عطاياه جرد الخيل ملبسة   وكل أجرد عطعيط وصهال
والحمر والتمر صفط من وهايبه   وهجاهج الهجن منسوبات الآصال

والشاعر العليمي من اهل نجد وممدوحه قطن بن قطن في عُمان ولو لم يكن يؤمل بعطاء سخي من ممدوحه لما تجشم قطع هذه المسافات البعيدة في هذه الصحاري المهلكة ليصل إليه وينال عطاءه. واصفاً رحلته بهذا البيت:

من العارض إلى وادي عُمان   على قود مواطيها حفينا[٤]

بالرغم من أن حكام الجبور وأمراءهم كانوا يسكنون القصور في المدن ويملكون البساتين. إلا أنهم لم يقطعوا صلتهم بالبادية وتربية الماشية. فإذا هطلت الأمطار وربعت رياض الصمان والدهناء، خرجوا إليها وأقاموا مضاربهم حيث قطعانهم من الإبل والغنم في المراعي

---

(١) السمهودي، وفاء الوفاء، ج٣، ص١٠٩٣.
(٢) ابن إياس، مصدر سابق، ج٥، ص٤٣١.
(٣) الصويان، المرجع السابق، ص٣٥٤.
(٤) الصويان، المرجع السابق، ص٣٥٨.

الوافرة، فيمضون فصل الربيع. فإذا جاء فصل الصيف، قفلوا عائدين إلى الأحساء وبساتينها، حيث الرطب والفواكه والخضار.

وقد عبر الشاعر ابن زيد عن ذلك وهو يمدح السلطان أجود بن زامل بقوله[1]:

يحل بها الدهنا إذا جاده الحيا   والأحسا إذا طاب الجنا من عذوقها

كما كان لأمراء الجبور اهتمام وولع بالصيد والقنص، وخصوصاً في أيام تواجدهم في الصحراء في فصلي الشتاء والربيع. وكانوا يقومون بتدريب بعض الحيوانات على الصيد مثل: الفهود على صيد الغزلان، والكلاب السلوقية على صيد الأرانب.

ومن ذلك قول الشاعر النابغة ابن غنام في مدح السلطان محمد بن أجود في وصف الفهد[2]:

كما حضرمي أنمري مشخف   غليظ الذراعين أدرمي المخالب
بالأوثاب عجل يطوي البيد كنه   نشاب استافاه بالقوس جاذب

كما كانوا يشترون الصقور بغالي الأثمان، ويدربونها على صيد الطيور مثل الحباري والبط وغيرها. وقد قال الشاعر ابن غنام في وصف الصقر أيضاً[3]:

على صاحبه غالي وشاريه نافق   إذا شافه القناص لشراه طالب
حديد النظر من ذالق العين كنها   إذا خلتها فيها سنا النار ثاقب

---

(١) الصويان، المرجع السابق، ص٣٠٦.
(٢) الصويان، المرجع السابق، ص٢٩٠.
(٣) الصويان، المرجع السابق، ص٢٩٠.

كما أنهم كانوا يصيدون النعام بمطاردتها على ظهور الخيل ومن ذلك قول الشاعر ابن زيد[1]:

وكل سبرتات من الربد هرقل   يكون عل جرد السبايا لحوقا

وقد مر معنا في فصول سابقة من هذا الكتاب، أن سلاطين الجبور وأمرائهم كانوا مشهورين بالورع والتقوى، وعلى جانب كبير من الثقافة الدينية. مثل السلطان أجود، والسلطان صالح بن سيف، وقد كانت مجالسهم تخلوا من الفسق والمجون وشرب الخمور والمعازف.

ومن ذلك قول الشاعر ابن زيد في مدح الشيخ زامل بن حسين الجبري[2]:

عذي الردى ما شرب بأقداح مسكر   ولا بات من تردادهن رهين
ولا كنفت معه الغواني ولا صبا   لهن وصافى لهن خدين

وقوله أيضاً في مدح ابنه الشيخ هلال بن زامل[3].

أبو علي معروف بالإيمان والتقى   هلال إذا عام القسامنه طارق

وقوله أيضاً في مدح السلطان أجود[4]:

أهل شيمة عليا ونفس عزيزة   عن الدون ما شوفاتها بزهاد
أبا سند زبن المشافيق أجود   إذا ما غدا المستأخرين عواد

وقول الشاعر الخلاوي في مدح الأمير منيع بن سالم الجبري[5].

---

(١) الصويان، المرجع السابق، ص٣٠٦.
(٢) الصويان، المرجع السابق، ص٣٠٩.
(٣) الصويان، المرجع السابق، ص٣١١.
(٤) الصويان، المرجع السابق، ص٣٠١.
(٥) ابن خميس، راشد الخلاوي، ص٢٦١.

حوى ما حوى من الدين والمجد والهدى ... ومن كل مرقى طال معناه طال به
قريب من التقوى بعيد عن الهوى ... نعيم لمن داناه نار لمحاربه

وخلاصة القول: أن الأسرة الجبرية كانت تمثل الأسرة العربية المسلمة الحاكمة، على الفطرة السليمة، التي تجمع بين تقاليد البادية وشهامتها، وحياة الحضر ورفاهيتها في ذلك العصر.

● الوضع الاجتماعي في سلطنة الجبور:

أما مجتمع السلطنة الجبرية فقد كان في مختلف طبقاته ينعم بالأمن والاستقرار ورخاء العيش، إذ كانت أسباب الرزق متاحة للجميع مثل: مربي المواشي، والزراع، والتجار، والصنّاع، وأرباب الوظائف الحكومية. فالسكان الذين استقروا بالجزر، وسواحل الخليج، كانوا يمتهنون الغوص والصيد، والنقل البحري، وتجارة اللؤلؤ مثل آل مسلم[1].

وسكان الواحات اشتغلوا بالزراعة، وخصوصاً زراعة النخيل والفواكه والأرز. والبعض الأخر امتهن تربية المواشي مثل: الإبل والغنم، وخصوصاً أهل البادية منهم. أما الخيول العربية فكانت تربى في المزارع وعند أهل البادية.

لا شك أن عدداً كبيراً من الجبور وغيرهم من مواطني السلطنة الجبرية كانو يعملون بالجيش الجبري. وقد مر معنا أن عدد جنود الحملة التي قادها السلطان محمد بن أجود لنجدة شريف مكة عام ٩١٢هـ/ ١٥٠٧م بلغت خمسون ألفاً[2]. كما أن عدداً كبيراً كان يعمل في قيادة القوافل التجارية وحراستها. وهذا يفسر لنا استقرار الكثير من الأسر

(١) انظر: بحث نشاط الجبور في قطر في الفصل الخامس من الكتاب.

(٢) ابن فرج، السلاح والعدة في تاريخ جدة، ص٤١.

الجبرية في مدن وبلدات نجد الواقعة على طرق التجارة البرية. مثل القصيم وغيرها[1].

كما كان هناك طبقة العلماء والفقهاء، والقضاة، وطلبة العلم. والتي كانت تحظى برعاية واهتمام من سلاطين الجبور.

وهناك طبقة من الصنّاع الذين يعملون في صناعة الأسلحة، والأواني. والحاكة (الحيّاك) الذين يعملون في حياكة الملابس، والعباءات، والبسط، من القطن والصوف والوبر والشعر.

كما كانت هناك طبقة الموالي: الذين يشكلون طبقة كبيرة في المجتمع ويقومون بالأعمال الزراعية، والرعي، والأعمال البحرية: كالغوص والنقل البحري، وخدمة الأسر الثرية في المجتمع مثل: الأمراء والشيوخ، والتجار وغيرهم، من الموسرين.

الشؤون الدينية وتنظيم القضاء

تعرضت منطقة البحرين إلى الكثير من الإهمال الديني والثقافي منذ قيام سلطة القرامطة في نهاية القرن الثالث الهجري وعلى مدى خمسة قرون. اعترى خلالها العقيدة الدينية الكثير من التشويه والتحريف.

اهتم الجبور منذ قيام دولتهم بالناحية الدينية والفكرية، وتقوية الروابط الروحية بين السكان، لتعزيز الوحدة الوطنية فيما بينهم.

كان بعض سلاطين الجبور على قدر لا بأس به من التعليم والثقافة الدينية. وقد وصف السخاوي[2] السلطان أجود بن زامل بقوله: «وله إلمام ببعض فروع المالكية، واعتناء بتحصيل كتبهم، بل استقر في قضائه ببعض

(١) لمزيد من المعلومات انظر الجاسر، جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد.

(٢) الضوء اللامع، ج١، ص١٩٠. قارن.
الجزيري، الدرر، ج٣، ص١٧٢٩.

أهل السنة منهم، بعد أن كانوا شيعة، وأقاموا الجمعة والجماعة، وأكثر من الحج في أتباع كثيرين يبلغون آلافاً، مصاحباً التصدق والبذل (لأهل الحرمين) وغيرهم.

بل أن بعض سلاطينهم كانوا علماء مثل: السلطان صالح بن سيف بن زامل الذي وصفه ابن العماد[1] بقوله: «بأنه كان مالكي المذهب فقيهاً متبحراً في الفقه والحديث، وله مشاركة جيدة في الأصول والنحو وكان محباً للعلماء والصلحاء. شجاعاً مقداماً عادلاً في ملكه صالحاً كاسمه».

وقال ابن إياس[2] واصفاً السلطان مقرن بن زامل بن أجود الجبري: بأنه «مالكي المذهب سيد عربان الشرق على الإطلاق».

يفهم من نص السخاوي أن دولة بني جروان التي سبقت عهد الجبور كانت شيعية المذهب، وكان قضاتها من الشيعة. وكان من البديهي أن ترعى علماء هذا المذهب، وتعين قضاة ومدرسين منهم.

ويفهم من النصوص السابقة: أن الجبور كانوا يتبعون المذهب المالكي، ومن المعروف أن أهل المغرب العربي على المذهب المالكي أيضاً، لذلك كان السلطان أجود يستفيد من فرصة قيامه بالحج، فيلتقي بالعلماء في الموسم، ويغريهم بمصاحبته إلى بلاده، لنشر العلم والمعرفة فيها.

وكان عدد من هؤلاء العلماء من المغاربة، من ذوي المكانة العلمية المرموقة. فقد ترجم السخاوي[3] لاثنين منهم هما: خليفة بن عبد الرحمن المتناني البجائي، وعبد الله بن فارس البرنوسي التازي.

---

(١) شذرات الذهب، ج٨، ص١٧٣.

(٢) بدائع الزهور، ج٥، ص٤٣١.

(٣) الضوء اللامع، ج١ ص٧، ج٣، ص١٨٦؛ الحميدان، الصراع على السلطة في دولة الجبور، ص٧٦.

كما يشير نص السخاوي السابق أن السلطان أجود اهتم بتنظيم الإدارة وتحقيق العدالة، بتنصيب قضاة مشهود لهم بالمعرفة والاستقامة وقد ذكر لنا ابن بشر[1] بعض قضاة السلطان أجود بقوله: «القاضي علي بن زيد قاضي أجود بن زامل صاحب الأحساء، والقاضي عبد القادر بن بريد المشرفي، والقاضي منصور بن مصبح الباهلي، وعبد الرحمن بن مصبح، والقاضي أحمد بن فيروز بن بسام، وسلطان بن ريس بن مغامس. وكل هؤلاء في زمن أجود بن زامل».

ويفهم من هذه الأسماء أنهم من منطقة نجد، والأحساء على الأغلب، وكان بينهم وبين بعض قضاة نجد من الحنابلة مراسلات فقهية.

كما أن بعض الأسر من المدينة المنورة قدموا إلى الأحساء في بداية القرن العاشر الهجري في عهد السلطان أجود. مثل: أسرة آل عبد القادر الأنصاري، وهي أسرة قدمت الكثير من العلماء والقضاة[2]. وأسرة الجعفري نسبة إلى جعفر الطيار بن أبي طالب وقد كان لهم إمامة ونظارة أوقاف مسجد سيف بن حسين الجبري بالأحساء منذ سنة ٩٠١هـ/ ١٤٩٥م[3]. كما كان هناك بعض القضاة من مكة مثل: القاضي محمد بن عبد العزيز بن إسماعيل المكي ثم البصري المعروف بابن الزقزق (ت٩٣٥هـ) كان شافعي المذهب[4]. وغيرهم الكثير ممن لم تشر المصادر إليهم.

ويبدو من تنوع بلدان العالم الإسلامي التي قدم منها العلماء

---

(١) ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص٢٢.

(٢) آل عبد القادر، تحفة المستفيد، ص٤١.

(٣) السبيعي، عبد الله ناصر، القضاء والأوقاف في الأحساء، والقطيف وقطر، ص١٢٨، الرياض ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

(٤) الضوء اللامع، ج١، ص٧؛ ابن فهد، جار الله، نيل المنى بذيل بلوغ القرى، ج١، ص٤٢٢.

للمشاركة في النهضة العلمية في دولة الجبور، أن دور الجبور لم يقتصر على نشر المذهب المالكي في البحرين فحسب، بل سعوا إلى تشجيع المذاهب السنية الأخرى حسب الخلفية العلمية لكل عالم من هؤلاء العلماء، على اختلاف بلدانهم. ومما يدل عل حرص حكام الجبور على طلب العلم الشرعي حتى لو كان خارج السلطنة هو سفر السلطان صالح بن سيف بن زامل إلى دمشق الذي أخذ عن علمائها، وكان متخفياً غير منتسب إلى أسرة حاكمة وهذا يدل على تواضعه كطالب علم[1]. إضافة إلى النجاح الملموس الذي حققه الجبور في ازدهار الحركة العلمية في بلادهم.

كان التسامح الديني والوئام بين السكان من سنة وشيعة سمة من سمات عهد الجبور. ولم تشر المصادر التي تيسر لنا الاطلاع عليها إلى خلاف ذلك، إلا ما ذكره المستشرق الأمريكي (رينتز) الذي فهم نص السخاوي «استقر في قضائه بعض أهل السنة بعد أن كانوا شيعة» فهماً خاطئاً وترجمه:

«Some of Maliki Judges whom he appointed were converts from the Shi'a».

أي أنهم تحولوا من شيعة إلى مالكية. وتابعه في خطئه المستشرق (كول) وزاد: أن بعض القضاة أُرغموا على التحول من شيعة إلى سنة

«They forced some Shi'i judges to be come Sunnis».

وقد ناقش الحميدان هذا الموضوع بأوسع من ذلك[2]

أثمرت جهود سلاطين الجبور في تحويل الأحساء إلى مركز ديني وثقافي مزدهر في المنطقة. إضافة إلى النجاح الملموس الذي حققه الجبور في ازدهار الحركة العلمية في بلادهم، فقد أمنوا طرق الحج المارة في مناطق نفوذهم، مثل طريق حاج الأحساء، وطريق حاج

---

(١) ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٨، ص١٧٣.

(٢) الصراع على السلطة في دولة الجبور، ص٧٥.

البصرة، وطريق حاج الكوفة[1]. حتى أصبحت قافلة الحاج الجبري من أكبر القوافل الواصلة إلى الحرمين الشريفين. ومن الملاحظ أن أمراء الحج الجبري لم يشتركوا في النزاعات التي كانت تحصل بين أمراء الحاج المصري، والعراقي، والشامي في الموسم.

حرص سلاطين الجبور على قيادة قافلة الحج بأنفسهم، كلما سنحت لهم الفرصة، لتمكين آلاف المسلمين من تأدية فريضة الحج في كل عام في أمان ويسر وسهولة. وكذلك رعاية فقراء وعلماء الحرمين الشريفين. فقد حج السلطان أجود بن زامل ثلاث مرات. فذكر عمر بن فهد المكي[2] أن ابن جبر حج في خلق كثير جداً عام ٨٧٦هـ/ ١٤٧٢م. وذكر الجزيري[3]: أن عدد حجاج بني جبر عام ٨٨٨هـ/ ١٤٨٣م. كان عشرين ألف راحلة. وذكر عبد العزيز بن فهد المكي[4]: أن أجود بن زامل حج في نحو خمسة عشر ألفاً في عام ٨٩٣هـ/ ١٤٩٨م. وذكر الجزيري[5]: أن أجود بن زامل حج في نحو ثلاثين ألفاً فأكثر عام ٩١٢هـ/ ١٥٠٧م. ويُرجح أن ابنه السلطان محمد بن أجود قد رافقه إلى الحج تلك السنة لأنه يحمل لقب السلطنة[6]. وحج السلطان مقرن بن زامل بن أجود سنة ٩٢٧هـ[7]. والسلطان صالح بن سيف بن زامل سنة ٩٣٠هـ/ ١٥٢٤م[8].

---

(١) لقد سبق وأشرنا إلى أكثر من عشر غزوات قام بها الجبور لتأديب القبائل المخلة بالأمن في الفصل الثالث مبحث نفوذ الجبور في نجد.

(٢) إتحاف الورى بأخبار أم القرى، ج٤، تحقيق عبد الكريم باز، مكة المكرمة ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م. ص٥٤٢.

(٣) الدرر، ج١، ص٧٦٠.

(٤) بلوغ القرى في ذيل إتحاف الورى، انظر أحداث موسم ٨٩٣ هـ.

(٥) الدرر الفرائد المنظمة، ج٢، ص٧٩١.

(٦) ابن فرج، السلاح والعدة، ص٤١.

(٧) ابن إياس، بدائع الزمن، ج٥، ص٤٣١.

(٨) ابن العماد، شذرات الذهب، ج٨، ص١٧٣.

وأرقام الحجاج هذه تعتبر كبيرة جداً بالنسبة لعدد السكان في ذلك الوقت، إضافة إلى مشاق رحلة الحج وصعوبة المواصلات. ويبدو أن حجاج الأقاليم الشرقية مثل فارس وغيرها كانوا ينضمون إلى قافلة الحج الجبري لما يجدونه من حماية ورعاية لمصالحهم.

هذا إضافةً إلى الصدقات والمبرات الكبيرة التي كان يحملها أمراء الحج الجبري إلى فقراء الحرمين. والهدايا والتحف التي كانوا يحملونها إلى الأمراء والعلماء في الحرمين. وخصوصاً السلطان أجود الذي يلقبه مؤرخ المدينة السمهودي[١]: (**أبو الجود أجود**). وحفيده السلطان مقرن بن زامل الذي أنفق على فقراء الحرمين خمسين الف دينار ذهبياً في حجته الأخيرة عام ٩٢٧هـ/ ١٥٢١م[٢].

كانت السلطنة الجبرية على مدى أكثر من قرن دولة إقليمية كبرى في وسط وشرق وجنوب الجزيرة العربية: وكانت تتمتع بالقوة والثراء. وكانت تعتمد في قضائها على تطبيق الشريعة الإسلامية على مذهب الإمام مالك، إمام دار الهجرة. وكان معظم رعاياها يعتنقون المذهب المالكي.

(أنظر الملحق رقم ٨ ص٢٧٢).

---

(١) وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج٣، ص١٠٩٣.

(٢) ابن إياس، المصدر السابق، ج٥، ص٤٣١.

الفصل العاشر

الآثار العمرانية للجبور

لقد ترك الجبور الكثير من الآثار العمرانية في المناطق التي كانت خاضعة لسلطتهم. سيما وأن دولتهم استمرت لأكثر من قرن من الزمن. وكانت خلال هذه المدة تتمتع بالثراء الذي يمكنها من العمران. إلا ان هناك عدة عوامل حالت دون بقاء الكثير من هذه المباني إلى عصرنا الحاضر منها على سبيل المثال:

١ • استعمال مواد البناء المحلية مثل الطين في البناء ومثل هذه المواد لا تصمد أمام عوامل التعرية المناخية.

٢ • تعرض المنطقة للكثير من الغزوات من قِبل البرتغاليين، والهرموزيين، والعثمانيين، وآل شبيب حكام البصرة. وكثيراً ما يلجأ هؤلاء الغزاة إلى هدم القلاع والحصون كي لا يتحصن بها أعداؤهم مرة أخرى[١].

إن أكثر هذه المنشآت امتدت إليها يد التخريب والإهمال، فلم يبق منها إلا أقل من القليل، وهو ما سنذكر بعضه فيما يلي:

تصنف المباني حسب الأغراض التي أنشئت من أجلها مثل: دور

---

(١) الحميدان، إمارة آل شبيب، ص١١١، ١٤٣.

العبادة: كالمساجد. والسكن: كالدور والقصور. والمباني الدفاعية: كالقلاع والحصون والأسوار. وكانت هذه المباني تشاد من مواد البناء المتوفرة في المنطقة مثل: الطين والحجارة والنورة (الكلس) وجذوع النخيل وغيرها.

آثار الجبور في الأحساء

كانت الأحساء عاصمة السلطنة الجبرية، ومن البديهي أن تضم الكثير من المنشآت العمرانية، مثل: المساجد، والقصور، والحصون. باعتبارها مركز إدارة الدولة، ومقر إقامة السلطان. ومن أمثلة ذلك:

- **مسجد الجبري بالهفوف:**

الموقع: يقع المسجد في حي المطاوعة بالكوت غرب قصر الكوت (قصر إبراهيم) حوالي (٢٥٠) متراً. في مدينة الهفوف بالأحساء.

وقد بنى هذا المسجد الشيخ سيف بن حسين بن أحمد الجبري في عهد السلطان أجود بن زامل الجبري (٨٧٤-٩٠٢هـ/ ١٤٧٠-١٤٩٧م) على الأرجح. أي منذ حوالي (٥٥٠) سنة تقريباً.

وقد زرت هذا المسجد وأديت فيه فريضة الجمعة بتاريخ (٣/٧/١٤٣٠هـ / ٢٨/٦/٢٠٠٩م) وبصحبتي ابني (عزام) الذي قام بتصوير المسجد من الداخل والخارج.

وصف المسجد:

البناء: المسجد القديم مربع الشكل تقريباً طول ضلعه (٤٢) متراً[1] وتبلغ مساحته حوالي (١٧٦٤) متراً مربعاً تقريباً. نصف المساحة من جهة

---

(١) حسب إفادة الأستاذ خالد الفريدة باحث الآثار في الهيئة العامة للسياحة والآثار - بالأحساء.

القبلة مسقوف بقباب هرمية الشكل تحملها أقواس متقاطعة ترتكز على أعمدة مربعة الشكل، (حرم المسجد). أما النصف الباقي من المسجد فهو عبارة عن باحة مكشوفة (صحن المسجد)، يحيط بها رواق يتكون من تسعة أقواس من الجهة الشرقية وستة أقواس من الجهتين الجنوبية والشمالية تحمل قباباً هرمية.

الأبواب: يوجد للمسجد بابان متجاوران من الجهة الشمالية. وبابان متجاوران من الجهة الشرقية. وباب بين المسجد القديم والتوسعة الجديدة من جهة الشرق. كما يوجد باب صغير بجانب المحراب لدخول الإمام من جهة القبلة (الغرب).

المنبر: إلى يمين المحراب ويتكون من درجتين يحيط به درابزين خشب لطيف.

المئذنة (المنارة): تقع في الزاوية الجنوبية الشرقية من المسجد. وهي أسطوانية الشكل، وتشبه الطراز العثماني في بناء المآذن. يبدو أنه جرى تعديل على شكل المئذنة أثناء أعمال الترميم التي جرت على المسجد عام ١٠٩١هـ في العصر العثماني. ويبلغ ارتفاع المئذنة حوالي (١١) متراً تقريباً فوق سطح المسجد.

المواد المستخدمة في البناء: هي المتوفرة محلياً مثل الحجارة والطين والنورة (الكلس) والجبس في بعض الزخارف البسيطة فوق المحراب والأقواس. وكتابات بعض لوحات ترميم المسجد، أما الأبواب فمصنوعة من الخشب.

ويفهم من الوثيقة الشرعية[١] المؤرخة في ٣/١/١٠٩٢هـ أن المسجد قد خرب وتعطلت الصلاة فيه قبل عام ١٠٩١هـ فقام الشيخ/ محمد بن حسين بن عفالق بإعادة عمارته وترميمه عام ١٠٩١هـ. ولتغطية

---

(١) انظر ص٢٧٣، وكذلك w.w.w.hassa.com/news-action-show-id-2593.

نفقات العمارة قام الشيخ حمد بن قاسم الخطيب الجعفري وكيل أوقاف مسجد الجبري بتأجير إحدى وقفيات المسجد وهي عبارة عن مزرعة أرز بالجفينات على محمد بن حسين بن عفالق لمدة (٩٩) سنة. وكان من ضمن شهود هذه الوثيقة الشيخ/ حسين بن عثمان بن سعدون آل حميد الخالدي.

لوحات ترميم المسجد

أولاً- أقدم لوحة ترميم يعود تاريخها إلى عام ١٠٩١هـ مكتوبة على لوحة من الجبس ومثبتة فوق المحراب وقد كتب فيها ما نصه:

«بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم، إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين. ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار. لقد عمر هذا المسجد المبارك الموفق للخير محمد بن حسين بن عفالق غفر الله له. في حماية مولانا السلطان العادل محمد بن إبراهيم نصره الله سنة ١٠٩١». (أنظر صورة اللوحة ص٢٨٤).

هناك بعض الملاحظات على هذا النص:

١ • لقد تضمن النص بعد البسملة، وحمد الله، والصلاة على النبي، الآية رقم (١٨) من سورة التوبة. وجزء من آية رقم (٢٠١) من سورة البقرة.

٢ • في الجزء الثاني من النص يذكر أن من قام بتعمير المسجد هو محمد بن حسين بن عفالق. وقد ورد اسم هذا الشخص في وثيقة وقف في عهد الأمير محمد بن غرير بن عثمان بن سعدون آل حميد بتاريخ ١٩ رجب ١٠٧٦هـ/ ١٦٦٥م. حيث أوقف على المذكور العقار المسمى بالخيس الواقع بطرف الدباغية. ويبدو أنه من وجهاء الأحساء في ذلك الوقت. (انظر صورة الوثيقة في ملاحق الكتاب ص٢٦٩).

٣ • لقد ورد في النص عبارة (عمّرَ هذا المسجد) والمسجد كان قائماً قبل هذا التاريخ بحوالي قرنين من الزمن. والأصوب قوله (رمّم هذا المسجد).

٤ • ذكر في النص أن هذه العمارة تمت في عهد السلطان العثماني محمد الرابع بن إبراهيم. (١٠٥٨-١٠٩٩هـ-١٦٤٨-١٦٨٧م) وكما هو معلوم أن الأحساء في تاريخ ١٠٩١هـ كانت تحت ولاية الأمير براك بن غرير آل حميد (١٠٧٧-١٠٩٣هـ/ ١٦٦٦-٨٠م). وكانت مستقلة استقلالاً تاماً عن الدولة العثمانية. ويبدو أن كاتب النص ذكر اسم السلطان العثماني على اعتبار أنه يمثل الخلافة الإسلامية.

ثانياً- لوحة الترميم الثانية مثبتة فوق أحد الأقواس أمام المحراب وقد ذكر بها تاريخ الترميم في عام ١٣٥١هـ.

ثالثاً- لوحة الترميم الثالثة مثبتة فوق أحد الأقواس أمام المحراب أيضاً، وقد دون تاريخ الترميم بحساب الجمل في بيت من الشعر:

تاريخ مبناه من بعد التمام له   غين شين فصاد بشعبان

الغين = ١٠٠٠، الشين = ٣٠٠، الصاد= ٦٠ فيكون المجموع ١٣٦٠هـ في شهر شعبان.

وقفية المسجد:

لقد أوقف الشيخ سيف بن حسين الجبري مؤسس هذا المسجد جميع وظائفه مثل: إمامة المسجد، والخطبة فيه، ونظارة أوقافه على الشيخ نصر الله بن عبد الله الجعفري الطيار، وذريته من بعده في عام ٩٠١هـ/ ١٤٩٥م. الذي قدم في نفس السنة من المدينة المنورة إلى الأحساء، مع الشيخ علي بن محمد بن أحمد آل عبد القادر.وكان قدومها بطلب من السلطان أجود بن زامل الجبري، وبمشورة من الشيخ

علي بن أحمد السمهودي عالم المدينة المنورة ومفتيها[1]- الذي كان صديقاً للسلطان أجود الجبري- وكان يقوم بتوزيع صدقاته ومبراته على أهل الحرمين.

لا يزال هذا المسجد قائماً إلى يومنا هذا، وتقام فيه الصلوات الخمس والجمعة والجماعات. بفضل الله ثم بفضل بانيه الشيخ سيف الجبري، الذي أوقف عليه كثيراً من الأوقاف الزراعية المنتجة، وجعل نظارتها إلى الشيخ نصر الله الجعفري إمام وخطيب المسجد. وكان ينفق منها على وظائف المسجد وفرشه، وصيانة البئر التابعة للمسجد، والميضأة، وغيرها من النفقات الواجبة. وقد استمرت نظارة وإدارة العقارات الموقوفة في أيدي ذرية الشيخ نصر الله الجعفري حسب شرط الوقف. ونظراً لكثرتها ووفرة إنتاجها فقد كثر تنازع آل الجعفري فيها[2]. وكذلك نازعهم بعض الجبور مثل حنيان بن صالح الجبري الذي يبدو أنه من ذرية سيف الجبري. أثناء ولاية الأمير سعدون بن عرعر (عريعر) آل حميد الخالدي على الأحساء (١١٨٩-١٢٠٠هـ/ ١٧٧٥-١٧٨٦م). وقد تم التوصل إلى اتفاق ترضية بين الجعافرة وحنيان الجبري، في وثيقة مؤرخة في ١٠ شعبان ١١٩١هـ/ ١٧٧٧م.على توزيع الأوقاف بين الطرفين، بعد صرف نفقات المسجد المنصوص عليها في الوقف. ووقعها الأمير سعدون بن عرعر آل حميد، وبعض مشائخ وقضاة الأحساء وأعيانها[3].

يبدو أن هذه التسوية لم تكن مقنعة بالنسبة للجعافرة حيث أثيرت قضية الوقف بعد وفاة حنيان بن صالح الجبري لعدم أهلية بناته في نظارة

---

(١) السبيعي، القضاء والأوقاف، ص١٢٨.
(٢) السبيعي، المرجع السابق، ص١٤٠-١٤٣.
(٣) السبيعي، المرجع السابق، ص١٣١.

الوقف. فقام بالمطالبة بحقهن محمد بن ناصر الجبري. وكان حاكم الأحساء آنذاك الشيخ محمد بن عرعر (عريعر) آل حميد (١٢٣٤-١٢٤٥هـ/ ١٨١٨-١٨٣٠م) في دولتهم الثانية. فأحال القضية إلى قاضي الأحساء آنذاك الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن نعيم. الذي حكم للجعافرة بتولي نظارة المسجد وأوقافه، وأيده في ذلك حاكم الأحساء الشيخ محمد بن عرعر (عريعر).وكان من ضمن شهود تلك الوثيقة ابنه سعدون بن محمد بن عرعر، وابني أخيه مشرف بن دويحس بن عرعر، ودجين بن براك بن عرعر[١].

وفي عهد الإمام فيصل بن تركي في الدولة السعودية الثانية تم تعيين الشيخ عبد الله بن أحمد الوهيبي عام ١٢٨٢هـ/ ١٨٦٥م قاضياً في الأحساء، وإماماً لمسجد الجبري، وتولى نظارة أوقافه، حتى استيلاء العثمانيين على الأحساء عام ١٢٨٨هـ/ ١٨٧١م. حيث أثار الجعافرة موضوع وقف مسجد الجبري لدى قاضي الأحساء عبد الرزاق بن عبد الرحمن أفندي عام ١٢٩٠هـ/ ١٨٧٣م. وأصدر حكمه بتولية الجعافرة نظارة أوقاف المسجد المذكور[٢]، التي استمرت حتى عهد الملك عبد العزيز -رحمه الله- حيث قامت الدولة السعودية الحديثة ودخلت جميع المساجد وأوقافها تحت نظارة وزارة الحج والأوقاف الإسلامية.

ثم قامت الهيئة العامة للسياحة والآثار السعودية بالتعاون مع وزارة الحج والأوقاف الإشراف على ترميم هذا المسجد الأثري وإنارته وتكييفه، مع الحفاظ على طابعه الأثري القديم قدر الإمكان. وتغطية باحة المسجد المكشوفة بما يشبه الخيمة الكبيرة من البلاستيك مشدودة على أعمدة معدنية. كما تم توسعة المسجد بإضافة مبنى جديد. ملاصق للمسجد

---

(١) السبيعي، المرجع السابق، ص١٣٢.

(٢) السبيعي، المرجع السابق، ص١٣٧-١٤٠.

القديم من الجهة الشرقية وبينهما بوابة. وتم تجهيزه بمطهرة ومكان للوضوء.

وقد جاء في لوحة الترميم ما نصه:

بسم الله الرحمن الرحيم

«في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال. رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار» تم بحمد الله وتوفيقه إعادة ترميم وتوسعة جامع الجبري الذي أسسه سيف بن حسين الجبري في القرن التاسع الهجري وأوقفه على الشيخ نصر الله بن عبد الله الجعفري الطيار وذريته رحم الله الجميع.

لك الحمد مولانا على ما منحتنا ... من العون في ترميم جامع الجبري
فقد زاد مبناه وعاد أساسه ... متيناً كما قد كان في سالف الدهر
وقد تم في عام الثلاثين تالياً ... لألف وأربع بتاريخنا الهجري
فنسأل مولانا القبول بفضله ... وأن يجزي الأعوان فيضاً من الخير

وهذه اللوحة مثبتة بين بابي الجامع في الجهة الشمالية (أنظر ص٢٨٥).

ملاحظات حول النص:

١ • ذكر بعد البسملة الآيتين رقم (٣٦-٣٧) من سورة النور.

٢ • ورد تاريخ الفراغ من الترميم في البيت الثالث من المقطوعة الشعرية (عام ١٤٣٠هـ).

(أنظر صور المسجد ص٢٨٢-٢٨٣).

بيان بأوقاف مسجد سيف بن حسين الجبري[1]

١ • الجفينات مزارع الأرز بطرف الخدود.

٢ • الحرة مزرع الأرز بطرف الخدود.

٣ • الرويشدي مزرع الأرز بطرف الخدود وتابعه العميرات.

٤ • عارض الرويشدي وغرافة العميرة وعارضها.

٥ • المشخص والشطيب بطرف الخدود وغرافة الدفن والشرب التابع مزرع الأرز بطرف الخدود.

٦ • العقار مزرع الأرز بطرف الخدود.

٧ • المهذبي والدفن مزرع الأرز بطرف الخدود.

٨ • البستان المسمى السكرة بطرق القارة.

٩ • الغراريف المشتملات على نخيل وأشجار.

١٠ • أم سيف مزرع الأرز وعارضه بطرف الخدود.

١١ • النصف الشائع من الغرافة المسماة صلي على النبي الواقعة بطرف الخدود.

١٢ • الخفيس بالسيفة طرف البحرية.

١٣ • الوحيشية بطرف الخدود.

١٤ • قلادة وشربها مزرع الأرز بطرف الحقل.

١٥ • الغرافة المسماة الظويغنية بطرف الخدود.

١٦ • المعامرة بطرف سودة.

١٧ • الدنانير بطرف الرقيات.

---

(١) السبيعي، المرجع السابق، ص١٣٣.

١٨ • السبختان الفوقية والتحية بطرف الرقيات مع تابعها العقار المسمى بالعمارة.

١٩ • حرة الجبري بطرف الخدود.

٢٠ • الطريف مزرع الأرز بطرف الحقل.

٢١ • الغراريف المسميات الشطيبات والمشخص والصبخة الفوقة والصبخة التحتية، وأم الشبيب وأشراب المشخص مزرع الأرز الكائن موقعها جميعاً بطرف الخدود.

٢٢ • الدارين مع موضع منجى بئر المسجد والغسالات الشهيرة بالبستان.

٢٣ • بستان البزلية بطرف سودة. أوقفها الشيخ حسن بن عثمان بن سعدون آل حميد على المسجد عام ١٠٩٥هـ. أثناء ولاية ابن أخيه الأمير محمد بن غرير بن عثمان بن سعدون آل حميد (١٠٩٣-١١٠٣هـ/ ١٦٨٢-١٦٩٢م) على الأحساء.

• مسجد الجبري في مدينة المبرز بالأحساء:

يقع هذا المسجد في محلة العيوني في مدينة المبرز بالأحساء، وهو غير مسجد سيف بن حسين الجبري السابق ذكره، وإن كان يتشابه معه في كثرة أوقافه. ولم نتمكن من معرفة اسم واقفه، لعدم تمكننا من الإطلاع على وثيقة الوقف الشرعية الخاصة به.

وقد ذكر السبيعي[1] من أوقافه الزراعية ما يلي:

١ • العقار الزراعي المسمى ظبيا.

٢ • العقار الزراعي المسمى معيميرة مكاحل.

٣ • العقار الزراعي المسمى شطيب الحفر والشربين وعارضيهما.

---

(١) السبيعي، المرجع السابق، ص١٨٠.

٤ • العقار الزراعي المسمى سبخة الجوهر.
٥ • العقار الزراعي المسمى الجفيرة..
٦ • العقار الزراعي المسمى شطيب جوهر.
٧ • النصف المشاع من غرافة المصطيفية.
٨ • النصف المفرز من مصطيفية ربد.
٩ • العقار الزراعي المسمى بالربد الشرقي.

وقد قمت بزيارة هذا المسجد بتاريخ ٣/ ٧/ ١٤٣٠هـ/ ٢٦/ ٦/ ٢٠٠٩م ووجدته بقرب مدرسة قتيبة بن مسلم بحي العيوني، وكان مغلقاً. وسألت أحد السكان بالحي، فأفاد بأنه مهجور، بعد نزوح أكثر سكان الحي إلى الأحياء الجديدة في المدينة. ولكونه أصبح آيلاً للسقوط.

• قصر الكوت (قصر إبراهيم) بالهفوف:

كان هذا القصر يسمى (بقصر الهفوف) أو قصر كوت الهفوف حينما ذكره كل من ابن بشر، وصاحب كتاب لمع الشهاب في القرن الثالث عشر الهجري[1]/ ق١٩م. ويبدو أن تسميته (بقصر إبراهيم) محدثة في القرن الرابع عشر الهجري/ ق٢٠م.

يقع هذا القصر في الجزء الشمالي الشرقي من حي الكوت أحد أقدم أحياء مدينة الهفوف. وتقدر مساحة هذا القصر بـ(١٨٢٠٠)م^{٢} . وقد بني في عهد السلطنة الجبرية[2]. (٨٢٠-٩٣٢هـ/ ١٤١٧-١٥٢٦م). ولكن لا يعرف على وجه التحديد متى تم بناؤه، ومن الذي بناه من سلاطينهم؟ وإن كنا نرجح أن يكون تم بناؤه في عهد السلطان أجود بن زامل الجبري

---

(١) ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص١١٩؛ الريكي، لمع الشهاب ص ٢١٥.
(٢) الأحساء ثقافة وتراث، منشورات الهيئة العامة للسياحة والآثار، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م، ص٥.

(٨٧٤-٩٠٢هـ/ ١٤٧٠-١٤٩٧م). لأن قصراً بهذه المساحة يحتاج بناؤه إلى الكثير من النفقات. وفي عهده بلغت السلطنة الجبرية أوج قوتها وثرائها واتساع رقعتها.

وقد كان هذا القصر مقر السلطان في الأحساء وحاشيته، ودواوينه، وحراسه. ثم أصبح مقراً لحكام الأحساء من بعده.

احتل العثمانيون الأحساء عام (٩٦٠هـ/ ١٥٥٣م) واتخذوا منه مقراً للوالي وحاميته، وقد قاموا ببناء سور الكوت، وأوصلوه بسور القصر الذي أصبح يشكل جزءاً من سور المدينة الشمالي. وأجروا في القصر بعض التعديلات الداخلية ليتلاءم مع أغراضهم العسكرية، إلا أنهم أبقوا على الشكل العام للقصر دون تعديل[١].

وفي ولاية علي باشا بن أحمد بن لاوند البريكي (٩٧٤-٩٧٩هـ/ ١٥٦٧-١٥٧١م) قام ببناء مسجد القبة في الركن الجنوبي الغربي من القصر. وتم افتتاحه للصلاة عام ٩٧٩هـ/ ١٥٧١م. في عهد السلطان سليم الثاني بن سليمان (٩٧٤-٩٨٢هـ/ ١٥٦٦-١٥٧٤م)[٢]. وإن كنا نرجح عدم خلو قصر بهذه المساحة من وجود مسجد سابق للسلطان وحاشيته. سيما وأن حكام الجبور اشتهروا بالتزامهم الديني.

بقي قصر الهفوف بيد ولاة الأتراك العثمانيين في الأحساء، حتى قام الشيخ براك بن غرير آل حميد - زعيم قبيلة بني خالد- بمحاصرة عيسى باشا آخر الولاة الأتراك في هذا القصر، وأرغمه على مغادرته وتسليمه له

---

(١) انظر اللقاء الذي أعده حسين بالحارث مع الأستاذ وليد الحسن مدير القصور الأثرية بالأحساء بعنوان (الأحساء اليوم) في جريدة الجزيرة السعودية العدد (١٣٤٠٧) بتاريخ ٢٠/٦/١٤٣٠هـ/ ١٣/٦/٢٠٠٩م. ص٥٩.

(٢) آل عبد القادر، تحفة المستفيد، ص١٣٢.

عام ١٠٧٧هـ/١٦٦٧م[١]. ولكن آل حميد لم يتخذوا منه مقراً دائماً لحكامهم، إذ جعلوا قاعدة حكمهم في المبرز، وقد بنى فيه الشيخ براك قصراً -يعرف اليوم (بالقلعة أو قصر صاهود)- وبجانبه مسجداً يسمى مسجد براك[٢].

بعد ضم الدولة السعودية الأولى للأحساء سنة ١٢٠٨هـ/١٧٩٣م. أصبح قصر الهفوف مقر الوالي السعودي فيها، ومن هؤلاء الولاة إبراهيم بن عفيصان الذي تحصن فيه أثناء حملة علي باشا الكيخيا على الأحساء سنة ١٢١٣هـ/١٧٩٨م. في عهد الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود. ويرجح بعض الباحثين أن تسمية القصر باسم (قصر إبراهيم) جاءت نسبةً إلى اسم هذا الوالي[٣].

زرت هذا القصر بتاريخ ٣/ ٧/ ١٤٣٠هـ/ ٢٦/ ٦/ ٢٠٠٩م. وهو مبني بمواد بناء محلية مثل: الحجر والطين والنورة (الكلس) وهو بناء ضخم له ثمانية أبراج أربعة منها في الزوايا، والأخرى في وسط الأضلاع. وقد تم تدعيم البرج الشمالي منه لاستخدامات المدفعية في العهد العثماني.

يبلغ ارتفاع الجدران حوالي ستة أمتار، وتقع بوابته الرئيسية في وسط الجهة الجنوبية من السور. كما يوجد باب صغير بجانب البرج الأوسط في الجهة الغربية من سور الحصن.

بقي هذا القصر بحالة جيدة، بسبب تعاقب استخدامه من قبل حكام وولاة الأحساء طوال هذه المدة، وقاموا بترميمه كلما لزم الأمر.

---

(١) الوهبي، عبد الكريم عبد الله، الحكم العثماني في الحسا، رسالة دكتوراة، غير منشورة، مقدمة إلى جامعة الملك سعود بالرياض، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م. ص ص٢٦٦-٢٦٧.

(٢) آل عبد القادر، المرجع السابق، ص١٢٣؛ الأحساء ثقافة وتراث، ص٥.

(٣) حسين بالحارث، الأحساء اليوم، جريدة الجزيرة، مرجع سابق، ص٥٩.

وقد قامت الهيئة العامة للسياحة والآثار بترميمه مؤخراً مستخدمة نفس مواد البناء السابقة والمتوفرة حالياً.

- **قصر السلطان أجود بن زامل بالمنيزلة:**

ذكر آل عبد القادر[١] في معرض حديثه عن السلطان أجود بن زامل قوله: «ومن آثاره رسوم قصر بالقرب من قرية المنيزلة، يسمى قصر أجود بن زامل رحمه الله تعالى».

وقد وصف هذه القرية بجودة هوائها[٢]. الأمر الذي يفسر سبب اختيارها من قبل السلطان أجود لتكون أحد مقرات سكناه. ويبدو أن هذا القصر كان يستخدم من قبل السلطان وعائلته كمنتزه للراحة والاستجمام، لوجوده خارج العاصمة.

وقد زرت هذه القرية بتاريخ ٣/ ٧/ ١٤٣٠هـ فأرشدني رجل مسن إلى موقع القصر وهو في الجهة الغربية الشمالية من القرية على مرتفع من الأرض. ووقفت على أطلاله. (أنظر ص٢٨٨).

الآثار العمرانية للجبور في القطيف

- **قلعة القطيف:**

لقد بنى الجبور قلعة حصنية في القطيف، ولا ندري متى تم بناؤها على وجه التحديد. وإن كنا نرجح أنه تم في عهد السلطان مقرن بن زامل الجبري ٩٢٢هـ/ ١٥١٦م - ٩٢٧هـ/ ١٥٢١م. لأنه حينما شعر بقرب الخطر البرتغالي حصّن المدن الساحلية في سلطنته مثل البحرين والقطيف.

---

(١) تحفة المستفيد، ص١٢٠.

(٢) المرجع السابق، ص٤٠.

وقد ورد ذكر هذه القلعة في رسالة وزير البحرين بدر الدين الفالي إلى ملك البرتغال عام ٩٤٦هـ/ ١٥٣٩م. حينما سلمها حاكم القطيف مانع (منيع) الجبري إلى الشيخ مانع بن راشد بن شبيب بدون قتال. وقد جاء فيها: «و لو لم يسلموها (القلعة) له بهذه الصورة لما أمكنه الاستيلاء عليها حتى لو حاول ذلك بالقوة، لأن حصنها كان حصيناً جداً. وما أن أتم ملك البصرة الاستيلاء على قلعة القطيف حتى أمر أهل القطيف بالعمل جميعاً على إنشاء قلعة أخرى جديدة، ثم هدم القلعة القديمة»[١]. إلا أن البرتغاليين والهرموزيين هاجموا القطيف عام ٩٥٨هـ/ ١٥٥١م ونسفوا أجزاء من سور المدينة وقلعتها وانسحبوا منها على عجل تحت ضغط الجبور بقيادة شيخهم[٢] الذي رجحنا في بحث سابق أنه مقرن بن قضيب بن زامل الجبري الذي حكم القطيف حتى تم احتلالها من قبل العثمانيين في مطلع العقد السابع من القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي.و الذي يفترض خلال هذه الفترة أنه قام بترميم قلعتها وسورها وجدد تحصيناتها.

الآثار العمرانية للجبور في البحرين

خضعت البحرين لسلطة الجبور لأكثر من نصف قرن ومن أهم آثارهم العمرانية فيها:

- **قصور السلطان مقرن بن زامل بن أجود الجبري في البحرين:**

وقد وصفتها المصادر البرتغالية بأنها: «جميلة ومبنية من الحجارة

---

(١) الحميدان، إمارة آل شبيب، ص١٤٣.

(٢) المرجع نفسه، ص١١١.

والجير، وذات عدة مستويات (طوابق) وشرفات ونوافذ كبيرة خصوصاً منها قصور الملك التي كان يقصد فيها تقليد طريقة البناء (الطراز) الفارسي، وذلك لكون الجزيرة غنية جداً»[١].

● قلعة البحرين وسورها:

كان يوجد في البحرين قلعة منيعة قبل احتلال البرتغاليين والهرموزيين لها عام ١٥٢١م/ ٩٢٧هـ[٢]. ولا ندري متى تم بناؤها على وجه التحديد، فإن لم يكن قد بناها الجبور فقد ساهموا في ترميمها والعناية بها خلال فترة وجودهم في جزيرة البحرين التي استمرت حوالي نصف قرن من الزمن. (٨٨٠-٩٢٩هـ/ ١٤٧٥-١٥٢٣م).

وتقول مونيك كيرفان[٣] من بعثة الآثار الفرنسية: «تقدم لنا التقنيات الأثرية دليلاً لا يدحض بأنه كانت توجد قلعة قبل حصار ٩٣٥هـ/ ١٥٢٩م، خلال فترة حياة (السلطان) مقرن وربما قبل ذلك أيضاً. فعندما قامت بعثة الآثار الفرنسية بعمل مجسات اختبارية في القلعة بين عامي ١٩٨٠ و١٩٨٥م. اكتشفت أن الجدران الداخلية للقلعة الآيلة جزئياً للسقوط توجد قلعة أخرى أقدم منها بكثير».

كما ورد في الوثائق العثمانية نص يقول أن: «السلطان مقرن وضع الاستحكامات، والمتاريس قرب قلعة البحرين، وأن البرتغاليين أطلقوا المدافع على القلعة، وأصابوا بعض جدرانها فتصدعت. واستمر القصف لمدة ثلاثة أيام.. وأن البرتغاليين وجدوا مدينة كبيرة في جزيرة البحرين

---

(١) بوشرب، مساهمة الوثائق البرتغالية، ص١٢٢. نقلاً عن:

Joao de Barros: As Decadas de Asia (1945) Vol.III. p.317.

(٢) بوشرب نفس المرجع، ص١٢٢.

(٣) البحرين في القرن السادس عشر جزيرة حصينة. ص٦٨.

سموها المنامة. . وأنهم وجدوها محاطة بسور شامخ مبني من الطين لمنع دخولها. أقامه السلطان مقرن»[1].

كشفت حفريات البعثة الفرنسية في قلعة البحرين قيام البرتغاليين بعمل تعديلات على أبراج القلعة لاستخدامات حروب المدفعية، وإعادة تحصينها على غرار القلاع البرتغالية[2]. كما أشارت المصادر البرتغالية إلى وجود هذه القلعة، حينما اقتحمها الجبور بقيادة الأمير حسين بن سيف بن أجود الجبري، وقتلوا الحامية البرتغالية فيها، واستعادوا حكم الجزيرة سنة ٩٢٧هـ/ ١٥٢١م. وأشار إليها الشاعر عامر السمين بقوله[3]:

ظنوا بأن قلاع الصخر تمنعهم   هيهات هل شملهم ينجي لهم هربا

● قلعة عراد في جزيرة المحرق بالبحرين:

بنى هذه القلعة الشيخ/ محمد بن ناصر الجبري (الغافري) الذي رافق الحملة العُمانية على البحرين عام ١١٣٠هـ/ ١٧١٧م. وبعد الاستيلاء عليها عيّنه الإمام سلطان (الثاني) بن سيف اليعربي حاكماً لجزيرة البحرين، فبنى فيها قلعة عراد وتحصن فيها[4].

ونرجح أن بناءها تم خلال فترة ولايته على البحرين بين عامي ١١٣٠هـ/ ١٧١٧م و١١٣٤هـ/ ١٧٢١م. أما النبهاني[5] فيذكر: أن الشيخ الجبري قد بنى قلعتين في البحرين على جبلين متقابلين بينهما قرية

---

(١) مقال بعنوان: أخطأوا فأطلقوا على قلعة البحرين اسم قلعة البرتغال. منشور في مجلة الوثيقة البحرينية، ع١، س١، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م. ص١٣٣-١٣٤.

(٢) كيرفران، المرجع السابق، ص٦٨-٦٩.

(٣) انظر: نشاط الجبور في البحرين في دورهم الثاني، ص١٠١.

(٤) ابن رزيق، الفتح المبين، ص٣٣٦؛ السيابي، المرجع السابق، ج٤، ص١٥٧.

(٥) التحفة النبهانية، ص٧٤.

العمرو. فإن كان الأمر كذلك، فلا بد وأن تكون إحداهما قلعة عراد، والأخرى قريبة منها تفصلهما قرية العمرو، كما ذكر النبهاني.

وقد ذكرت كيرفران[1]: أن قلعة البحرين تقع شمال جزيرة البحرين، وقلعة عراد تقع في جنوب جزيرة المحرق، وبينهما ممر مائي يفصل الجزيرتين. (أنظر الصورة ص ٢٨٩).

الآثار العمرانية للجبور في قطر

● قلعة آل مسلم بالدوحة:

لقد مر معنا نشاط آل مسلم من الجبور في شبه جزيرة قطر، في جميع النواحي السياسية والاقتصادية والحضارية، بعد منتصف القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي.

وحينما تحول قسم منهم للسكن في بلدة البدع (الدوحة) عام ١٢٦٦هـ/ ١٨٥٠م. أسسوا حي الدويحة فيها. وقاموا ببناء (قلعة آل مسلم) في الدوحة، وهي تعرف الآن بقلعة الدوحة[2].

وقد حولتها الحكومة القطرية إلى متحف في الوقت الحاضر، بعد أن رممتها وأدخلت عليها بعض التحسينات، وفتحت الشوارع المحيطة بها. (أنظر الصورة ص٢٩٠).

أهم آثار الجبور العمرانية في عُمان

بدأ تغلغل النفوذ الجبري في عُمان منذ سنة ٨٨٣هـ/ ١٤٨٧م. في عهد السلطان أجود بن زامل، حينما أرسل ابنه سيف على رأس حملة

---

(١) كيرفران، المرجع السابق، ص٦٥.

(٢) العناني، قطر في دليل الخليج، ص١٨٥.

إلى عُمان، لنصرة الإمام عمر بن الخطاب الخروصي ضد النبهانيين[١]. واستمر هذا النفوذ بشكل أو بآخر لمدة أربعة قرون تقريباً.

بعد سقوط السلطنة الجبرية في الأحساء سنة ٩٣٢هـ/ ١٥٢١م. استمر نفوذ أسرة بني هلال بن زامل الجبري في عُمان حتى زال نهائياً في عهد السلطان عزّان بن قيس البوسعيدي الذي تولى إمامة عُمان سنة ١٢٨٥هـ/ ١٨٦٩م.

● الحصون:

أشارت المصادر العُمانية إلى قيام الجبور ببناء، أو تملك العديد من الحصون في عُمان. نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر: سمد الشان، وأبراء، والغبي، وبات، وينقل، وجو (البريمي)، ولوى، ومقنيات، والأفلاج[٢]، ومنح[٣]. في القرن العاشر الهجري/ القرن السادس عشر الميلادي. وكانت موزعة بين أبناء قطن بن قطن. وابن عمه محمد بن جفير الجبري إلا أن أغلب هذه الحصون أخذها منهم الإمام ناصر بن مرشد اليعربي بعد معارك دامية قبل وفاته عام ١٠٥٠هـ/ ١٦٤٤م[٤]. حيث انسحب آل قطن إلى الأحساء. وبقي آل جفير في مدينة (بركا)

---

(١) ابن ماجد، المصدر السابق، ص ٣٠٢-٣٠٣.

(٢) السيابي، المرجع السابق، ج٣، ص١٧٩.

(٣) ذكر الشاعر العليمي أنها لقطن بن قطن بن قطن حينما زاره في عمان بقوله:

يا طول خطوتك من نجد إلى مَنَحٍ ... ودونك أراضٍ قفر صحصحٍ خالي

وأنا بديرة عمان عنك منتزح ... وأنت بوادي حنيفة عالي الأوشالي

و(منح) تقع في شمال شرق عمان بين عبري وبلاد الحجريين؛ انظر: ابن رزيق، الفتح المبين، ص٤٥٩.

(٤) الأزكوي، المصدر السابق، ص ٩٧-٩٩؛ السيابي، المرجع السابق ج٣، ص١٨٦-٢٠٢.

بعمان. وكان لهم حي عاصم، والحفري، والحرادي، وكانوا أعيان تلك المدينة[1].

وفي عهد البوسعيديين كان الشيخ محمد بن ناصر الجبري يملك عدة حصون منها: حصن (نعمان)[2]، وحصن (سمائل)، وحصن (بدبد) وحصن (نخل). وقد أخذها منه السلطان سعيد بن سلطان البوسعيدي[3]. فوهب إليه الشيخ حميد بن ناصر بن محمد بن ناصر (الغافري) حصن (أزكي)[4]. وبنى محمد بن ناصر قلعة في (صخنان)[5] وكان مسكنه في حصن (ستال)[6] ثم استرد حصني (بدبد) و(سمائل) بالحرب من السلطان سعيد بن سلطان بمساعدة السعوديين[7].

بعد انتهاء الدولة السعودية الأولى عام ١٢٣٣هـ/ ١٨١٨م. تم الصلح بين السلطان سعيد بن سلطان البوسعيدي وبين الشيخ محمد بن ناصر الجبري كما مر معنا. فملّكه حصن (سمائل)، وحصن (بدبد) سنة ١٢٤٦هـ/ ١٨٣٠م[8].

بعد وفاة الشيخ محمد بن ناصر الجبري سنة ١٢٥٠هـ/ ١٨٣٤م. انتقلت ملكية هذه الحصون إلى ابنه، جبر ثم إلى حفيده علي بن جبر الجبري. فلما تولى السلطان عزّان بن قيس البوسعيدي السلطنة العُمانية

---

(١) السيابي، نفس المرجع، ج٤، ص١١٤-١٢٠؛ ابن رزيق، الفتح المبين، ص٤٥٤.
(٢) ابن رزيق، الفتح المبين، ص٤٣٠-٤٣١.
(٣) المصدر نفسه، ص٤٣٥.
(٤) المصدر نفسه، ص٤٣٦.
(٥) المصدر نفسه، ص٤٣٩.
(٦) المصدر نفسه، ص٤٤٢.
(٧) المصدر نفسه، ص٤٤٣.
(٨) المصدر نفسه، ص ص٤٧٤-٤٧٨.

عام ١٢٨٥هـ/ ١٨٦٩م. أخذ حصن (ازكي) من الشيخ علي بن جبر الجبري، وصادر بعض ممتلكاته الأخرى[1]. كما مر معنا.

(١) السالمي، المصدر السابق، ج٢، ص٢٧٦.

الفصل الحادي عشر

الحياة الأدبية عند الجبور

● مقدمة:

بعد موجة الفتح الإسلامي، وما رافقها من نزوح قبائل الجزيرة العربية إلى البلدان المفتوحة. وانتقال عاصمة الخلافة من المدينة المنورة إلى حواضر العالم الإسلامي الكبرى مثل: دمشق، وبغداد، والقاهرة.

أصبحت منطقة البحرين في شرق الجزيرة العربية، ونجد التي طالما تغنى بها الشعراء منسية مهملة، لفها الغموض، وعاشت في عصور من العامية المظلمة. فلا نجد إلا ومضات قليلة كل عدة قرون لبعض الشعراء أو الكتّاب. فمنذ بداية عهد القرامطة في البحرين في نهاية القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي وعلى مدى ثلاثة قرون لم تَجُد علينا هذه المنطقة إلا بشاعر واحد هو علي بن المقرب العيوني، شاعر الدولة العيونية (٥٧٢-٦٣٠هـ). ولولا ديوان هذا الشاعر لكان تاريخ هذه الدولة التي سيطرت على البحرين خلال الفترة (٤٦٦-٦٣٦هـ) نسياً منسيا[١]. وقد كان ابن المقرب ظاهرة أدبية فريدة في عصره، ويعتبر بحق متنبي زمانه في شعره وطموحه.

---

(١) الخضيري، علي بن عبد العزيز، علي بن المقرب العيوني حياته وشعره، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م. ص ٣-٤.

ثم تصمت المصادر ثلاثة قرون أخرى حتى يسطع نجم الربان العربي الكبير أحمد بن ماجد بن محمد السعدي النجدي من أهل نجد، توفي بعد (٩٠٤هـ/ ١٤٩٨م) بقليل وكان معاصراً للسلطان أجود بن زامل الجبري - كما مر معنا - وله مؤلفات في علوم البحار، والرحلات السياحية، نظماً ونثراً منها: كتاب الفوائد في أصول البحر والقواعد الذي انتهى من تأليفه عام ٨٩٥هـ/ ١٤٨٨م. وهو مطبوع وأرجوزة: حاوية الاختصار في علم البحار، والقصيدة المسماة: بالهدية، وأرجوزة: بر العرب في خليج فارس، والمراسي على ساحل الهند الغربية. كلها مخطوطة[١]. وفي عصره كانت سفن السلطنة تجوب المحيط الهندي من سواحل الهند الغربية إلى شرق أفريقيا والبحر الأحمر إضافة إلى الخليج.

أما الشعراء فقد وجدوا كل عناية وتشجيع من حكام الدولة الجبرية، وأمرائها، الذين أغدقوا عليهم الأعطيات الجزيلة. فكثر عليهم الوافدون من شعراء نجد، والبحرين وقد حفظت لنا الذاكرة النجدية الكثير من الأشعار التي تعود إلى عهد الدولة الجبرية في القرنين التاسع والعاشر الهجريين/ الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين. وكانت لغة شعر هذه الفترة، تتأرجح بين الفصحى والعامية. وهي أقرب إلى الفصحى منها إلى العامية النجدية. إذ أن الكثير من هذه القصائد بإمكانك أن تقرأها كشعر فصيح موزون مما يدل على أن هذه الفترة، كانت فترة انتقالية بين الشعر العربي الفصيح، والشعر النبطي الشعبي بلغة أهل نجد. ومن أراد الاستزادة من هذا الموضوع فليرجع إلى كتاب الدكتور سعد عبد الله الصويان «الشعر النبطي ذائقة الشعب وسلطة النص»

وقد كفانا الدكتور الصويان[٢] مؤونة البحث عن قصائد الفترة

---

(١) الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج١، ص٢٠٠-٢٠١، بيروت، ١٩٨٠م.

(٢) الصويان، سعد بن عبد الله، الشعر النبطي، ص ص٢٨٤-٣٩٨.

الجبرية في مظانها من المخطوطات والدواوين المطبوعة إذ ضمّن أغلبها في كتابه المشار إليه آنفاً.

وتعتبر أشعار الفترة الجبرية مصدراً مهماً من مصادر تاريخ دولتهم. فقد تضمنت أسماء العديد من الحكام، والشخصيات المهمة، والقبائل والحوادث التي لم تذكرها المصادر التاريخية. إضافةً إلى وصف الأوضاع الاجتماعية والحياة التي كان يعيشها حكام تلك الفترة. مثل: سكناهم في فصل الربيع في البادية، حيث تكون مواشيهم. وفي فصل الصيف في المدن والأرياف، حيث تكون بساتينهم من النخيل لجني ثمارها. وعاداتهم في الصيد (المقناص). والجوارح التي يربونها لهذه الغاية، مثل: الصقور لصيد الطيور مثل: الحباري، وغيرها. والفهود لصيد الغزلان، وكلاب الصيد (السلوقية) لصيد الأرانب.

وسنورد فيما يلي أهم القصائد التي وصلت إلينا من الفترة الجبرية. وأغلبها قيلت في مدح حكام وأمراء الجبور حسب تسلسلهم التاريخي مع الإشارة إلى بعض الدلالات التاريخية والاجتماعية الواردة فيها.

من أدبيات الجبور

هذه الأبيات قالها الشاعر ابن زيد يمدح فيها الشيخ زامل بن حسين بن ناصر بن جبر مؤسس الدولة الجبرية. والبيتان السادس والسابع يشيران إلى ذلك. وفي بقية الأبيات يمدحه برجاحة العقل في الحكم وفصل الخصومات. ثم يصفه بالشجاعة وحسن القيادة والتدبير والقصيدة من بحر الطويل.

يقول ابن زيدٍ قيل راعي قلايص إلهن بالأوزا لا يزال مهين

حراجيج من لكد العراقيب ضمّر	عليهن عادة السرى بقرين
يغصن إلى ما جين خبتٍ عقنقل	كما غاص في لج البحور سفين
ولما وردنا منهلٍ عافي الجبا	مع الفجر قد عاد الهدان يكين
ضعاين لولاهن كنا علاقه	مع البدو نغبى تارةٍ ونبين
ضعاين يتلين الغريري زامل	لكن جما حرجاتهن عرين
على رأي ملكٍ من عقيلٍ مجرّب	لتالي المعايا الجاذيات ضمين
يتالين شيخٍ شرعبيٍّ مجرّب	نباه لكل الفيّتين يزين
يتالين فصّالٍ على القوم نادر	على الألف بحد المايتين يكين
عذي الردى ما شرب بأقداح مسكر	ولا بات من ترادهن رهين
ولا كنفت معه الغواني ولا صبا	لهن ولا صافى لهن خدين
بلا حيث ياتينا من الضد غارة	وعاد لزمل المحصنات قرين
فهو فارس الهيجا وراعي فصايل	برمحه ذا مقتول وذا طعين
وصلوا على خير البرايا محمد	صلاةٍ بها رب العباد يعين[1]

٢

الشاعر أبو ظاهر من أوائل شعراء الدولة الجبرية مدح السلطان أجود بن زامل الجبري في قصيدة من بحر الوافر ويستقيم وزنها بالنطق الفصيح والعامي وتغلب عليها الفصاحة. يقول أبو ظاهر:

محلّك فوق هام السبع سامي	وصيتك شايعٍ بين الأنام
وباسك بعض بعضٍ منه يخشى	كما تخشى النفوس من الحمام

(١) الدخيل/ سليمان صالح: البحث عن أعراب نجد وعما يتعلق بهم، تحقيق مهدي النجم، الدار العربية للموسوعات بيروت، ٢٠٠٣م. ص ٢٨٢.

وجودك بعضٍ بعض منه يرجى كجود المرجحن من الغمام
وحلمك والحلوم تطير رهبه غداة الروع أثقل من سنام
وقد سار الخميس على الخميس كما سار الصباح على الظلام
وثار النقع من وقع السبايا كما صواعق المزن الركام
ترى فيها جحاجحة وخيل جيادٍ كاالهشيم على الرغام
معقّرةٍ معثّرةٍ فطوسٍ يدربيها المدربي بالحسام
غداة صماصم البولاد فِلّت تهشّم ما ولاه من العظام
ومثل الصل معتدلٍ طويلٍ بِهِ كالنجم في جنح الظلام
ومنتوبين من بطنٍ وظهرِ سوى فولاذها وسوى القتام
هل العادات جرّار السبايا إلى ما شالها والقيظ حامي
وهو حامي الظعاين يوم تقفي شديد الباس في يوم الزحام
حمى حمر الهوادج يوم تنخا سواكنها تفرفش كالحمام
لعيني كل بهكلة رداحٍ صموت الحجل قانية الوشام
تُرى من خدرها من عقب ستره كشمس الأفق بِفْتوق الغمام
بيوم كريهةٍ طعنٍ وضرب يشيب لهوله أولاد الفطام
بيوم المال يبونه قبل عزله به الحشوان عن جل السوام
تلقّى الطعن مع نار البلنزا مناعير تخاف من الملام
صناديد جحاجحة وخيل تفرّ من الملام إلى الحمام
شبك بالجمع جمع من قريب وناطحت الكماة أهل الصدام
وتلاقن الهوايا بالهوايا وفر النذل واكترب الحزام
تعلّى بالشجاعة عقيل طبقا وأصخاها وأوفاها ذمام

وأحيـا الله كـل كـريـم نـفـس ولا أحيـا الـبـخيـل بـن الـلـئـام
وصـلـى الله عـلـى سيـد الـبرايا عـدد مـا لاح بـرق فـي غـمـام[١]

٣

هذه قصيدة للشاعر ابن زيد وجهها إلى كليب بن مانع، وهو أحد أمراء العصفوريين الذين تحولوا إلى البادية بعد زوال دولتهم، وتحالفوا مع بعض القبائل الطائية لمناوأة الدولة الجبرية. ويمدح فيها السلطان أجود بن زامل الجبري الذي قام بحملة تأديبية ضدهم فقصدهم على مورد (لينة) وهزمهم. ونلاحظ أن الشاعر يكني أجوداً بأبي «سند» مع ان المصادر المتوفرة لم تذكر أن له إبناً بهذا الاسم. وربما يكون مجرد كنية. وهي من بحر الطويل (الهلالي). يقول ابن زيد[٢]:

يقول ابن زيدٍ قول راعي مثايل مـقـالٍ عـلـى كـل الـرواة مـكـاد
فقل أيها الركب الذي قد تقلّلوا عـلـى ضـمّـرٍ روحـاتـهـن بـعـاد
إلى ما لفيتوا بالمطايا قواصد شواغل من شكوى الحفا ولهاد
فخصّوا بتسليمي كليب بن مانع ومـن لـذوي دانـيـة عـز وعـمـاد
قولوا له أن الذم ما هو بواجب والأعـلام يـحـيـا ذكـرهـا ويـعـاد
أثابك فيها الله حيثك ظلمتها بـشـرٍّ إلـى مـا قـلـت هـوّن زاد
إن كان سيفٍ حان أو جاه يومه ومِهد في بطن الثرى بمهاد[٣]

(١) الصويان المرجع السابق، ص٢٨٨-٢٨٩.
(٢) الدخيل، المصدر السابق، ص٢٧٠؛ وانظر: الصويان، المرجع السابق، ص٣٠٠-٣٠١.
(٣) في البيت الثامن يشير الشاعر إلى مقتل الأمير سيف بن زامل بن حسين ثاني حكام الدولة الجبرية، وقد أشرنا إلى ذلك في معرض حديثنا عنه.

ما مات إلا عنك في كل لقوه　　لكم عند زومات العدو سناد[1]

.... يــوم بــخـيــره　　عـليك بـهـا يوم الـوقيعة حـاد

طمعت وقلت القوم لاشٍ خلافه　　وكـلٍّ عـلى ماضي قديمه عـاد

ومنّيت من يعطيك ميراث جده　　وذا ظن من لا يختشي بغداد

نَحن غصّةٍ في كبد الأعدا مطيلة　　إلى قلت يبرا غلّها بك زاد

تعوّض بقعا في بساتين مرغم　　والأوطان في سوق العراق بلاد[2]

عدّاك ابن جبر يا كليب وعادته　　لشرواك عن عادي مقامه عاد

وتنبيت ما لا تهتويه وسطوه　　وشارات جودٍ يا كليب مكاد

فخذ حذرٍ لو ما كنت راعي عداوه　　مبين فعذري في عداتك باد

كما انك منكارٍ ولا فيك طيّب　　وأنت فالبشر الردي ستاد

أطلنا لك المهلة زمانٍ لعلها　　معَ سالف أنوأ قد مضين جياد

فزادت لك المهلا علينا حماقة　　وظلّيت مع راع الحماقة غاد

واقفيت إذا ولّيت وازيت بعدها　　عدوٍّ فضيّعت الجميل فباد

أسألك بآيات القرآن وفضلها　　وأم القرى والمرسلات وصاد

والحرم الذي قبر فيه محمد　　وبالله أنَّ الله فيه سداد

من المبتدي منا بالإحسان أول　　ومن له مبدأ بالثنا ومعاد

فذا ذكرها قد جا لكم يآل مانع　　والأجواد ما تدع الجميل زهاد

---

(١) في البيت الثامن يشير الشاعر إلى صلة القربى بين العصفوريين والجبور وأن مقتل الأمير سيف كان خسارة للطرفين.

(٢) بساتين مرغم من أفضل بساتين الأحساء وكانت ملكاً للعصفوريين فانتزحوا عنها تحت ضغط الجبور إلى أطراف العراق. وهي التي يقول فيها الشاعر علي بن المقرب العيوني:

فخير لعمري من بساتين مرغم　　على ذي المجاري طلح نجد وشوعها

لك الله تجزون الجميل بسايه ... وبالمال ظني عن صخاه شداد
ترى ان كانت الميعاد لينه بيننا ... فلا نرتضي من دونها بسداد
ولينه ميراد علينا مبارك ... ولم يَفْدِنا من ورد لينه فاد
وخليّتها كرهٍ وخليّت حولها ... بيوت على روس الرفاع تشاد
قسمناكم اثلاثٍ فثلثين عندنا ... وثلث ابن غزّيّ فراح بداد
وجمع ابن صلالٍ قبيل ابن قشعم ... عداه عن أسباب الملامة عاد
وخانوا بنا أبنا وثال قصورنا ... والأدناس تدعى الخاينين رماد
فقل لال عيسى عيذ بالله خيلهم ... فهن مطاويع وهن جياد
صحاح النواصي عن شبا ذارع القنا ... وسوم القنا بعيازهن جداد
يرفعن بالسيقان عن كل مايق ... وهو بين طلاب الديون يقاد
إلى قلت ردّوا واتقّوا دون مالهم ... لكن بيد الطالبين جراد
وإن جاد خطرٍ قد تهيّا نباته ... وقد سال بأيام الربيع وجاد
رعيناه بالشم المناعير والقنا ... إلى عنه مذموم العشيرة حاد
بجمع مضاوي لكن حرابه ... نجوم الدجى خطر لقاه مكاد
أهل شيمةٍ عليا ونفسٍ عزيزة ... عن الدون ما شوفاتها بزهاد
أبا سندٍ زبن المشافيق أجود ... إلى ما غدى المستاخرين غواد
وهو بحر الجود وهو مغرس الندى ... وراعي صخا من سالف وجداد
وصلوا على خير البرايا محمد ... عداد ما سعى ساعي ونادى مناد

٤

وهذا رد ابن حماد شاعر كليب بن مانع على ابن زيد يذكره بمعركة سابقة كانت لهم الغلبة فيها على الجبور ويعدد خسائر العدو التي بلغت

(٢٥) فرساً قتلوها و(٩٠) فرساً غنموها و(٢٥) قتيلاً بمن فيهم شخص مهم اسمه زامل، وقد رجحنا أنه (زامل بن أجود) أحد أمراء الجبور الذين شاركوا في المعركة. وأنهم ثأروا بذلك لقتلاهم الذين سمى منهم (عليان ومانع). من كبراء (مشاكيل) القديمات قبيلة ابن مانع. ومن المعروف أن العصفوريين من آل شبانة من القديمات من بني عامر[١]. وهذا يؤكد أن آل مانع من العصفوريين ومن يطلع على مشجر نسبهم يرى كثرة اسم (مانع) فيهم. مثل (مانع بن راشد بن مانع بن عصفور) (و مانع بن بدران بن مانع) وغيرهم.

وقصيدة ابن حماد على نفس وزن وقافية نقيضتها قصيدة ابن زيد. يقول ابن حماد:

يقول ابن حمّادٍ ومن لا يكوده	مثايلٍ تِرثى با لهجا وتعاد
وتصفيف ما لا كان إلا ظليمه	ورب الملا للظالمين سداد
ولا أعتَزّ من قال الهجا صوب غافل	ولا نال من قال القبيح مراد
فقم أيها الغادي على بنت حرّه	وسيعة ما بين اليدين سَناد
مكلّفةٍ وجنا صبور على السرى	تفزّز إلى طال المسير وزاد
سرها وتلفي من عزانا جماعة	أهل مقفلاتٍ بالعدو جياد
فعمهم التسليم مني وقل لهم	الاعلام فيها كاذب ووكاد
لفاني بلا جهلٍ كتابٍ مورّخ	بذمٍّ وعندي كاغدٍ ومداد
يقول ابن زيدٍ عيذ بالله خيلنا	فهن مطاويع وهن جياد
فأطوع منها خيلكم يوم دبّرت	وهن من أطراف الرماح شراد

---

(١) جدهم عصفور بن راشد بن عميرة بن سنان بن غفيلة بن شبانة بن قديمة بن نباتة بن عامر. وعصفور هو مؤسس دولة العصفوريين في الأحساء (٦٣٠-٧٨٠هـ) كما أسلفنا في كلامنا عنهم.

يرفعن بالسيقان عن كل مايق وهو بين طلاب الديون يقاد

وهن شرودٍ عن لقانا كأنها علـيهـن ركّابٍ وهن غواد

فيا مبلغ جاني سلامي عساكر كما أنه من روس الملوك وعاد

يقول بيوت الشعر يبغي تِعِلّق إلى نَفرٍ سادوا عليه وباد

وهو كان مثل النار في دار عامر وصيّروها بعد الثقوب رماد

فقد طحت في أيدي القديمات زمامك ولا مِدت عليك أياد

ومن يهجي القوم الذي يخفرونه عن الذبح مغزيٍّ بغير فواد

وقولك سيف منا وهو لنا إلى شد للحرب العوان شداد

فلا مات إلا عنك وآزيت عقبه كما ثِمَدٍ ما عاد فيه معاد

وقد كان بأطراف الرماح على أجود وسِلِم ولا عقب ذيك يعاد

وهو عقب ما قد داس فيكم جذت به جواده ولا عرجت عليه جواد

وترثي لك الحسنى علينا ومنكر جمايل منها دارسٍ وجداد

واحداثك الخبثات جهرٍ وباطن وشرٍّ إلى ما قلت هَوّن زاد

توري بنصحٍ وأنت راعي مناجل معطّفة روس الرقاب حداد

مدفّنْةٍ تحت الثرى جوف وعنه غتارٍ لمن يبغى يعود يصاد

فاسايلك بآيات القرآن جميعها كما سلتني بالمرسلات وصاد

وبالبيت وباللي يزار قبره محمد على الطول ما زال الحجيج يعاد

من المبتدي فيما ذكرت ومن بقى يقاضى بسوٍّ فالسؤال يعاد

ويوم شراك التمر باغٍ طلوعه ولا عادت الأحسا لكم ببلاد

وعدّاكم عنها كليب بن مانع وصار لحزمتكم فنا ونفاذ

وجبتوا كما جابوا زيادٍ لواهج وغيره عن حر الوقيعة حاد

جزيتوا كما جازى كليب بن وايل فثيرٍ بشرٍّ قبل ذاك فباد

واشركت في الأعلام شيخان بن عامر تبادا وهم عما تقول براد
نَحَن غصّةٍ في كبادكم كل لقية إلى ثار ريعان العجاج وكاد
يشوقك مناخَزّ الأبطال ما لكم يشَلٍّ وفرسان الغواة غواد
ومن قبلة المطلاع فيكم وقيعة لجا غِلّها بأقصى ضميرك زاد
ولما قضينا وارتضينا على اللقا وزان القضا لي يا بن زيد وجاد
غديت وخليت السوام وزامل يفوق على البيدا بغير وساد[1]
قتلوا مشاكيل القديمات عيله بلا سبب يا عايلين عناد
ولما قضيتوا وارتضيتوا وجيتوا إلى القوم كفٍّ قاطعين عناد
قتلنا لكم خمسٍ وعشرين سابق وتسعين قَلْعٍ والعجاج ركاد
مع خمسةٍ منكم وعشرين خِلّيوا لطير الفلا والضاريات معاد
يعودهم السرحان والنسر والحدا وهم في صدور الناجيات جياد
قضا في عليّان وفي قتل مانع والأقلاد تدعي الخاينين رماد[2]
وقولك بقعا في بساتين مرغم والأوطان في سوق العراق بلاد
نبايع فيها يا بن زيدٍ ونشتري من أموالكم ما هي لنا بِتْلاد

---

(١) في البيت (٣٨) يشير الشاعر إلى مقتل الأمير زامل بن أجود، كما رجحنا في معرض حديثنا عنه في الفصل السابع من الكتاب.

(٢) في البيت (٤٤) يشير الشاعر إلى (عليان) أحد وجهاء قبيلة آل مانع. أقول: أن هناك فخذاً كبيراً يحمل اسم (العليان) من بطن الزمول من قبيلة بني خالد في سورية، وبينهم وبين (المانع) في سورية صلة قربى ومصاهرة. وحينما انتقلت مشيخة بني خالد في سورية من (المانع) إلى (الناصر)، وضعف (المانع) انضموا إلى (العليان) ولكنهم حافظوا على اسم عائلة (المانع). وجميع بني خالد يعرفون أن لهم مشيخة سابقة، ويحظون باحترام الجميع.

انظر: أوبنهايم، ماكس، وآخرين، البدو، ج١، ترجمة ميشيل كيلو ومحمود كبيبو، الوراق للنشر المحدودة، لندن، ٢٠٠٤م، ص٤٧١.

نجيها مع فجاج الخلا وأنت غافل   على ضمرٍ من مالكم وجياد
على رأي شيخٍ بالحروب مسلّط   يخلّي قراشيع الخصيم بداد
كليب زبن الجاذيات ابن مانع   ومن له مبدا بالثنا ومعاد
إن زدت زدنا يا بن زيدٍ ولا لكم   علينا بترديد الحديث رشاد
وصلوا على خير البرايا محمد   عدد ما سعى ساعٍ ونادى مناد[1]

٥

هذه قصيدة للشاعر ابن زيد يمدح فيها السلطان أجود بن زامل. ويحذر شخصاً اسمه سليمان من مناوأة أجود ويذكره بجزيل عطاء أجود له. ثم يدعوا بالسقيا لبلاد أجود. والقصيدة من البحر الطويل.

يقول ابن زيدٍ قيل باني مثايل   جدادٍ قوافيها غريب عقودها
فقل أيها الركب الذي قد تقللو   على ضمرٍ من عيدهيّات قودها
فردّوا سلامي يَمّ قوم تجمّعوا   كما جمّعت عجمان سندٍ لبودها
حذاري حذاري يا سليمان لا تكن   فراشة نارٍ حين جاها وقودها
ولا تنس جزلات العطايا من أجود   إذا نسي جزلات العطايا جحودها
فيا ويل كل الويل من حارب أجود   إلى جر من روس البوادي جنودها
ونادى المنادي للرحيل ودِنّيَت   بليهيّةٍ مثل البنايا حيودها
يدنين لا مثال البدور ملايح   لكن ذيول الدهم ضافي جعودها
إلى ما رْكِبن الزمل هللن رغبه   إلى الله ما فاجا المعادي سدودها
فما وِلْد من عصر النبي محمد   ولا أرضعت بيض العذارى نهودها

---

(١) الدخيل، المصدر السابق، ص ٢٧٢-٢٧٤؛ الصويان، المرجع السابق، ص٣٠٢-٣٠٤.

بأفرس من ستر العذارى ابن زامل	إلى ذل من سادات قيس بنودها
جواده عرجا والمناعير كنها	قصاصيب نضح الدم كاسٍ جلودها
سقى كل ما حلّوا من الأرض مرزم	ألكن دياميم المصاري رعودها
مقتّلة الغزلان صادقة الحيا	تجرّ الغثاجر السكارى برودها
حقيق بها من أرض ما ينزل أجود	أبا سندٍ سلطان قيسٍ عمودها
كفى الله ذاك الوجه حر جهنم	إلى أسعرت وآزى حديدٍ وقودها
وصلوا على خير البرايا محمد	عدد ما مضت بيض الليالي وسودها[1]

٦

في هذه القصيدة يطلب الشاعر بن زيد من شخص اسمه نبيط بن ثابت[2] أن يخلي دياره التي استولى عليها السلطان أجود بن زامل عقوبة له على انحيازه إلى جانب أعداء أجود. ويبدو أنه كان رئيساً في قومه وإلا لما وجه إليه هذا التحذير باسم السلطان أجود.

وفي البيت (٢٦) من القصيدة يذكر الشاعر أن الجبور في ذلك الوقت لم يقطعوا صلتهم بالبادية إذ أن السلطان أجود كان يشتو في الدهناء، ولا يذهب إلى الأحساء إلا في الصيف وقت جني التمور. ويذكر في القصيدة بعض المواضع مثل: حزوى، وحبل مشرف وكلاهما في الدهناء. والقصيدة من البحر الطويل:

---

(١) الدخيل، المصدر السابق، ص ٢٨٠. وانظر: الصويان، المرجع السابق، ص٣٠٤-٣٠٥.

(٢) من الجدير بالذكر أن هناك فخذ من بني خالد في كل من سورية والأردن باسم (نبيط). انظر: زكريا، أحمد مصطفى: عشائر الشام، ج٢، ص٤٤٧، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م؛

فريدريك. ج٠: تاريخ شرق الأردن وقبائله، ترجمة بهاء الدين طوقان، الدار العربية، عمان، د. ت. ص٢١٤.

يقول ابن زيدٍ قول من شدّ ضامر　　جماليّة من عيدهيّات نوقها
زفوفٍ زهوفٍ عجلةٍ مستمانه　　من الهجن وجنا طيّبات خلوقها
على ربع دارٍ دراسٍ غيّر البلى　　وذكرى ليال طيبات وفوقها
خلا الربع إلا من ثلاثٍ كوانف　　لعرفانها عيني سريعٍ رموقها
من الرخمات السمر لما أنا عرفتها　　وصحبي على قودٍ قليلٍ رفوقها
ربعت لها من راس عيني وعبرتي　　على ملثمي بالما سريع دفوقها
من انكاري الدار الذي غيّر البلى　　جباها وكثّر في حياها حقوقها
لوا شارع الصمان في حبل مشرف　　سقاها بهتّان الزبانا صدوقها
مقتّلة الغزلان صادقة الحيا　　يشق الدجى نور السنا من بروقها
من الشعثميات الذي تحجز اللوى　　إلى الزرق واليتم المغاني حقوقها
عددت لها من يوم هجراني اهلها　　ثمانٍ وتغيير الليالي خلوقها
وتجفيل عنها كل بيضا من المها　　لكن سحيق النيل يحشا بموقها
لها معدنٍ في قرب حزوى ومسكن　　عن القيض في برد الثرى من عروقها
وكل سبرتات من الربد هرقل　　يكود على جرد السبايا لحوقها
من الشري والمرخ الذي جاده الحيا　　ويروّي أنوار الخزامى فروقها
مرفّعةٍ مقلاة رالٍ لكنها　　من الكبر قفيات المواشي شدوقها
لدى ديرةٍ معمورةٍ سورها القنا　　ورزقي أسباب المنايا فتوقها
وكل غصينيّ وشعوا سريره　　وردى دَهَرٍ مات العدا عن ذلوقها
تبين عنها يا نبيط بن ثابت　　فلا عقب صحباك المعادي تذوقها
فهي دار من يقري ويذري وينتخي　　ويدّي عليها بالهوادي حقوقها
أبا سندٍ حرج الجواد ابن زامل　　إلى جذّبوا شرثاتها من لحوقها
وافي الذرى ما خان يومٍ عميله　　والأعلام تلفي غربها من شروقها

ولا طاوع البوقات في مال جاره   والأقلاد ما تلفي إلى من يبوقها
جزيل العطا ما يسرق الليل علمه   بخلفٍ من أوعادٍ قليلٍ وثوقها
سريع القِرى عيد المقاوى إلى ضووا   على رخص بقعا أو على عِسر سوقها
يحل بها الدهناء إلى جادها الحيا   والأحسا إلى طاب الجنا من عذوقها
عوى حين حاربت المعادي لحربنا   سراحين صوتٍ مخبثاتٍ وفوقها
وجاد بها غضفٍ على بيت بوقه   عكالين من دغم الجعارى وطوقها
وصلوا على خير البرايا محمد   عدد ما أضا من مزنةٍ في بروقها[١]

٧

قصيدة للشاعر ابن زيد، يبدو أنه قالها بعد وفاة السلطان أجود، ويشير إلى وجود وحشة بينه وبين خلفه السلطان محمد بن أجود بسبب وشاة السوء. ثم يخلص إلى مدح الأمير هلال بن زامل الجبري، أخي السلطان أجود. ويشير فيها إلى مغازيه وفتوحاته في عمان وحضرموت واليمن. وهذه إضافة جديدة إلى تاريخ الجبور لم تشر إليها المصادر التاريخية.

وفي البيت (١٥) عبارة (أبو كل) والصواب (أبو علي) وهو اسم ابنه الأكبر. والقصيدة من البحر الطويل:

ألا لا أرى حيٍ تدوم حياته   ولا إلفٍ إلا عن أليفٍ مفارق
ومن عاش بالدنيا يرى ما يشوقه   إلى سِلِم منها أو يرى غير شايق
وكلٌ إلى ما ياذن الله صاير   والأفلاك فيها بين تالٍ وسابق

---

(١) الدخيل، المصدر السابق، ص ٢٧٨-٢٧٩؛
الصويان، مرجع سابق، ص٣٠٥-٣٠٧.

محى الله من يرضى بما ليس يرتضى ... ومن يتلافا بالمعان الرمايق
ومن يامن الدنيا ومن يامن أهلها ... إلى كان من ذات القلوب الحذايق
صبرت الين الصبر نهّى وانقضى ... بالأسباب ما لا تستطيق العلايق
فلما جرى لي قد جرى لي وساقني ... عن الدار فيما يأذن الله سايق
بالاكراه من غير اختياري وقد جرى ... وحقّت بالفرقا علينا الحقايق
إلى بان إجنافٍ على غير زلّه ... وقالوا لي المستامنين الوثايق
إلى الدار فاتتك الحمايا من أهلها ... فبعها وودّعها وداع المفارق
فقد نبحت من كل قوم كلابها ... خيالك بآثار الأمور العوايق
لك الله إن عزلت قلوصي لنيّه ... على الرشد جرّتها على ما توافق
وقلت وقد بان الذي بي لخلتي ... على حَضَرات الناظرين الروامق
أيا ناق خبّي واقصدي بي لخيّر ... جزيل العطايا بالسنين الشفايق
أبو علي معروف بالإيمان والتقى ... هلالٍ إلى عام القسا منه طارق
ذرى كل مضيوم وراعي فضايل ... مديبٍ على كل المروّات صادق
عطيفة أبطال المناعير باللقا ... وزبن الدنايا في قحوم المضايق
ومن ليس يبقى عند الأعدا مجاره ... رميّ ولا صافى لزانٍ وسارق
مشامي إلى عدّى منامي هواجس ... لطافٍ وما قد قدر الله سابق
صفي دونه الما إذا هفا منه مرتب ... ولا شيّنته المهلكات الطوارق
وقالوا تعدّى حضرموتٍ وقاده ... وساقه على ما ياذن الله سايق
لميراد صنعا أو زبيدٍ وفتحت ... مع وجهه أبواب الحصون الغوالق
وناست عني منه الاعلام وانطوى ... ضميري على شروى ضريم الحرايق
ولاءٍ على سلطان قيسٍ وخافه ... من إسراف طلاب الجنايا الحنايق[1]

---

(١) الدخيل، المصدر السابق، ص٢٧٦-٢٧٧؛ الصويان، المرجع السابق، ص ٣١٠-٣١١.

جفلت ارتياعٍ مثل ما فز جازي   قد اعتان ألواح الضرا والزواعق
قد أزعجه إلا أن يعيد الذي جرى   عليه وذلك من بنانيه سابق
إلى بجوا الما من خفاف إلى علا   على من بنات الما خفاف الزوارق
وصلوا على خير البرايا محمد   عدد ما همى وبلٍ وما لاح بارق[1]

٨

هذه قصيدة يمدح فيها ابن زيد السلطان محمد بن أجود الجبري ويبدو من البيت الأخير أنه يلتمس منه العذر لأمر بدر منه ويتحدث فيها عن وشاة السوء. والقصيدة من البحر الطويل.

لمن ربع دارٍ بين الأجلاد واللوى   محا النقش من آثارهن العلايم
من أطلالها هوج الذواري روايح   من الغيث هطّال انسكاب الغمايم
فأبلى خلاف العهد مني جديدها   تقافى بهامر الجديدين دايم
لها أنكرت عيني لولا أن جايلي   رهينٍ لمن قد حل فيهن هايم
بذكراي فيها يوم والبين لم يكن   علينا بدا منها الأمور العظايم
وعين الجفا عميا والأيام وصلها   جديدٍ وعنا صرف الأحداث نايم
إلى كل ما غطّى حمى مظلم الدجى   فضا الأرض بأذيال السواد الجهايم
وغطى الجفا الأعيان عني تكفكفت   سعاة الوشايا ناقلين النمايم
والأفلاك ذا بادٍ وهذاك غايب   سريت لمنزل قانيات الوشايم
فواتٍ على عهدٍ على كون غِرّه   قتيلٍ على مسعى طريق الظلايم
سباه الهوى والشوق والصد والقلى   والأعراض مفتوك قليل الجرايم
سباني ورمّان الصدور غصونه   فراشٍ ويشرب من قراح الوشايم

(١) المرجع السابق.

فقلت لماموني خضير ومالك ... ودمع نظير أجفان عينيّ نايم

ألا يا خليلَيّ الذي لي كليهما ... عضيدٍ على كل الأمور العظايم

ويا صاحبيّ الناصحين اهتديتما ... إلى الرشد وإقبال الغنى والغنائم

عسى في بقايا لذّة العمر لي بها ... تعود الليالي بالذي كنت رايم

ونهنا بما قد سرّنا منه والمنى ... بمن بان عنا عقب ذالي يلايم

فلما ان بدا لي منهما رأي ناصح ... وشب فؤادي باستعار اللوايم

دع الشوق فالدنيا معاشٍ ولا بها ... سوى الله يا معدوم الأريا بدايم

ولذ عن تصاريف الليالي إلى عشى ... لك الدهر أو أمسى لك اليوم ظالم

لمحيي ندى الجود ابن جبر محمد ... بنيل المعالي والعطايا الجسايم

نتاج أجودٍ محيي ندى ميّت الثنا ... على الصغر من قبل أن يلوث العمايم

أبا قاسمٍ باني بنا الجود والصخا ... نهى الجود مروي من عداه العلايم

وحاوي جميلات المعاني جميعها ... وهي كان من بين البرايا قسايم

حمى في ضحا الهيجا والأرياق لغْب ... وطير المنايا في سما الغيد حايم

وهي من حتوف البين شتى طرايد ... تواغل مطلع الثنايا هذايم

طريح طوى حبل الرجا من حياته ... من أسباب ليعات الردى غير قايم

وبالجود جودٍ لا تزال جفانه ... تعادا بها حسك الذرا بالولايم

ويأمن لجل المال بالجود بايع ... وللروح في يوم التهاويل سايم

سهيل علا للناظرين وقد بدا ... من أمال بجناج البوادي علايم

ولاح من القيزان ما كان مقتم ... وشام عن أوطان القرى كل شايم

ولا غير هذا لي إليكم وسيلة ... ومثلي حقيقٍ بالرضا والحشايم

ويختم ماقدر لعد النظم رسمه ... صلاة على المختار من نسل هاشم[1]

---

(١) الدخيل، المصدر السابق، ص ٢٧٤-٢٧٥؛ الصويان، مرجع سابق، ص٣٠٩-٣١٠.

٩

هذه قصيدة في مدح السلطان محمد بن أجود الجبري لشاعر يدعى النابغة ابن غنام وفيها وصف جميل لحيوانات الصيد كالصقور والفهود التي كانو يدربونها على صيد الظباء ويشبه ممدوحه بها في انقضاضه على أعدائه. والقصيدة من البحر الطويل.

سعود الليالي عن نحوس النوايب … تزهت بلذات الليالي العجايب

وساق دجى ديجور الاحسان هاتف … من الخير فأمسى نجم الإسعاد ثاقب

خليلي بعدما عَنّ فكري فدنّ لي … قلايص قودٍ من خيار النجايب

بعزمي وهمّاتي وربعي رحايل … نحافٍ خفاف مفرّقات الغوارب

إلى رمت زومات العزوم يردّني … عيال بهم قلبي من الهم تاعب

إن شمت للقالات واشتان خاطري … ذلّت عزومي عن صعاب المطالب

شم واغتنم وأشهر إلى جود خيّر … له الحمد محمود الثنا بالمواكب

تسلسل من ماضي خيارٍ مجرب … كحد اليماني فيصلي المضارب

كما حضر ميّ أنمريّ مشخّف … غليض الذراعين أدرمي المخالب

بالأوثاب عجل يطوي البيد كنه … نَشّابٍ استافاه بالقوس جاذب

ختولٍ قتول الصيد هلعٍ مشكّل … إلى صارهو من حول الأقمان كاهب

قصولٍ فصولٍ للظهر معود … لتيس الظبا دوم بعسماه ضارب

ظباً صكّها من حي عسماه حطها … على الخد ألقاها صروع عواطب

كما شاميٍ خرسٍ حسين مهوّر … بالأثمان ما يغليه بالسوق جالب

على صاحبه غالي وشاريه نافق … إلى شافه القناص لشراه طالب

قد حطّ في كفّه مضى عقب ما انقضى … شرا البيع هنّي به ولو غِلِي غالب

جميلٍ قصير الساق أفجٍّ مفرجل … كأقبا إلى أطحا ما تحه لوي جاذب

حديد النظر من ذالق العين كنها | إلى خِلتها فيها سنا النار ثاقب
همومٍ لهموم ألطف العقب مسند | له الصدر مفجوج غليظ المناكب
هلوعٍ فجوعٍ من إذا الجوع قد بقى | طواه القوى وأمسى له الجوع راعب
على محمله ينظر يمين ويسرة | كما ذرب قوم يتّقي بالمراقب
إلى شام للعليا وله حل مرسنه | مع الغمض يوري في خمار المساحب
لا ذا ولا هذاك يمضي إلى عدي | بصيده وكلٍّ في معانيه آدب
الفارس المعروف بالرمح لي التقت | بالأبطال في يوم المجال السلاهب
كلون الدجى مغلنطس الليل لونه | على نور قرن الشمس بالطمس حاجب
إلى حل رجف الخيل والسوق بالوغى | بتوريد قطع المرهفات القواضب
والكل يوم الكون يعتاد عادته | بسفك الدما يروي قوي المضارب
صرايع من كف الغريري محمد | فناها وثلثيها من الدم شارب
كْعام العدا بحر الندى باذل الجدا | بْبَذل الندى يندى وسيع الرواحب
فتى جامعٍ جودٍ وصبرٍ وفرسة | وللجار والمنيوب جزل الوهايب
من كان من غارات الأيام خايف | وفاجاه من غاراتها كل نايب
فحل إلى ما صالوا القوم والتقوا | حجى كل مضيوم إمام الركايب
رفيق حسن الصيت أبا الجميل محمد | رفيع محل النفس نزه المذاهب
كما مزنةٍ غرّا نِشَت واستقلت | وراجت وثَجّت من ركام السحايب
لها عارضٍ رزنٍ وبالبرق يوضي | والنو مستاسع وبالوبل حالب
محنٍّ مرنٍّ مرجحنٍّ محتلم | حقوقٍ دفوقٍ هاطل الغيث ساكب
تِدَفّق براحات الحضور غمامها | يجي سيلها جوده على النفد راكب
تِدَفّق راحات ابن جبر محمد | لمن سال تندا بالسنين النهايب
مواهب جوده بالتواريخ تنسب | تسلسل من أزكاها رفيع المناسب

فإن كمّلت ماء العدود ونَشَّفت وكادت على الوارد شحيح المشارب
جود ابن جبرٍ للمنيبين عارض تحادا إليه الناس من كل جانب
قراحٍ غزير الجم سمح وروده فيّاض في جزل العطايا والوهايب
صخيٍّ نخيٍّ اريحيٍّ مجرّب حبيبٍ لبيبٍ للشكالات طالب
وصلوا على خير البرايا محمد عدد ما ظهر نجمٍ وما شيف غايب(١)

١٠

الشاعر جعيثن اليزيدي: من آل يزيد من بني حنيفة. من أهل الجزعة قرب الرياض. ومن أشهر قصائده تلك التي مدح فيها السلطان مقرن بن زامل بن أجود، وفي الأبيات الثلاثة الأخيرة منها دليل على امتداد سلطة الجبريين وتبعية نجد لهم. وفيها ترسيم لحدود مملكة الممدوح ومجال نفوذه.و القصيدة من البحر الطويل (الهلالي).

رخا العيش ضْمنٍ في اقتحام الشدايد ونيل المعالي في لقا كل كايد
ولا راحةٍ إلا رواحٍ على الشقا بهضم المعادي واقتحام الشدائد
والأعمار ما منها عديدٍ كما مضى وما فات منها قد مضى غير عايد
وعسر الليالي مستعادٍ ليسرها كذا قال بالتنزيل وافى الوعايد
وبرد الليالي هو سنادٍ لحرها يزول ولا يبقى سوى الله واحد
وتدبير الأشيا في دواوين جدول على كل ما يغبى وما كان شاهد
ومن طمع في نيل البقا ناله العنا ولاج له ولا له من الناس فايد
فعش طالب العليا فما دمت مجهد فما يدرك المطلوب من لا يجاهد
كما النار توريها ويازي شرارها شديد القوى ما بين عودين زايد

---

(١) الصويان، المرجع السابق، ص ٢٨٩-٢٩١.

فقلت ولي من غالي البين مقسم　　نفاق الأيادي من غزير القصايد
فيا ناق من وادي نعام تقللي　　وأرجي لك التوفيق ضد الشدايد
فسيري وبالك لذة النوم والكرى　　ولو عاد في صعب الأخطار الجدايد
بل هذاك معقودٍ مشاويح بالسرى　　بحر محول للبحور الصياهد
لهن عزل المرعى مقامات شافق　　كما يعتري حوفٍ لنا كل كايد
ولا تذخر بالقران في نايل الصخا　　وذراي مع العيد الحراير بعايد
لعل خلاف السير يا ناق والسرى　　وقطع الفيافي والديار البعايد
تزورين بي سمح النبا ابن زامل　　مقرن مناي لشبك ضيم الشدايد
ولاقيت بعد السير يا ناق مقرن　　وقابلت وجهٍ فيه للحمد شاهد
نشا بين سيفٍ والغريري زامل　　فيا لك من عمٍ كريمٍ ووالد
وبين أجودٍ سلطان قيس وركنها　　عن الضيم أو في المعضلات الشدايد
حمى بالقنا هجرٍ إلى ضاحي اللوى　　إلى العارض المنقاد نابي الفرايد
ونجدٍ رعى رِبْعِيّ زاهي فلاتها　　على الرغم من سادات لام وخالد
وسادت حجرٍ من يزيد ومزيد　　قد اقتادهم قود الفْلا بالقلايد[1]

١١

هذه قصيدة مدح فيها الشاعر عامر السمين السلطان علي بن أجود الجبري وهي من بحر الوافر.

مُحال أنيّ أصافي غير صافي　　أو أسمح بالوداد لغير وافي
ولا أعطي زمام عقلي لجاهل　　ولا ألجي لجال كل جاف

(١) الصويان، المرجع السابق، ص ٣١٤-٣١٥.

ولا أصافي عدوٍّ قد جفاني	ولو صافيت ما قلبي بصافي
ولا أصافي حذا قرم صميدع	كما درعٍ رصيف من رصاف
فمن لك قام بالحاجات حاذي	فقم في حاجته حاذٍ وحافي
ولا يطفي سراج في ضميري	حذا ضرب المعادي بالرهاف
ولا يجلي صروف الدهر ما بي	من الشيمات لو جاني مجافي
أضعضعهم بشِدّات الليالي	إلى ما انقاد غيري للعساف
وكيف يُذلّ صرف البين باسي	ويقواني وأنا بالعزم شافي
وفي عبد الحميد عماد بيتي	رفيع بناه عالي غير هافي
على الهامات ... غيري	تركنا شرّها والحرب طافي
بصير بالمعاني غير واهي	وبذلٍ في نواله غير هافي
على الله اعتمادي واتّكالي	وهو عن كل ما اخشاه كافي
إذا سائلت عن حالي وطبعي	وما فيه اكتلافي واحترافي
أماري بالمعالي في ركوبي	على العيرات قِطّاع الفيافي
أفض الغيظ عن بالي وقلبي	لما يظهر جوابي بالقوافي
إلى يا صاحبي أهلاً وسهلاً	خليل لي على طبعي موافي
إلى حاولت في قلبي محاول	أشِقّ الليل لو فيه التلاف
عُجالي كنّسٍ مترحّلاتٍ	عفايا عقب تكليف العساف
كثيرات التغاري والتماري	قليلات التتابع والمقافي
إلى دارٍ محى ما لاح منها	سوى رسم المباني والأثافي
هماليل السحايب والجواري	وعجلات الذواري والسوافي
وأصبح عقب زهو الحي فيها	خلاف سرورها المعهود عافي
وتلقى من مفاليها الجوازي	رتوعٍ ما تِذِلّ ولا تخاف

فلا بالبال غير اللي بقلبي ... وهو قصدي إلى حل اكتلافي
لمن حكم المروة والمعاني ... ومبتدع المكارم والعوافي
إلى هزّاع شامخةٍ عزومه ... ومن فيهم يخيف ولا يخاف
أهل وهايب جْزال العطايا ... إلى جذّت مروّات القصاف
هو الموت العديم لمن يعادي ... ومفتاح الغناة لمن يصافي
علي بن أجود سلطان قيس ... مجار الجود كهف للضعاف
صعد لصعود قمّات المعالي ... وصافي للكرام وكل وافي
ومحيي للهواتف نار مجده ... لوامعها على بعدٍ تشاف
إلى ما جارت أحداث الليالي ... علَيّ وضم زندي للكتاف
نجعت إلى خشيت الضيم منها ... لكعبة جودنا حسن المطاف
فحل قياد عسري غب يسري ... يحل كتاف عسري يالسنافي
وصلى الله على سيدي محمد ... عدد من حج بيت الله وطاف
يعم الآل والأصحاب جمله ... عدد ما درهمت زرق الخفاف[١]

هذه قصيدة للشاعر عامر السمين يمدح فيها السلطان قضيب بن زامل بن هلال، آخر سلاطين الجبور في الأحساء في دورهم الأول. ويبدو أن الشاعر قال هذه القصيدة يعزي فيها قضيب في وفاة والده زامل، ويهنئه على تولي الحكم. وتبين من بعض أبياتها أن الشاعر كان على علاقة قوية بزامل، ويذكر أنه كان يجزل له العطاء، مما يرجح وجود

---

(١) الهطلاني، محمد: الدرر الممتاز من الشعر النبطي والألغاز، مكتبة الموسوعة، عنيزة، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ص١١٧-١١٨.
الصويان، المرجع السابق، ص ٣٢٥-٣٢٦.

قصائد أخرى في مدح زامل قالها الشاعر ولم تصل إلينا. والقصيدة من البحر البسيط.

أنا اتكالي على ذي القوة العالي ... ربي سنادي واعتقادي بآمالي
مالي حجا أو رجا إلا برحمته ... وهو ملاذي على عسري وإقلالي
أقول والقول مني يستدلّ به ... يا طالباً أن تنال المرتب العالي
قم جاهد النفس عن إضعاف هاجسه ... واركن إلى قلت صر للقول فعّال
ولا تطع من ضعيفات عزايمه ... فكل طبع إلى راعيه ميّال
فما يبلغ العليا سوى من يكون به ... حزم وعزم ويبذل غالي المال
ولا تهَب نيّةٍ صعبٍ مصادمها ... فالحمد والعز تحت ظلال الآجال
والذل والهون مقرونين في قرنٍ ... ما جاذي قط عن عزم المنى نال
فالي تيقّنْت كاس الموت شاربه ... بالسيف أريح ولا تمريض الاعلال
فالموت بالسيف للعليا أحقّ به ... من يبذل الغال حصّل في رجا الغالي
يا طالباً ذات حسنٍ ما لصورتها ... في ساير آفاق جل الأرض أمثال
محجوبةٍ في حجابٍ ليس ياصلها ... إلا شجاعٍ لما يهواه وصّال
فإن حازها بالفعل بعلٍ وأدركها ... مالت عليه القلوب بْنيل الآمال
وليس تنحاز عن بعلٍ تملّكها ... من بعد ما هو لعقد أوصالها نال
وإلى اجتهدت ولا حزت الأمور فلا ... تلوم نفسك إلى حالت بك أحوال
والملك بالظلم ما تثبت دعائمه ... فكن قطوعٍ بأحيانٍ ووصّال
ترى قريبك من قربت منافعه ... إليك عند افتراق وْجيه الأنذال
ومن إلى جاك خطبٍ من حوادثها ... يحل منزل محلّ غير منحال
وملازمٍ لازمٍ من عن صليبته ... عالي المعالي وفارس غير محلال
ومجرّبٍ في لظا الهيجا عوايده ... بالوجه يُلقي بيوم الروع حمّال

ومكابد كايدٍ ثبتٍ أخي جلدٍ		ما ينثني من مخافة كثر وإقلال
هذا الذي حق ان تنعم عليه بما		تاجد من الخير يرخص عنده الغالي
ترى صديقك من يرويك من عطش		والخل خلّين ضحضاحٍ ومفضال
يبدون لك زين آمالٍ وإلى انكشفت		منك التجارب عنهم ضد الأقوال
جنّب حماهم وبالدنيا وحاجتها		يكفي تصانيف قول القيل والقال
والملك من تخضع الأرقاب خايفة		إلى حذر باس ورد فيه الآجال
وخْلاف ذا قلت يا ركب الفلاح دعوا		قود المطايا هجاهيج وزرفال
عرفت الأطلال والعيرات زالفة		ولا ثنوا روس الانضا بأشهب اللال
شافوني اندب ديارٍ ما تكلمني		فالكثر منهم على ما قلت عذال
لمرافقتهم ألا يا حيف يشدهني		يا عاذليني دعوا ما طاعكم بالي
يا ركب هذي منازل زامل درست		قد أصبح الجو منها خاوي خالي
دار الذي كان يقرّبني ويكرمني		ويصطفيني وتصدق منه الأقوال
دار الذي ساق لي خيل مسوّمة		وجنايب الجيش من جردٍ وصهال
دار الذي كان ركن لي ألوذ به		إلا وينحل حال الهم عن بالي
تهلهلت رحمة الرحمن نازلة		في كل يومٍ على هذيك الأطلال
الحمد لله إذا مات الشهيد فلا		يخلّف الليث إلا خِرْش الأشبال
ما مات من خلّف الحيد الذي خضعت		له رقاب الملا من عظم الأفعال
قضيب قوي الباس في حومة الوغى		حاوي خصال الثنا والمرتب العالي
الصادم الصارم البطل الشجاع ومن		ياطا وحامي وطيس الحرب شعّال
ليث الوغى حامي دِنّ العياد إلى		من شدة الباس عِدْم الريق الابلال
صفوة عقيل هو اسطاها وأفرسها		وخْيارها همّةٍ في كسب الانفال
وبالشدايد هو أزكاها وأكرمها		بالنفس والأب والعمّان والخال

هو خرش الأشبال يوم الحرب مشتعل في ناظره شبّ مثل القدح بالحال
أمسى مجيع ووجه الأفق منطمس مزنٍ من الغيث فيه الرعد زلزال
وبالليل قد بات فيه الطل يلفحه جنحٍ من الليل وهو بْماكرٍ عالي
يفرّ شروى لديغ السم مرتعش يتنى سنا الصبح عنه الليل ينجال
وإلى انقشع جمع جيش الليل منجرد واقْفت نجومه لصوب الغرب حوال
والليل قفّى ونور الشمس شارقة من فوق الأطلال وافا في ربى عالي
أبصر بروق بعضها يتّلى بعض كما ضيا البيض لمعه فيه الآجال
فسار حتى اختفى عنهن ثم ثنى تقول سهمٍ رْمِي من كف نبال
على دعاثيرها بالخد دارجة ودمّى المخالب ولا يبقى لها تالي
هو مثل أبا الطيب حاظي كل هيزعة والخيل تلتمّ بالهيجا وتنجال
زين الفعال ومرجام الكفاح وهو للضيف ريفٍ إن كان القرى غالي
دامت تحاظيه طول العمر أربعة عزّ ونصر وتوفيق وإقبال
ومحاظي كل ما عاداه أربعة قلٍّ وذلٍّ وتعذيبٍ وإذلال
وبعد هذا صلاة الله ما طلعت شمسٍ على المصطفى خير الورى الغالي
وأعداد ما قلت هذا القول مبتدي أنا أتكالي على ذو القوة الوالي(١)

هذه قصيدة للشاعر عامر السمين في مدح أحد الأمراء الجبريين. لم يصرح باسمه ولكنه يصفه في البيت (٢٠) (بتاج الملوك وابن السادة النجبا) وفي البيت (٢٢) (أنه موضى سنا عامر) وهذا يعني أنه أحد حكام الجبور

(١) الحاتم، خيار ما يلتقط من شعر النبط، دمشق، ١٩٥٢م، ج١، ص٦١-٦٣؛ الصويان المرجع السابق، ص٣٢٨.

والشاعر يقدم له نصائح في السياسة. ويذكر الشاعر في الأبيات (١٥-١٩) أنه وصل إلى الممدوح عن طريق البحر وأن هذا الممدوح قد أخذ هذا البلد عنوة، بعد أن قهر قلاعها المنيعة وانتصر على أهلها وملكها.

وقد رجحنا أن هذه القصيدة قيلت في مدح الأمير حسين بن سيف بن زامل بن أجود الذي هجم على قلعة البحرين وأباد حاميتها البرتغالية وشنق قائدهم على نخلة سنة ٩٢٧هـ/ ١٥٢١م بعد أربعة أشهر من استشهاد السلطان مقرن بن زامل[١]. وجاءه الشاعر مهنئاً بهذه المناسبة. والقصيدة من البحر البسيط.

نيل العلا بالتقاك الهول والنصبا	وعن مصاحبة العزم الحشوم أبا
العز يا سائلي عن أصل منتجه	بين السيوف وأطراف الرماح ربا
فمن أراد ارتقا العليا ولى تعب	فليمتطي كل أمرٍ هايلٍ نصبا
من دوس ملحمة أو بذل مكرمة	أو ضرب ذي شطبٍ من روس ذي طنبا
فاعزم على طلب العلياء مجتهداً	فلا يلام الفتى إن فاته الطلبا
إن نال طالبها غالي مطالبها	وإلا فهو بالمعالي غلب أو غلبا
واصطدم صعاب صروف الدهر معتزم	وابذل بها عضبا تبدي لك العجبا
وابعث من الحلم رأي العزم مفتكر	يعطيك قبل حلول الحادثات نبا
فإن الذي ما يدير الحلم في سعد	من قبل ورده مضايق طارد النوبا
توريه الأيام ما لا كان مُحتسبا	وأصعب الأمر ما لو كان مُحْتَسَبا
نجّم فكم عزم رايٍ فَكّ معضلة	وصار منه لنيل معزّةٍ سببا
وارض واغضب في كل الأمور ورف	بالملك واقطع وصل وارفع وضع رتبا
كن واعياً ما مضى لفظ المقال به	من در بحرٍ غزيرٍ صافي الغببا

---

(١) الملّا، عبد الرحمن، تاريخ هجر، ج٢، ص٢٠٦-٢٠٧.

ومع أخا ثقة بالحلم معترف ... كم قد أتى عرباً بالعلم من عربا
وهو على من بنات اليم ساجية ... سيارة ما بها خدوٍ ولا خببا
ما بين عرشتها العليا وفرشتها ... معالجٌ من بطون المنشآت ربا
ولو رمى قدمها بالبلد مالتفتت ... أعيان راعيه إلا قد لها عقبا
يحدا بها طاعة اليمنى وميسرة ... إلى نوى النوخذا مصراعها جذبا
كعرش بلقيس لما جاه مختطف ... إلى سليمان ساعٍ من رسوم سبا
إلى الملاذ عن أحداث الزمان إلى ... تاج الملوك وابن السادة النجبا
إلى الذي لم تكن تحصى فضائله ... ولم يكدّر بمن الجود ما وهبا
موضي سنا عامرٍ قيدوم محفلها ... وِمْقيت معسرها إن وقتها كهبا
يوميه يوم صخاً أو يوم هيزعة ... تغدي عصا لام من يلقى لها شعبا
سفكت بين سحاب الدم فانسكبت ... لاطلال نبت غيث زهره الذهبا
بكل مرجفة دهيا مزلزلة ... تجري بذي حسب من روس ذو عربا
توضي بوارقها ورواق طارقها ... ومظلمٌ من دياجي غبوبها كهبا
كصيّب من غمام السحب مرتكب ... يفيض منه إلى بلغ السما لهبا
غدت بهم كنجوم الخسف هاوية ... غدى شلايا شغايا شملهم شعبا
ظنوا بأن قلاع الصخر تمنعهم ... هيهات هل شملهم ينجي لهم هربا
أودعت هاماتهم شروى منابرهم ... وأسياف عزّك في أوداجهم خطبا
وبعد ما جاك نصر الله مفتتح ... ضحك الزمان بثغر العز واعتجبا
ثم الصلاة على المختار سيدنا ... عْداد ما بان قرن الشمس أو غربا(١)

(١) الدخيل، المصدر السابقة، ص ٢٥٦-٢٥٧؛ الصويان، المرجع السابق، ص٣٤١-٣٤٢.

١٤

هذه قصيدة للشاعر عامر السمين يمدح الأمير قطن بن سيف الجبري. ونرجح أنه أخ للأمير حسين بن سيف بن زامل بن أجود- السابق الذكر - وفي الأبيات السبعة الأولى من القصيدة يحث الشاعر ممدوحه على قوة العزيمة في مواجهة خصومه والمجازفة لاسترجاع ملكه المسلوب. ويبدو أن هذه القصيدة قيلت بعد وفاة أخيه حسين الذي كان أميراً على البحرين وعمان قبل وفاته مقتولاً على الأرجح عام ٩٢٩هـ/ ١٥٢٣م. واسترجاع البرتغالين والهرموزيين لكل من البحرين وصحار من الجبور. والقصيدة من بحر الرجز.

قم قام ناعي من يقيم على الغما	واعزم على صعب الأمور فربما
أمرٍ تخاف لقاه تمّ خلاف ما	تعزم عليه من المصاوب تسلما
واعزم فكم عزمٍ بقوّة هاجس	يازي لباب خلاف ملكٍ سلّما
كم قد وقى الله الحتوف مجازف	سل الحراب، وعطب من لا يزحما
حملت يد الأقدار رجال ولو صفا	وبكل ما لا أنت محتسبٍ طمى
يا أيّها المختول بالناس إن ذا	احذر يغرّك صفو برّاق الحمى
ما تعتبر باللال يطمي طايش	كالبحر حين طما وهو عين الظما
يا قاطعٍ مد المودّه بالجفا	حبل الوصال ومن قسى وعسى وما
لى طو برّ الان تيقّن أنها	عند عزيز غالي فتعدما
ما كان ذا يجري بحبٍّ مغرم	بهواك مشغوف الفؤاد متيّما
سلسلتني بهواك ثم سليتني	ومن الجفاسه هجر من لا أجرما
أثرك تذكّر باللقا ما قلت لي	إن كان قد أنكرت فالله يعلما
قد قلت إنك عندي انفق من مشى	من فوق وجه الأرض أو تحت السما

وسمحت لي بمعاجبٍ وملاعب وشفيت غلٍّ بالفؤاد من اللما

وايشٍ حدا مما بدا وايشٍ جرى فيما مضى أنظر لحالك أيما

إن كان ذا الإجناف منك تغلي وتقول ذا يُبدي لما عني كمى

فاعلم بأنك نافق ويردني لك ذكر ما يوم الوصال تقدّما

و تراك عن باقي وصالي نافه وترى هواك عاد عليّ محرّما

فإلى بكنّ من الفراق نواظري جزع عليك فعام فيهنّ العما

عوّدت نفسي كربها من قسا وصدودها عن من عليّ توحما

يا ناق لي بعض الأخلا ما وفا واختال برقٍ خُلّبيٍّ صرّما

أقصد بنا قطن بن سيف ناشر ثوب المديح فربما انك تغنما

ورث المروّة من أبيه وجده حاش المعالي فارعٍ ومعمّما

راعى العطايا المغنيات ومن إلى شربت شبا شوك الرماح من الرما

كم من فقير صار باب غناته وعقاب خيلٍ قيل من عنها حمى

قيسي خيار عقيل جملا كلهم العامري من قيس أوفى مقسما

وإلى تفاخرت الأصول بعامر فخيارها وأعزها المتقدّما

وإلى المقدّم أصلهم آل المضا وإلى المضا من قيس أوفى مقسما

وإليك يا قطن بن سيف تتابعت أهل المكارم أكرماً من أكرما

ما أرّثوك إلا فعلت أفعالهم بجزيل مدٍّ من عطاك فأيما

قد قيل إنك كابرٍ عن كابرٍ فأسعد وحش وابجح بخير واسلما

وخيار مقصود الحديث قليله وعلى النبي صلى الإله وسلما[1]

---

(١) الصويان، المرجع السابق، ص٣٢٦.

١٥

قصيدة للشاعر الكليف (الجليف) في مدح مقرن بن قضيب بن زامل بن هلال الجبري. وقد سبق واستشهدنا بأبيات منها لإثبات أنها قيلت في مدح مقرن بن قضيب، وليس مقرن بن زامل بن أجود. وكذلك أثبتنا : أن مقرن بن قضيب تمكن من استعادة مدينة القطيف من أيدي البرتغاليين، وحكمها في الدور الثاني لحكم الجبور.

وفيها يقدم الشاعر النصح لممدوحه في كيفية سياسة الرعية، والحفاظ على الملك. والقصيدة طويلة وهي من بحر الرجز.

زهت الديار بحسنها وجمالها	واستبشرت بالعزّ روس رجالها
وبها القلوبُ قد اطمأنت بعدما	كثرت وشاة السوّ في نزّالها
والغيث جاد به الحقوق وجرّرت	فيها مباكير السحاب اذيالها
ورست بأمر الله بعد تزلزلِ	طابت معيشتها وزان ظلالها
وأجرى بها الحق المقيم اقلامه	والجود حل بها وزال علالها
وتجاوبن حلو القريض خرايد	بديارهم وأهل الديار جمالها
يزهن طرد التشبب للفتى	شروى اجتوال الريم عند جفالها
والحمد للمولى على إحسانه	على جميع وهايبه وافضالها
ولي إمام في الديار وقد طمى	بالعلم بحر من بحور ظلالها
بالعدل وإصلاح العشيرة بعدما	كثرت وشاة السو بين رجالها
وتزيّنت للغير فيها وأثمرت	بنوايع شاق الفؤاد احمالها
بأمر من المولى وْوَفْقِ طيّب	للدار من عقب اختلاف خلالها
بمرابع فيها الملا كم تقتدي	ما طاوع أشرار الملا وأنذالها
إلى غريريّ من أولاد المضا	راعي عطايا ما يِمِنّ جْزالها

شيخ العشيرة مقرنٍ زاكي الوفا حمّال من جِلّ الخطوب ثقالها

قد شاف بالأعمام ما لا يرتضى بالدار واقفي زاهد بأعمالها

متسلّل عن ديرته وأصحابه خوف القطيعة بالصديق وقالها

حتى بقى الطرّاش يتعب بينهم يسعى ويشكي ما جرى في حالها

ويقال يا ستر العشيرة قد بقى قطع بأيدي الظالمين وصالها

فأجاب كالحر القطامي جارد من شوفته زِريقةٍ يدعى لها

حوّل محل الملك وانقادت له أهل الشروق وغربها وشمالها

بالسيف حل الدار كرهٍ والقنا وبنى بيوت المجد فوق حلالها

قاسي الملا وافي الحروب فكم وكم لحقت به أصحاب الأمل آمالها

قد نال من مال الكرام فضالها خوف القضا بأرواحها وأموالها

والمال مطروح على وجه الوطا ذهبٍ وحيوانٍ مَعَ دلالها

وطرايف الشهوات في سوق المنى ما تترك إلا خوفةٍ من حالها

من حكم ملكٍ عادلٍ في حكمه وفيه القشر لمن مشى بأدغالها

وإن طاح في دار العدا غمق السرا غرّا يشوق الناظرين خيالها

هرفي ووسميٍّ بشهرٍ كامل نو السعود موافق هطّالها

وبقى نبات الأرض يزهي ربعها وغطى النبات حزومها وأطلالها

إلى نشا فوق الحزوم مطارق يهتز نوّار البها ميّالها

وأمست به الفرقان شتّى همّل عامين ما يطوى نشير أموالها

واقفن عن سلفان قيس مخافة فيها الوحوش رواغدٍ همّالها

فالي ذوى زاهيه واطّرد السفا وأوما على روس الروابي لالها

ولعى على الما كل هيما خرعب يجيبها عند الحنين طفالها

ويجن من روس الفلاة ورّد في لهفة يشفي الضمير زلالها

شرقيها الدهنا ومن غربيها حدٌّ يحدّه شامخات جبالها
وازينها والحي فيها قاطن وسوامها ملتمّة بظلالها
هذا ولي عينٍ إلى طاب الكرى وعيالها فيما عصت عذّالها
والعين مني قد جرت عبراتها ونعت زمانٍ بالسعود مضى لها
وتذكّرَت عصر الشباب وما جرى بمشاهدٍ ومنازلٍ طوبى لها
والدار جامعة لحيي والنيا ما فرّق اللاما وجذّ حبالها
وأقول والقلب المشيح مكلّف والنفس شاقيةٍ بما يعنى لها
يا بو مبارك لا بليت بسيّه يا ستر بيضٍ قد ذهلن دلالها
يا منوة الخِطار وان طرقَت بهم قودٍ من البيدا تحطّ رحالها
يا زبن تال المرهبين إلى جذت بالبيض من رهق الخصيم جمالها
في يوم هيزعةٍ وقد بحث الكدى وجذت رجال الحرب دون أقوالها
وقامت جياد الخيل تحجز بينهم روس القنا وتناطحت بابطالها
جوادِ عيّاف الدنايا مقرن كرهٍ يقاضي والقتام جلالها
بمتّوجٍ يا طول ما لحقت به والعز والنوماس في غربالها
متقلدٍ صافي الحديده صارم شرثٍ إلى ناش الضريبة شالها
ومن القنا ثلث أربعين براسه كالنجم يوضي بالظلام شعالها
ومضافرٍ كالفهد وزن براسه يشلق بذاك اليوم فيه رجالها
بيمنى غريريٍّ من أولاد المضا مرخص دبيل الروح عند قتالها
ما تلحق السفها قصايا سده يومٍ ولا كل الرجال تنالها
فإن كنت ذو حلمٍ وعقلٍ كامل وطبيعةٍ تزهى بحسن جمالها
فارتد لحكمك من حكومة غيرك نورٍ على نورٍ يصير أزكى لها
والفكر بالقالات قبل ورودها باب النجاة إلى عطت باقبالها

فالراي قبل الفعل أقدى للذي — يجزى صدور الرأي عند إقبالها
والمهلكات إعجاب أمر برايه — ودخوله القالات ما يعبا لها
فإن الغمايظ بالقلوب محلّها — والنفس ما تومَن على قتّالها
قلته وأنا اللي شايف من قبل ذا — أشيا يكافي قصرها وطوالها
يا ما شفا غل القلوب من أبلج — يمشي على الدولات لاستزيالها
ومجامل بأفواهه إن وهبت له — يوم دنا وادنات شيٍّ نالها
وابعد عدوك عن محلٍّ نلته — فالنفس لابد البلا يغتالها
واحذر عدوك لو تسيّد عندك — لو قال هاك من الوعود ثقالها
واحذر عن أرماث العهود فإنها — دَرَك النفوس إلى دنت آجالها
واحذر عدوك لو صفا لك وجهه — حدَّه برجوى حيلةٍ يحتالها
يعطيك بالراحات أقوالٍ وسي — شروى سرابٍ طافحٍ في لالها
وبشاشةٍ بالوجه مثل ركيّه — برّاقة بالما هيارٍ جالها
من دون ماها جاري ومزلّه — ما يامن القلب الذهين سلالها
فإلى زُلِقَت رجلك وحل بها القضا — فادر أن الأخرى حالها من حالها
واعرف بأن الطير سعده ريشه — وإن قِص ماله حيلةٍ يحتالها
وإن قصّت اليمنى الشمال تحسّفت — وتندّمت يمنىً تقص شمالها
ومن لا ينال معزةٍ برفيقه — نال المذلة دِقها وجلالها
فإن كان تبغي ملك هجرٍ صادق — فاضرب بحد السيف روس رجالها
واجعل قديمي في محل مقدّم — وأهل الشروقات استعن بأموالها
فإن الممالك ما تجيك براحة — إلا بشيّ تاعبٍ محتالها
وإن ارجفت دارك وحل خذولها — وكثرت وشاة السو في نزّالها
ما تركد إلا عقب ضرب جماجم — بالسيف وأيمان هفت لوصالها

وقطايع وقلايع ووقايع   وصرايع وصنايع تبرى لها
وصدايم وصرايم وعظايم   وغرايم وعزايم تعبا لها
وإلى بليت وعدت يومٍ خايف   من ميله الدولات عقب عدالها
اجعل مع حرف الشريعة مثله   حرفٍ من الباطل يصير أزكى لها
الحق في كتب النبي محمد   والسيف عن عيلاتها يبرى لها
لا تحسب أن الخط في قرطاسه   يجري مداد الحبر فوق صقالها
يهدي القلوب العايلات عن العيا   إلا أن يحل السيف في جهّالها
فإلى أيتفى حقٍّ وسيفٍ صارم   هدت العصاة وطاوعت عذالها
ويتم حق المسلمين دروبه   قرعٍ يدلّ عن العيا عيالها
كذا السفينة ما يزين مسيرها   إلا بشد شراعها وحبالها
ولا يِسْنِد العِيّال عن وهماتها   إلا القضا بأرواحها وأموالها
والدار شروى زينةٍ معشوقة   كل البرايا مشتهين وصالها
فإن حازها بعلٍ غيورٍ حفظها   في موضعٍ ما رامها من نالها
وإن عدمت البعل الغيور تلطمت   بعد الجمال الزين بأزرى حالها
وإلى وليت فكن حفيٍّ ريّف   فالنفس لا بد الإله يسالها
واحذر محاسبة الإله بموضعٍ   فيه النفوس رهاين بأعمالها
اعدل وخف ملكٍ عليك عقوبةٍ   وانظر قداة السو كيف جرى لها
خذ من علومي درةٍ مصيونه   لي كرّروها الناس صار أزكى لها
تمّت ولا من واعي يسمع لها   إلا شقى في نظمها وعدالها
مدحٍ وتشريفٍ وبذل نصيحةٍ   ما تختفي عند الرواة أمثالها
جت من فؤاد ناصحٍ بمحبةٍ   ما هو بمحتاج يريد نوالها
إلا هديّة عارفٍ ومعوّل   لأهل الديار ورايفٍ في حالها

وأنا بحالات الصديق مساعف   إن شحّت أولاد العمام بمالها
ما نيب من يعطي رفيقه قافي   إن صكّته دنياه عقب إقبالها
إلا أقاضي في قفاه ووجهه   قرع بشارات الندى وأرعى لها[1]

١٦

هذا الشاعر اسمه موافق يمدح الأمير قطن بن قطن بن علي بن هلال الجبري ويكنيه بأبي (منيف). وقد جفاه الإمام ناصر بن مرشد اليعربي وأخذ أملاكه في عُمان. فأخذ يغزو عُمان حتى ألجأ باديتها إلى المدن هرباً من سطوته. فاضطر الإمام إلى مهادنته واسترضائه بالمال. والقصيدة من البحر البسيط:

بأن الخليل ونهوى عن القمن   ومنه حبٌ بلاج القلب قد مكن
وفْراق من نهتويه أن بات منتزح   عنا بعيد النيا محنٌ من المحن
ما ناح نايحه أو راح رايحه   إلا بقى القلب يسحنه الهوى سحن
ولا ذكرت ليالينا التي سلفت   إلا بقى الجسم مني ناحل البدن
ولا طرى ولا سرى طيفٌ يذّكرني   لياليا قد مضت في سالف الزمن
ولا تجاوب قمريٌّ مفاجيه   ضيم الزمان ومفجوعٌ على شجن
ولا حدى حاديٌّ إلا وقلت له   يا حادي العيس بالله عليك عن
حتى تتابع الأجفان منتثر   دمعٌ يقادي جمانٍ خانه القرن
يجي بغير اختياري لا أرد له   ترعٌ قد أحرق حامي فيضه الوجن
من صاحبٍ نازحٍ خال الوصال قصى   عني قد اختلفت في هجره الظنن

---

(١) الحاتم، المرجع السابق، ج١، ص٥٥-٥٩؛
الصويان، المرجع السابق، ص ٢٩٤-٢٩٨.

والله يدري بحالي لو كتمتها	عن الوشاة مداراةً عن الفتن
خضعت راسي لها كرهاً عليّ كما	تخضع رقاب العدا لقطن بن قطن
ركنٌ سنادٌ على الشدات مدخر	إذا علىّ زمان النابيات عن
ومنه قد نلت نيلاً من حماه ومن	لي فيه ظنّ على الشدّات أوي ظن
ومن عطاني عطايا من وهابيه	دَعَنّ عني عصاف النايبات عن
ليته يرى أو درى باللي بُليت به	من الوشاة ومن فقد الأليف حن
عرج على التالي عسى ردته	يثني على طايح بالأرض مرتهن
من فوق عبل الشوا سلم معربّها	أوراد حوض وطيس الضرب والطعن
وشيحفٌ آفةٌ زرقا مطرّقة	مسقيةٌ من شبا المرّاد ربع من
وطاسةٌ ناصحٌ صلدٌ مذكّرةٌ	وأبو منيفٍ منى ضيف الشتا قطن
نهّاب وهّاب ما تملك أنامله	محمود معروف لي أنوى هيبة الوطن
إلا وراعي عطايات تأملها	يوم ولو هزل من جزلها بمن
إليك أشكي أموراً قد بليت بها	والسد ينتشر على الخلان ما يكن
الحال تنبيك عن رد السؤال ولا	يغبي على العارف العنوان واللحن
ثم الصلاة على المختار سيدنا	ما لاح برقٌ وماداج الظلام وجن[1]

هذه القصيدة يمدح بها الشاعر محمد العليمي الأمير قطن بن قطن بن قطن الجبري بالشجاعة والكرم. ويصف مهابته في أعين المتخاصمين أمامه فلا يستطيع أحد منهم أن يقتص من غريمه بحضوره وفي مجلسه. والقصيدة من البحر الوافر.

(١) الدخيل، المرجع السابق، ص٢٩١-٢٩٢؛ الصويان، المرجع السابق، ص ٣٤٩.

ألا يا أيها المترحلينا ... على أكوار النضا يا راشدينا
على هجنٍ هجاهج هجافٍ ... كما وصف القياس إلى حنينا
مشاويحٍ مراويحٍ صلابٍ ... على قطع التنايف والقرينا
عُجالي وأوقفا لي فإن حالي ... براها الهم والعسر المبينا
عسى يا خلتي ننال خير ... على أكوار النضا يوم اعتلينا
إذا سرنا يوافقنا السعود ... وفال الرشد فال السامعينا
كما أحرارٍ من الأوكار طارت ... تفوج الجو حينٍ بعد حينا
يْقطِّعْن الفجوج معوّدات ... وفي ذا عبرةٍ للعارفينا
وضربك موج لج البحر أشوى ... من الحاجات لادنا الأقربينا
وأشوى من قعودي بالهوان ... وشوف الحيف يأتي من قرينا
فلا مثلي يقيم بربع دار ... على ذلٍّ وهو ثقةٍ ذهينا
يشوف الهنقمة بين الرجال ... خسيس القدر مسفوه مهينا
مع ناسٍ كما رجلٍ غريب ... لملفوظي وقولي سافهينا
إلى جادلتهم لجّوا جميع ... ولالي بالجماعة من يعينا
وكم من سفلةٍ يلوي لسانه ... يتهزّا بي وذا أمرٍ بطينا
فلالي في ملايمهم صلاح ... إلى عادوا بحالي زاهدينا
أبيع أوطانهم بيعة قلاط ... وأهجرهم على طول السنينا
ولافي خاطري رقٍ ولينٍ ... لملايمهم زمان وكل حينا
إلين أرد من عسري ليسري ... إنشاء الله رب العالمينا
عسى يرونني في حال خيرٍ ... بمد أفضال من جوده عنينا
وافرّح كل من هو لي صديق ... واغمّ قلوب من لي حاسدينا
ترى الكفّين لو خلين يوم ... فهن اليوم الآخر يمتلينا

وكم صادمت في برٍّ وبحر   مخافه من شمات الشامتينا

بعزمٍ في ضحى حامي الهجير   على الأنضا ومرّ بالسفينا

عسى من غيبتي مفتاح خير   وعمر العبد له حتنٍ وحينا

فليس يموت أبو عشرٍ بخمس   وهذا عند كل العارفينا

ثلاث خصال بي حرصٍ عليهن   إلى عدّ الرجال بهن أبينا

إكرام الضيف في عسر الليالي   وضرب بالسيوف إلى بلينا

فلا يومٍ تضعضع لي مقام   ولا أوري العدا رقٍّ ولينا

إلى دارت رحى قومٍ علينا   صبرنا له وقلنا يامعينا

وإلى دارت على قومٍ رحانا   طحنّاهم ودقّقْنا الطحينا

وكل رجال بأسماهم رجال   ولا هم بالمراجل متّسينا

ترى فيهم رجال وفيهم أنذال   وترى خيار الرجال المستحينا

ولا مدح الرجال بكثر مال   ولا تذمّهم من قل شيينا

وراع المال محشوم مطاع   وكذبه عندهم ما هوب شينا

هفت لاجواد في هذا الزمان   والأنذال الهفايا معتلينا

وصار المال عند أوباش قوم   نجوس ما بهم دنيا ودينا

وكل مرابيٍ ما فيه خير   كثير الهذر حلافٍ مهينا

نطول خطول من بعيد   إلى ما عاد له مطلوب دينا

على الله اعتمادي واتكالي   مجيبٍ مطلب المتوكلينا

عزمت وشمت والله لي عوين   فيا سعد الذي هو له عوينا

ركبت مطيتي ثم التفت   إلى أن عشيرتي تمشي الهوينا

تباريني كما بدرٍ منيرٍ   سبت قلبي بعرنين وعينا

تزج الدمع من عينين نجل   فقلت أضفي الغطا ولا تفضحينا

فقالت يالعليمي لا تلمني ... ترى قلبي من الفرقا حزينا
فقالت آه من فقد الوليف ... فلا بدّه يعاود للحنينا
فقلت أني لكم جمّاع خير ... أجيكم بالغنايم سالمينا
فقالت يا فدى روحي ومالي ... متى أرجي زولك الغالي يجينا
فقلت اجي براي الله سريع ... قريبٍ لا تباطين السنينا
فقالت لي بتيسير الإله ... فهو ربي أمان الخايفينا
وودّعتك إله ما يخون ... وداعة عين راعية الجنينا
عسى ياقاك شر الحادثات ... إله الناس محيي الميتينا
وقالت سر تراك وداعة الله ... لعلك تنثني والحال زينا
فقلت عوايد الله الجميلة ... فياما قد تغرّبنا وجينا
من العارض إلى وادي عمان ... على قودٍ مواطيها حفينا
وقالت يالعليمي من نويت ... بنشر الحمد بين العالمينا
فقلت أني نويت ابن الكرام ... ولولا فضل جوده ما عنينا
قطن هو معدن الجود بن قطن ... حجا الجاني وريف الممحلينا
لجا الوفّاد من شرقٍ وغرب ... ابن جبر عناة الوافدينا
صخيّ الكف شغموم كريم ... بشوش الوجه وجهه ما يشينا
أقل عطاه بزٍّ من حزوف ... ونقد ألوف من حمر تجينا
نقود آلاف ما يحصى عداده ... قياسٍ في عقول الذاهنينا
صخى بالجيش والخيل والأصايل ... جمارٍ من غياها جاذبينا
وهذا أطرف عطايا بو منيف ... مجوّز علثة المعتلّثيا
وكل من هو وفد يثني عليه ... إلى جو يم أهلهم غانمينا
لكن مضيفته موسم بلاد ... بها بدوٍ وحضرٍ قاطنينا

وكـلٍّ شـاكـي حـالـه إلـى جـا   يـلـوذ بـضـف زبـن الـخـايـفـيـنـا
يـجـون بـمـجـلـسـه لـمّـا جـمـيـع   وكـلٍّ فـي ضـمـيـره غـيـن شـيـنـا
أهـل دعـوى وأهـل طـلاب ثـار   وأهل دينٍ وأهل طعن وطعـينـا
ولا يِعْوِج خصيم إلى خصيمه   مـخـافـة مـن مـلاذ الـلايـذيـنـا
نـلـوذ ونـلـتـجـي بـه مـن هـمـوم   بـنـكـبـات الـزمـان إلـى بـلـيـنـا
كـمـا تـلـجـي وعـولٍ فـي طـويـق   مـخـافـة مـن وراهـا الـذاعـريـنـا
وإلى أمحل ذا الزمان فله جفان   على الضيفان تِنْقَل كل حينا
غـريـريّ قـطـامـيّ شـجـاع   ذرى الفرسان من ضرب السنينا
خيال الموت أشوى من خياله   إلـى مـا لـدّ عـيـنـه لـلـقـريـنـا
نـهـار الـكـون طـعّـان شـجـاع   ومن رمحه غدى كم من طعينا
هـشـيـم الـقـوم فـي دربـه رجـوم   تُـرى بـالـقـاع صـرعـى جـاثـمـيـنـا
وصـلـى الله عـلـى سـيـد قـريـش   نـبـي الـحـق أزكـى الـعـالـمـيـنـا(١)

١٨

هذه قصيدة للشاعر محمد العليمي في مدح الأمير قطن بن قطن بن قطن الجبري والشاعر يذكر أن ممدوحه يسكن في عُمان وقد قدم إليه من نجد. وقد وصفه بأنه يهب الخيول ونجائب الإبل والذهب الأحمر وأحمال التمر إلى قاصديه. والقصيدة من البحر البسيط:

يا زايرن في عُمانٍ قبل ينجال   جنح الدجى والملا بالنوم ذهّال
يا طول خطوتك من نجدٍ إلى مَنَحِ   ومن دونك البيد قفرٍ صحصحٍ خالي
أنا بوادي عمانٍ عنك منتزحٍ   وأنت بِوادي حنيفة عالي الأوشال

(١) الصويان، المرجع السابق، ص٣٥٦-٣٥٩.

أهلا هلا مرحبا بالطارش الهاشل في تالي الليل عندي نافقٍ غالي

حيّه ولا تجعله أتلى مواصله وأن تجعله أول ما يبزي التالي

أهلا بمن صابني بالبعد والنيا له بالضماير مقرٍّ فيه نزّال

يا مايث العطر يا غض الشباب ويا حوريّ الألحاظ ياجرار الأذيال

وراي انشّد طروشك عنك محتفي والا أنت من جاك ما سايلت عن حالي

قال أقبل العذر مني ولا تكذّبني ولا تطع يالعليمي فيّ الأقوال

والله ما زلّ يومٍ ما ذكرتك به في طول غيبتك أنا أنشد عنك واسال

مفجوع ماجوع جسمي منك منتحل وفي ضميري على فرقاك ولوال

يا نور عيني ويا سيدي وسندي ويا هواي إن جرح الحب قتّال

تلّيت عرفه وزندي فوق منكبه وشربت من فاه علٍّ عقب الأنهال

من سلسبيل كما ثلجٍ مخالطه شهد النحل ديث في مربوب الأطسال

وأصبحت كني ملكت الهند مع حلب مع مصر والشام وما يخزن من المال

يا لايمين العليمي في مودّته ما أظن فيكم ورب البيت عِقّال

لو تنظره نظرتي ما كان تعذلني وتشهد بقول العليمي والذي قال

مجمول مدلول كاللولو ضواحكه معزول مهزول خصره طيّب الفال

حيّال ميّال قتّال بنظرته ما عاضني فيه من أجناسه ابدال

الله يسقي ديارٍ حل جانبها من مدلهمٍّ طوال الليل هطّال

جرّاف ذرّاف مرتكبٍ سحائبه تلجب رعوده وبرقه يشعل اشعال

لكن بعياز مزنه يوم تنظره سفنٍ من الهند جاه الموج من عالي

تشوف نسف الغثا على جوانبه سفّاح طفّاح شال هشيمه البالي

يسقي الدجاني إلى بركٍ إلى ملَحٍ إلى سنامٍ إلى معمورة الجال

من عقب خمسين وشي الزهر مختلف يشادي لزل الزوالي عند دلال

تعني إليه ركاب الممحلين كما يعني   إلى قطن المضيوم والجالي
قطن بن قطن بن النخي قطن   ولد هلالٍ عريب الجد والخال
شيخ عطاياه جرد الخيل ملبسة   وكل اجرد عطعيطٍ وصهّال
والحمر والتمر صفطٍ من وهايبه   وهجاهج الهجن منسوبات الآصال
خوّاض جمع العدا في كل هيزعة   خرسٍ تجاول بها فرسان الأبطال
والبيض فيها كشمس الصبح شارقة   يَنْخَن فوق الجِنِيْ في حسّها العالي
ينخن سور الظعن أبو منيف قطن   والموت يمشي معه قصّاف الآجال
عسى يباريه في دنياه أربعة   عزٍّ ونصرٍ وتوفيقٍ وإقبال
وملازمٍ كل من عاداه أربعة   غلٍّ وذلٍّ وخذلانٍ مع اقلال
حيثه حبيبٍ لبيبٍ ما وطا زله   ريف المقاوي إلى من جوه هِشّال
ثم الصلاة على المختار سيدنا   ما طاف بالبيت من حرمه ورجال
والآل والصحب ما زار الحبيب وقلت   يا زايرن في عُمانٍ قبل ينجال[1]

١٩

قصيدة قالها الأمير الشاعر علي بن هلال بن زامل الجبري وألغز فيها لصديقه ابن بسام النجدي الذي كنّاه (بأبي محمد). قال[2]:

يا أبا محمد لا فتجاك مصيبة   طول الزمان وفي غد لاريت شر
ونزلت في الفردوس أعلى منزل   وأعطاك مولاك الغنيمة والظفر

(١) الحاتم، المرجع السابق، ج١، ص٣٧-٣٨؛
الصويان، المرجع السابق، ص٣٥٣-٣٥٤.
الحافي، سعد: العليمي شاعر القرن العاشر، مدح قطن بن قطن فساعده في استرداد زوجته، جريدة الرياض، العدد ١٤٩٠٨ في ٢٢/٤/١٤٣٠هـ/١٨/٤/٢٠٠٩م.
(٢) المخطوطة: انظر ملحق رقم (٧) ص٢٧١.

يا من جميل في الشباب فعاله	عصر الصبا وخلاف ما أبيض الشعر
ومنزه عن كل عيب عرضه	وعلى جميع الناس بالعلم افتخر
أسألك عن أنثى تعشر مالها	ذكر يجيها وأصل ما تلد الذكر
فأنت الذي تعرف لها من خلقه	وإلا تكن كود على كل البشر
وخلاف ذا سلطان خلق لم	يكن يحصيه إلا خالقه وبذا عبر
ان حبس ما ينجيه إلا حبسه	للعارفين وفي مواذين القدر
والي يحبسه فمنه دوم خايف	عليه منه يابن بسام الخطر

ملحوظة:

لقد أورد كل من الدخيل والحاتم[1] قصيدة مطولة مشحونة بالألغاز مرسلة من الأمير قطن بن قطن الجبري حفيد علي بن هلال الجبري إلى ابن بسام وهي على نفس الوزن والقافية. وبعض الأبيات مكررة في القصيدتين. ولذا أرجح أنهما قصيدة واحدة، وأن قائلها هو علي ابن هلال وليس حفيده، لأنه يستبعد أن يكون ابن بسام معاصراً للرجل وحفيده. وإتماماً للفائدة فسوف نذكر القصيدتين مع رد ابن بسام عليهما.

٢٠

الشاعر الأمير قطن بن قطن الجبري نظم هذه القصيدة وشحنها بالألغاز وأرسلها إلى أبو محمد البسام في نجد وطلب منه حل ألغازها وهي من البحر الكامل:

يا أبو محمد لافجتك امصيبه	طول الزمان في رغد ما ريت شر
ويا من على كل البرايا بين	وعلى جميع الخلق بالعلم افتخر

---

(١) انظر: البحث عن أعراب نجد، ج١، ص٢٠٠-٢٠٢.

فضايله بين الملا مشهوره	عصر الصبا واخلاف ما ابيض الشعر
تبين لي طار طرالي ظاهر	عسر ولو ينشر على كل البشر
أنشدك عن انثى اتعشر مالها	ذكر يجيها واصل ما تلد الذكر
وأنثى لا تضنا ولا ينضنا بها	طول الزمان ولبسها ثوب حمر
وانشدك عن انثى وهي سيارة	دليلها من دربها طول الدهر
وانثى تسير بغبر أرض ولا سما	ومسيرها دب الدهر على الظهر
وانشدك عن انثى وهي شباحه	تأكل ولا تشرب وتنكح من وخر
وانثى وأربعة لها في حسبه	يا نعم من هي له تكون المتجر
وانشدك عن انثى حديد شوفها	تمشي وبيانتها ثلاث في سطر
وانشدك عن انثى توكل حلوة	في بطنها أنثى وفي الأنثى ذكر
وانشدك عن انثى تناكح زوجها	إلى اتعبت الأنثى فجد لقح الذكر
وأناثي لهن فضل نعم	في محكم التنزيل حلوات الثمر
وأناثي مختلفات أسماهن	سبع ويتبع كل وحده منهن ذكر
وانشدك عن سود حلال أكلهن	وأمثالهن بيض حرام للبشر
وانشدك عن شي طويل نافع	وللناس نفعه بين ما به غتر
هجره عن الضرب الكثير أيضره	ولو يضربونه جملة الناس اعتمر
وانشدك عن ذكر جليل نفعه	وخيار نفعه حين ينهل المطر
وانشدك عن اذكر بعمر قاصر	بالحد قطاع ومسمور القمر
وانشدك عن اذكرين باسم واحد	فارقهن الذكر الطويل المشتهر
وانشدك عن اذكر يدور على الملا	بالسمع يذكر ولا يعطي خبر
وانشدك عن رجلٍ تزوج أنثى	بكر قضا بعض الملا منها وطر
ما عندهم جان وإنس حضر	فزواجهم هذا يكون من العبر

وانشدك عن اذكر شديد باسه يمضي جهارٍ ولا عنده رد القدر
واخلافذا خمسةٍ أو ستة ناموا ونومتهم لزت على طول الدهر
واخلافذا اذكر يحب أوصاله لولاك تشكي في طبايعه العسر
واخلافذا اذكر منازله الفلا طبعه إلى ما ناموا النومى سمر
ثم الصلاة على النبي محمد ما بارق في مظلم الداجي سمر(١)

٢١

قيل إنه لما وصل رسول قطن إلى ابن بسام لم يلق إلا إبنه فظنه لأول وهلة انه هو المقصود بهذه القصيدة فسلمها إياه وأخذها الإبن وقرأها ثم جاوب عليها بيتاً بيتاً فسرّ الأب لذكاء ابنه النادر. ولذا تعجب الرسول أيضاً قال على نفس البحر والقافية:

يا راكب من عندنا منجوبة من ساس هجن كنها ظبي عفر
قودا هميم من بنات عشافر مأمونة ذا تو فاطرها فطر
سرها رعاك الله يوم كامل ثم اسقها تالي النهار امن الحفر
فإلى لفيت وجيت صوب قبيلة ترعا نبات الأرض مختلف الزهر
سلم عليهم إلى لفيت بظلهم من غايب منهم ومن هو قد حضر
واختص لي قطن بردّ التحية ذباح للخطار نابية الظهر
قل له لقاني من اقبالك صايب عسر ولا لي عن امقاضاته مفر
نشرتها للعالمين بمعرفة مطلقها الطلق الشديد من الوسر
مع ذا ولا يقبل لمن هو صادق عذر الفقير للعالمين لو اعتذر
تنشدني عن انثى تعشر مالها ذكر يجيها واصل ما تلد الذكر

---

(١) الحاتم، خيار ما يلتقط من شعر النبط، ج١، ص٤١-٤٢.

هذا عقاب الطير كله اناثي ولا تستحظ التساقي ذا الخبر
وأنثى لا تضنا ولا يضنا بها طول الزمان ولبسها ثوب حمر
هذيك هي أنثى على وقت الحيا حمرا وتسمى عندنا نبت المطر
وتنشدني عن أنثى وهي سيارة ودليلها مع دربها طول الدهر
ذيك العيون المبصرات بشوفها الشمس بالممشا يتاليها القمر
وأنثى تسير بغير أرض ولا سما ومسيرها دب الدهر على الظهر
هذيك في البحر العميق سفينة دليلها دايم مقره بالتفر
وتنشدني عن أنثى وهي شباحه تاكل ولا تشرب وتنكح من وخر
هذيك في كل الديار مقيمة وهي الرحى عند البوادي والحضر
وأنثى وأربعة لها في حسبه يا نعم من هي له تكون المتجر
هذيك الكعبة وذيك أركانها ركنين والركن اليماني والحجر
وتنشدني عن انثى حديد شوفها تمشي وبياتتها ثلاث في سطر
هذيك هي جوزا النجوم الحسبه يمشن طول الدهر زينات النظر
وتنشدني عن أنثى توكل حلوة في بطنها أنثى وفي الأنثى ذكر
هذيك عند أهل القرايا خوخة وهي أول الأشجار تفلق بالزهر
وتنشدني عن أنثى تناكح زوجها إلى اتعبت الأنثى فجد لقح الذكر
هذيك هي أنثى تخض أسقاها والزبدة البيضا إلى درت النظر
وأناثي لهن فضل يعم في محكم التنزيل حلوات الثمر
هذيك رمانة وذيك اغصونها والنخل فضّله الإله على الثمر
وأناثي مختلفة أسماهن سبعٍ ويتبع كل وحده منهن ذكر
هذيك ليالي الأسبوع كلها أناثي يتبعهن أبيض النهار وهو الذكر
وأيضاً ثلاثين حلال أكلهن وأمثالهن بيض حرام للبشر

هــذاك شــهــر فــيــه امــحــرم أكل النهار ويحل بالليل الفطر
وتنشدني عن شيء طويل نافع وللناس نفعه بين ما به غتر
هجره عن الضرب الكثير أيضره ولو يضربونه جملة الناس اعتمر
هــذاك الــدرب عــلــم وبــيــن وهو الدليل إلى الدليل قد ابتهر
وتنشدني عن ذكر جليل نفعه وأخبار نفعه حين ينهل المطر
هذاك مرزام السطوح حمايل ما ينفع إلا حين ينهل المطر
وتنشدني عن اذكر يسير امكلف وإن قطع رأسه في كلافته استمر
ذاك القلم يعباه كل امطوع لا تاجر يوم ولا يوم افتقر
وتنشدني عن ذكر بعمره قاصر بالحد قطاع ومسمور القعر
هذاك يوجد عند كل محسّن ألا وهو موس يحت به الشعر
وتنشدني عن اذكرين باسم واحد فارقهن الذكر الطويل المشتهر
ذوليك هم النسرين باسم واحد فارقهن الذكر الطويل وهو المجر
وتنشدني عن ذكر يدور على الملا يذكر بالسمع ولا يعطي خبر
هذاك كان إني فيهم عارف وإن كان لي ظن هذاك الدهر
وتنشدني عن رجل تزوج أنثى بكر قضى بعض الملا منها وطر
ما عندهم جان ولا إنس حضر فزواجهم هذا يكون من العبر
هذاك رسول الله تزوج زينب عقد لهم عند الإله بلا مهر
وتنشدني عن رجلٍ شديد بأسه يمضي جهار ولا عنده رد القدر
هذاك ملك الموت وشرب كاسه من طال عمره بالحياة ومن قصر
واخلاف ذا خمسة أو ستة ناموا ونومتهم لذت على طول الدهر
ذولاك أهل الكهف الذي يوصف بهم صبروا وحكم الله قريب لمن صبر
واخلاف ذا ذكر منازله الفلا طبعه إلى ما ناموا النومى سمر

هذاك يوم البر يصبح سامر واغناه تسبيح لخلاق البشر
وخلاف ذا ذكر يحب أوصاله لولاك تشكي في طبايعه العسر
هذاك الفهد الذي يقنص به للصيد لا تزعل عليه ولو كثر
وانشدك حيث أنك فهيم عارف عن وزن رطل لا حديد ولا حجر
يثقل الوف ما يعد احسابها إلّا ولي العرش خلاق البشر
فإن عجزت ولا عرفت اوصوفه فانشد علي حيث إن بذا عندي خبر
ثم الصلاة على النبي محمد ما لاح برق في السحاب واستمر[1]

٢٢

قصيدة الشاعر راشد الخلاوي في مدح الأمير منيع بن سالم بن زامل بن سيف بن أجود الجبري وهي تزيد على (١٥٠٠) بيت التزمت قافية بائية موحدة، ورويأ واحداً وهو البحر الطويل المعروف بالهلالي. وتكاد تكون هذه القصيدة مصدرنا الوحيد عن حكم الممدوح وزوال سلطته ويعترف فيها بأفضاله عليه، ويحثه على استعادة سلطانه ونقطف منها الأبيات التالية:

يقول الخلاوي حاضر الرأي صايبه مصاب الحشا مدهي بأدهى مصايبه
جرى للورى وأمضى الورى من برا الورى ورب الورى ما جا بالأقدار جالبه
مضى ذا وعدنا في منيع وقومه وما خط بارينا فالأقدار جات به
خطب جرى ولحبة القلب قد فرى وقت الكرى لما دهتنا مصايبه
دهى حالتي والورى يخلي من الورى منيع الذي روحي لفرقاه ذايبه
فتى طال بالعليا على شامخ الذرا وكثير الورى من عين علياه شاربه

---

(١) المرجع السابق، ص٤٢-٤٣؛ الدخيل المصدر السابق، ص٢٠٢-٢٠٤.

فتى لا يرى في دار الأكدار منصب ... إما سنام العز وإلا نصايبه
حوى ما حوى من الدين والمجد والهدى ... ومن كل مرقى طال معناه طال به
قم يا رفيع الجاه منهم بغارة ... كما أسد غاب يرهب الي يتاعبه
ومن لا يرد الضد بالسيف والقنا ... ويحمي الحمى تطمع عليه الثعالبه
ثلاث على غير الخلاوي تكوده ... إلى منيع سيد الحي زاهبه
رجا الضيف والسيف اليماني يزينه ... وبالجود تيار تطامى غبابيه
الملك تاج ماله إلى المصونه ... ومن لا يصونه ينزع التاج واهبه
فكم حاكم زاله عن الملك زلة ... وأضحى وكف عداه لحماه ناهبه
وحنا ملوك الدار والدار دارنا ... من عهد عاد إلى ولاد تلاد به
يحيطون بك يا سيد الحي والحمى ... كما حاط بالقطب اليماني كواكبه
منيعية لا تتقي باس فارس ... ولا يتقى من لا وساع مضاربه
عقالهم تكفيك عقال غيرهم ... وعيّالهم تكفيك في الحرب صاحبه
رجال حظاها الله بالدين والهدى ... وبالسيف ناموس وبالضيف واجبه
أجب دعوتي تنصر منيع وقومه ... في الدين والفردوس والفوز عاقبه
ملكنا منيع بالحذايا من العطا ... ياما ملا لهذا وهذا مزاهبه
يلقاك بالبشرى ويبداك بالندى ... ويغنم نجيب الخال حاجات طالبه
قريب من التقوى بعيد من الهوى ... نعيم لمن داناه نار لحاربه
فلولا منيع سور هجر وبابها ... وأبنا عقيل عصبة من قرايبه
لك الله ما سنعت لسهيل ناقتي ... ولولاه ما نوخت يبرين شاربه
فبعها منيع فربما عند بيعها ... نصر عزيز غارة الله جات به
بعها منيع تريحنا من همومها ... إماً لنا وإما لضد نحاربه[1]

---

(١) ابن خميس، راشد الخلاوي، ص ١٦١ وما بعدها.

٢٣

أبيات مختارة من قصيدة الشاعر راشد الخلاوي الدالية، التي قالها في مدح الأمير منيع بن سالم الجبري. مبدياً أسفه على ضياع ملكه وتغير أحواله من الرخاء إلى الشدة والبؤس.

يقول الخلاوي الذي ما يكوده	جديد البناء من غاليات القصايد
قل: الله هل شفت السخي بن سالم	منيع من حاش الثنا والفوايد
تطاوحنه الأيام لين أودعنه	يشد على ثلب قصيف البدايد
يشد على ثلب وهو كان قبل ذا	على ظهر الجدعا يدور الفوايد
وهو عقيد الركب لولاه ما غزو	ولا نسفوا بأكوارهن الجواعد
ودليل عوص الناجيات إلى اختفت	معالمه والنابيات الفرايد
قل الله لي من دمعة يا بن سالم	لها حادر هموم قلبي وصاعد
على شان سلطان عقيل كميتها	زمان القسا يشفي قراه الولايد
سريع القرى للضيف في ليلة الشتا	وعيد المقاوي سيد الناس ماجد
قوي وساع السمط في كل مسغبة	تعادا بها نسل القيان الولايد
يثور عمود الصبح ماشيل فضلها	ذا صادر منها وهذاك وارد
يقوم بها عن مضجع الليل منتوي	ذبحه سمان من لقاح الجلايد
فمن عاش بالدنيا يرى يا بن سالم	كريه الليالي والأمور الشدايد[1]

---

(١) المرجع السابق، ص٣٦٥ وما بعدها.

٢٤

في نهاية القرن العاشر الهجري حيث انتهى الدور الثاني لحكم الجبور في كل من الأحساء والقطيف. يلمع نجم شاعر يدعى جعفر الخطي، من بني عبد القيس. ولد في قرية التوبي من قرى القطيف، فقضى فيها أيام صباه ثم غادرها في مطلع القرن الحادي عشر إلى جزيرة البحرين، وعاش فيها فترة من الزمن. ثم سافر إلى إيران سنة ١٠١٢هـ، وأقام فيها حتى توفي سنة ١٠٢٩هـ.

ويبدو من شعره أنه متمكن من اللغة العربية. وشعره جيد ويمتاز بالأصالة، وخلوه من البديع المتكلف الذي كان سائداً في عصره. وله ديوان مطبوع بإيران سنة ١٣٧٣هـ.

ومن شعره في الحنين إلى مرابع الطفولة في كل من سيهات والقطيف قوله:

هلّا سألت الربع من سيهات ... عن تلكم الفتيان والفتيات

ومجر أرسان الجياد كأنها ... فوق الصعيد مسارب الحيات

حيث المسامع لا تكاد تفيق من ... ترجيع نوتي وزجر حداة

إن القطيف وإن شغفت بحبها ... وعلت على استيطانها زفراتي

إذ أين جزت رأيت فيها مدرجي ... طفلاً وأترابي بها ولداتي

لأجل ملتمسي وغاية منيتي ... إني أقيم بتلكم الساحاتِ[1]

---

(١) المسلم، محمد سعيد: ساحل الذهب الأسود، مكتبة الحياة، بيروت، د.ت. ص٢٨٠-٢٨١.

ومن شعره في سمكة شجت وجهه في البحر قوله:

لقد شق يمنى وجنتي بنطحة	وقعت لها دامي المحيا على قطر
فخيل لي أن السماوات أطبقت	عليّ وأبصرت الكواكب في الظهر
وقمت كجدي ندّ من يد ذابحٍ	وقد بلغت سكينه ثغرة النحر
يطوحني نزف الدماء كأنني	نزيف طلاً مالت به نشوة الخمر[1]

وبهذا نختم هذه الفصل عن الحياة الأدبية في عهد الدولة الجبرية.

(1) الحامد عبد الله: الشعر في الجزيرة العربية، دار الكتاب السعودي، الرياض، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م. ص ٩١.

الخاتمة

ألقى هذا الكتاب الضوء على الكثير من الجوانب الغامضة في تاريخ السلطنة الجبرية التي لم يتطرق إليها الباحثون من قبل. ولعل من أهمها النقاط التالية:

١ • حدوث صراع مرير بين الأسرتين الجبرية والعصفورية على الحكم بعد قيام الدولية الجبرية. ذهب ضحيته ثاني حكام السلطنة الجبرية الأمير سيف بن زامل بن حسين. وابن أخيه زامل بن أجود بن زامل. ومقتل زعيم العصفوريين مانع بن بدران بن مانع بن عصفور وأحد أعيان العصفوريين ويدعى (عليان). وانتهى الصراع بإجلائهم من الأحساء إلى أطراف العراق.

٢ • عودة جزيرة البحرين إلى سلطة الجبور على يدي الأمير حسين بن سيف بن أجود في عهد السلطان ناصر بن محمد بن أجود، بعد بضعة أشهر من احتلالها من قبل البرتغاليين والهرمزيين عام ٩٢٧هـ/ ١٥٢١م، واستشهاد السلطان مقرن بن زامل بن أجود. واستمرت في يدهم لأكثر من سنتين .

٣ • تمكنا من معرفة اسم الأمير قطن بن سيف بن أجود الذي خلف أخاه حسين بن سيف على ولاية البحرين وعمان ثم خروجهما من يده.

٤ • استمرار حكم الجبريين للقطيف في دورهم الثاني لمدة (١٥) عاماً بعد استيلاء آل شبيب حكام البصرة على الأحساء عام ٩٣٢هـ/ ١٥٢٥م. على فترتين ٩٣٢-٩٤٥هـ وكذلك ٩٥٨-٩٦٠هـ. وتحديد أسماء الأمراء الجبريين الذين تعاقبوا على حكم القطيف.

٥ • ولاية جبور عمان على البحرين في دورهم الثاني خلال الفترة ١١٣٠-١١٣٧هـ. ثم أعقبهم عليها الجبور الهولة حتى أخذها منهم آل خليفة. مع تحديد أسماء الأمراء الذين تعاقبوا عليها وفترات حكمهم.

٦ • تحديد فترة انتقال آل مسلم الجبريين من القطيف إلى البحرين، ثم إلى قطر في منتصف القرن العاشر الهجري، ورصد نشاطهم هناك.

٧ • كان هناك جدل بين بعض الدارسين لتاريخ الجبور وأدبياتهم حول بعض القصائد مثل قصيدة الكليف المسماة (بالدامغة) هل قيلت في مدح مقرن بن زامل، أم مقرن بن قضيب بن زامل؟ وقد أثبتنا أنها قيلت في مدح الأخير.و قصيدة عامر السمين التي لم يعرف اسم الممدوح فيها. وقد أثبتنا أنها قيلت في مدح الأمير حسين بن سيف بن أجود. وكذلك قصيدته الثانية التي قالها في مدح الأمير قطن بن سيف وقد أثبتنا أن المقصود فيها هو الأمير قطن بن سيف بن أجود.

٨ • لقد قمنا برصد بعض الآثار العمرانية للجبور في كل من الأحساء والقطيف والبحرين وقطر وعمان. ولا شك أن هناك أماكن أثرية أخرى لم نتمكن من معرفتها. وضمها إلى القائمة. فنرجوا ممن يعرف شيئاً منها أن يتواصل معنا ليتم تداركها في الطبعات القادمة للكتاب.

٩ • لا شك أن نشاط الجبريين قد امتد إلى الساحل الشرقي من الخليج مع غيرهم من عرب الحولة (الهولة). ولم نتطرق إلى نشاطهم هناك. وآمل أن يتصدى بعض المهتمين بتاريخ الجبور للكتابة عن تاريخهم في تلك المنطقة حتى تكتمل حلقات سلسلة هذا البحث.

الملاحق

ملحق رقم «١»

مشجّر نسب حكّام السلطنة الجبرية في شرق الجزيرة العربية

خلال الفترة ٨٢٠-٩٣٢هـ .

و دورهم الثاني في إمارة القطيف خلال الفترة ٩٣٢-٩٦٠هـ

ملاحظات حول المشجّر :
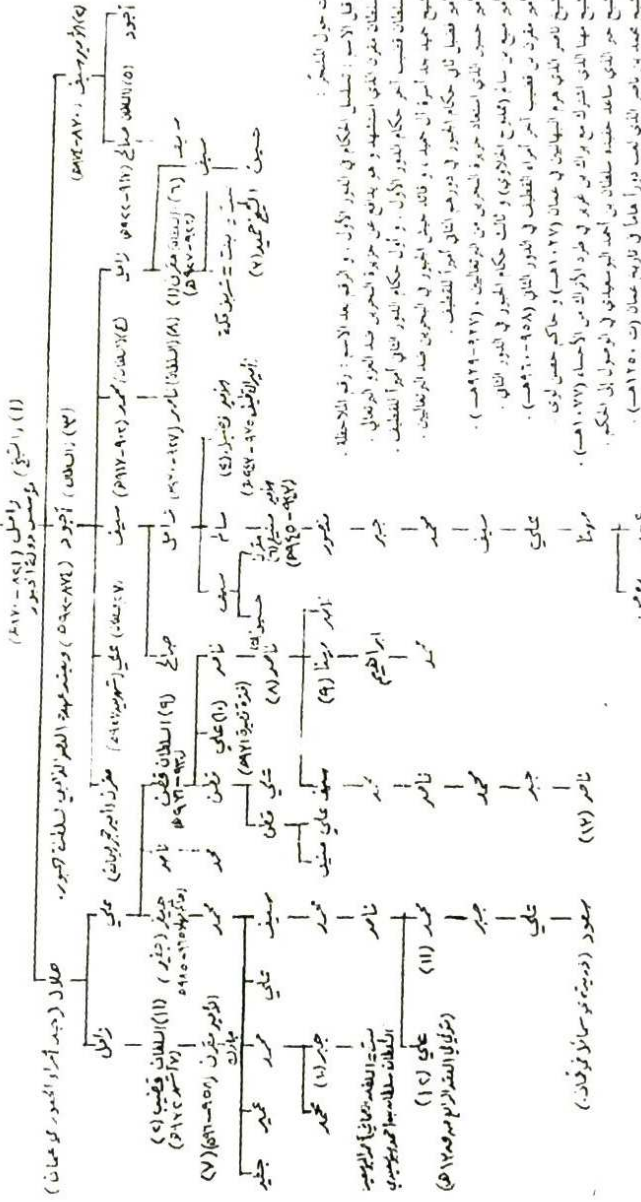
- الرقم قبل الاسم : تسلسل الحكام في الدور الأول . و الرقم بعد الاسم : رقم الملاحظة .

(١) السلطان مقرن الذي استشهد و هو يدافع عن جزيرة البحرين ضد الغزو البرتغالي .

(٢) السلطان قضيب آخر حكام الدور الأول . و أول حكام الدور الثاني أميراً للقطيف .

(٣) الشيخ حميد جد أسرة آل حميد ، و قائد جيش الجبور في البحرين ضد البرتغاليين .

(٤) الأمير فضيل ثاني حكام الجبور في دورهم الثاني أميراً للقطيف .

(٥) الأمير حسين الذي استعاد جزيرة البحرين من البرتغاليين . (٩٢٧-٩٢٩هـ) .

(٦) الأمير مبيع بن سالم (ممدوح الخلاوي) و ثالث حكام الجبور في الدور الثاني .

(٧) الأمير مقرن بن قضيب آخر أمراء القطيف في الدور الثاني (٩٥٨-٩٦٠هـ) .

(٨) الشيخ ناصر الذي هزم النبهانيين في عمان (١٠٢٧هـ) و حاكم حصن لوى .

(٩) الشيخ مهنا الذي اشترك مع براك بن غرير في طرد الأتراك من الأحساء (١٠٧٧هـ) .

(١٠) الشيخ جبر الذي ساعد حفيده سلطان بن أحمد البوسعيدي في الوصول إلى الحكم .

(١١) الشيخ محمد بن ناصر الذي لعب دوراً هاماً في تاريخ عمان (ت ١٢٥٠هـ) .

(١٢) الشيخ علي بن ناصر الذي حكم زنجبار (تنزانيا) لمدة ثلاث سنوات .

(١٣) الشيخ ناصر ولي الأحساء للإمام عبد الله الفيصل في الدولة السعودية الثانية .

مشجّر نسب الجبور

ملحق رقم «٢»

مشجر نسب العصفوريين العامريين
الذين حكموا منطقة البحرين (الشرقية)
خلال الفترة (٦٣٠-٧٨٠هـ) تقريباً

عامر
نباتة
قديمة
شبانة

(١) عُفيلة (انتهت إليه رئاسة بني عامر في عهد عز الدين محمد بن أبي الفضل العيوني)

(٢) شبانة — جحاف — سنان — صبيح (قتل في حرب العيونيين) — المقداد
عمران

العقدي — عميرة (ك ٥٩٢هـ) — فدا — المقداد

أحمد — محمد — راشد — ماجد (أمير القطيف) — ابراهيم — الحسين

محمد (وفد على بيبرس ٦٥٨هـ وغزا بيشة عام ٦٦١هـ) — سرحان — ① عصفور مؤسس الأسرة العصفورية استولى على الأحساء ٦٧٠هـ — علي (ق ٦٩٤هـ) — مانع — موسى

علي (البهلوان) — أبو عاصم — مانع — مبارك — مانع — سنان (قتل سعد بن مغامس بن زيد يمل.) — هلال

معمر — زيد — محمد — حسين — راشد — سعد — مهدران (غزا وادي الدواسر عام ٧٨٠هـ.)

يحيى — أحمد — مانع — ماجد — مانع

هلال — عظيم — زيد — راشد — كليب (حارب السلطان أجود الجبري بعد ٨٧٤هـ).

حسن — ماجد

مشجّر نسب العصفوريين

ملحق رقم «٣»

رسالة الوزير محمود القاواني (ت ٨٨٦هـ/ ١٤٨١م) رجل السلطنة البهنمية الأول إلى السلطان أجود بن زامل الجبري. وهي غير مؤرخة. كتبها عبد الكريم النميدهي ضمن مخطوط كنز المعاني من الإنشاء في دمشق سنة ٩٩٦هـ/ ١٥٨٨م. (إسطنبول - المكتبة السليمانية، رقم ٨٨٤).

نص الرسالة:

«الملك الأعظم الأكرم الأفخم الأقدم، مالك البر واليم، ملك ملوك العرب، سلطان أجود. الجناب الأميري الملكي الكبيري. حامي العرب والعجم، مبارز معارك الشجعان، كرار المصاف بالسيف والسنان، أعدل ملوك الأطراف والأقطار، أشجع ولاة الأزمان والأعصار، مفخر حجاج بيت الله الحرام، قدوة زوار النبي عليه الصلاة والسلام. لازال طرق البوادي ببذرقة تقويته مأمونة عن نزول الطوارق. رب كما وفقته بحماية أهل المدر والوبر، اجعل طول عمره إلى يوم المحشر. ثم الداعي إلى توشيح أعناق الأحوال بقلايد المقال، أن المحب وأن ما تشرف بصحبة الجناب الأميري، وما تزين بملاقاة الملكي الكبيري. يطمع من كرمه أن يسلك درر المهام في سلك الأعلام، ويفتح أبواب الموالاة بمفاتيح المكاتبات، ليوجب ذلك ازدياد صفاء النيات، ينهي بين يدي الأميري أن أنفاره الجائين إلى هذه الديار، ما كان معهم الكتاب والأخبار، لوقوع الواقعة عليهم في البحر العميق، وهو غلبة السارقة عليهم في أثناء الطريق.

وكان المقصود تروية حديقة المحبة الأزلية، ما أطنب المقال واختصر بشرح الحال».

ملحق رقم «٤»

- **وصف جزيرة البحرين:**

يحسن أن نورد وصفاً لجزيرة البحرين أيام ازدهارها في عهد السلطان أجود بن زامل لكاتب معاصر هو الربان: أحمد بن ماجد النجدي، حيث قال في كتابه (الفوائد في أصول البحر والقواعد) ص ٣٠١-٣٠٢ (دمشق ١٩٧١م).

«الجزيرة الثامنة وهي البحرين المتقدم ذكرها، وتسمى أوال، وفيها ثلاثمائة وستون قرية. وفيها الماء الحالي (الحلو) من جملة جوانبها، وأعجب ما فيها مكان يقال له: القصاصير يغوص الإنسان في البحر المالح بالقربة، ويملأوها من الماء الحالي وهو غرقان في الماء المالح.

وحواليها معادن اللؤلؤ، وعدة جزر كلها معادن اللؤلؤ. ويأوي إليها قريب من ألف مركب. وفيها جملة قبائل من العرب، وجملة تجار، والإبل والبقر والأغنام. وفيها عيون جارية، ورمان وتين وأترج وليم؟ (لعله الليمون). وهي في غاية العمارة.

وهي في تاريخ الكتاب (حوالي ٨٩٥هـ/ ١٤٩٠م) لأجود بن زامل العامري».

ملحق رقم «٥»

((صورة طبق الأصل))

وثيقة وقف شرعية من عهد الشيخ محمد بن غرير بن عثمان بن سعدون آل حميد أمير الأحساء. مؤرخة في ١٩/ رجب/ ١٠٧٦هـ.

ملحق رقم «٦»

(صورة طبق الأصل عن كتاب الشيخ محمد بن عيسى آل خليفة أمير البحرين)

بسم الله الرحمن الرحيم

Shaikh Mohammad Bin Isa Al-Khalifah

"... Mohamad Al Khalifah"

BAHRAIN

محمد بن عيسى آل خليفة
البحرين

من البحرين ١٢ ذي القعدة

الى الشيخ الاكرم الاخ العزيز الشيخ جباره النصري المحترم
ادامه الله بعونه آمين بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته
والسؤال عن صحتكم نحن ولله الحمد بصحة ونعمه ثم ان محب
الجميع احمد بن جاسم مراد ذكر لي عن خط مرسول
من جنابكم لي تستفهمون فيه عن نسب عائلتكم الكريمه
النصور. اما الخط فلم يصلني ولو وصلني لرديتم
والآن هائنا اشرح ما سمعته من سيدي الوالد
تغمده الله برحمته ومن عمي خالد رحمه الله ان محمد
اجمعوا ان قبيلة النصور من بني خالد المشهوره
الموجوده الى الآن في المملكة العربيه السعوديه
وآخر منزل ارتحلوا منه البديعه شمالي القطيف
وعندكم في ساماني بلد اسمها البديعه والعينات
ومن اسامكم سليمان وحسن وهذين الاسمين
من اشهر اساميا بني خالد ا نسأل الله ان يحفظ لكم
اسمكم و ... ويعينكم بعزته وصله من الاخوان الاعزاء
ودمتم في عيش مسرور حرر بيده محمد بن عيسى آل الخليفه

كتاب الشيخ محمد بن عيسى آل خليفة أمير البحرين موجه إلى الشيخ جبارة النصري بتاريخ ١٢/ ذو القعدة/ ١٣٧٤هـ.

ملحق رقم «٨»

صفحة من مخطوط في فقه المواريث الشرعية كتبها الطالب
(راشد بن سعد بن راشد بن سالم النجدي نسباً والمالكي مذهباً والأحسا مولداً)
من عهد السلطنة الجبرية.

ملحق رقم «٩»

وثيقة عقد إيجار لأحد عقارات وقف مسجد سيف بن حسين الجبري بتاريخ ٣ محرم سنة ١٠٩٢هـ أجره وكيل الوقف حمد بن قاسم الخطيب الجعفري على محمد بن حسين بن عفالق لتغطية نفقات ترميم المسجد وشهد على ذلك الشيخ حسين بن عثمان بن سعدون آل حميد الخالدي.

قائمة الخرائط والصور

خارطة رقم «١»
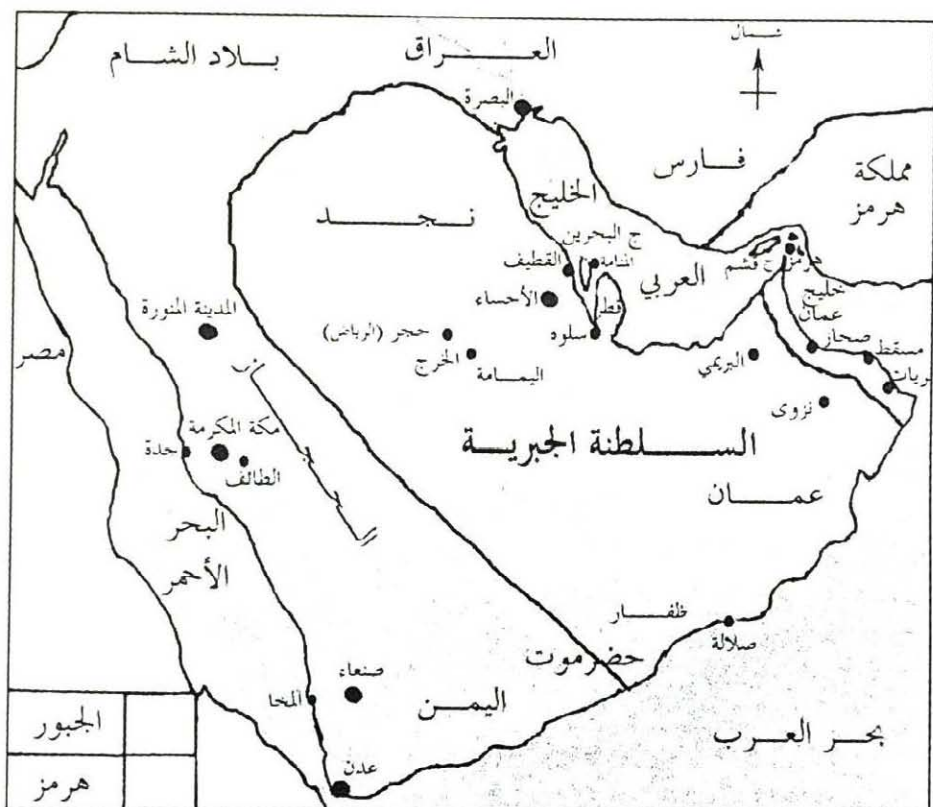
خارطة تقريبية لحدود السلطنة الجبرية في أوج اتساعها

خارطة رقم «٢»
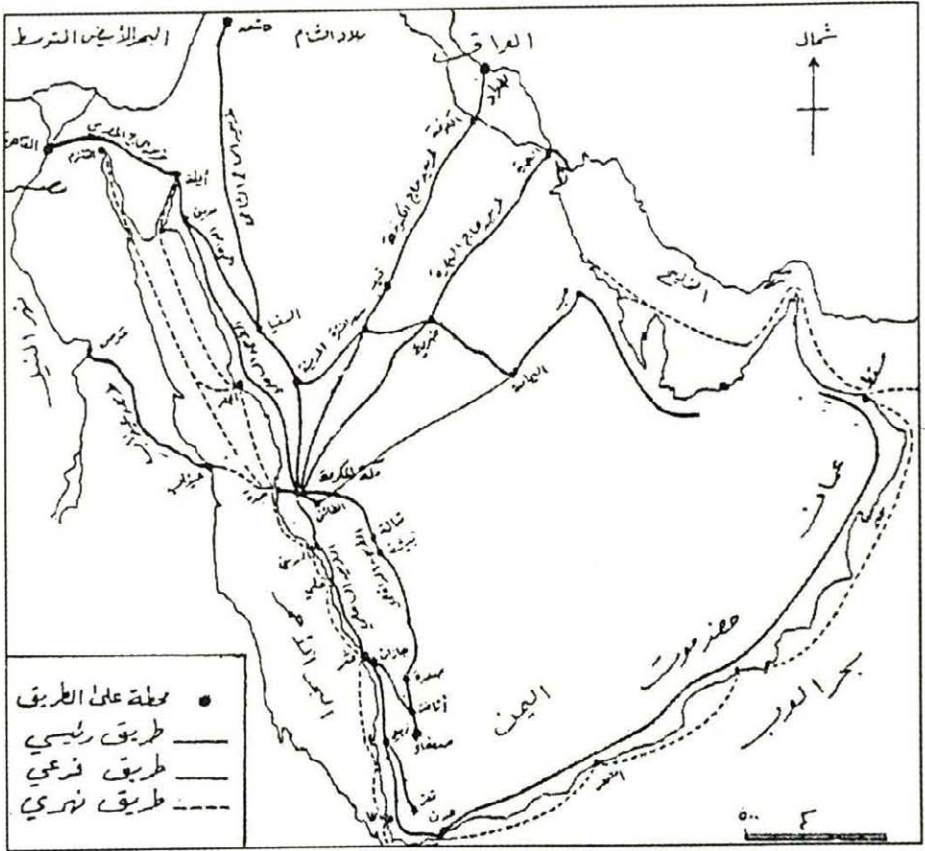
خارطة توضح طرق الحج في عهد السلطنة الجبرية.

عن د. خالد عزام الخالدي،كتاب تنظيمات الحج وتأثيراته في الجزيرة العربية خلال العصر العباسي ص٥٤٢.

صورة رقم «٣»
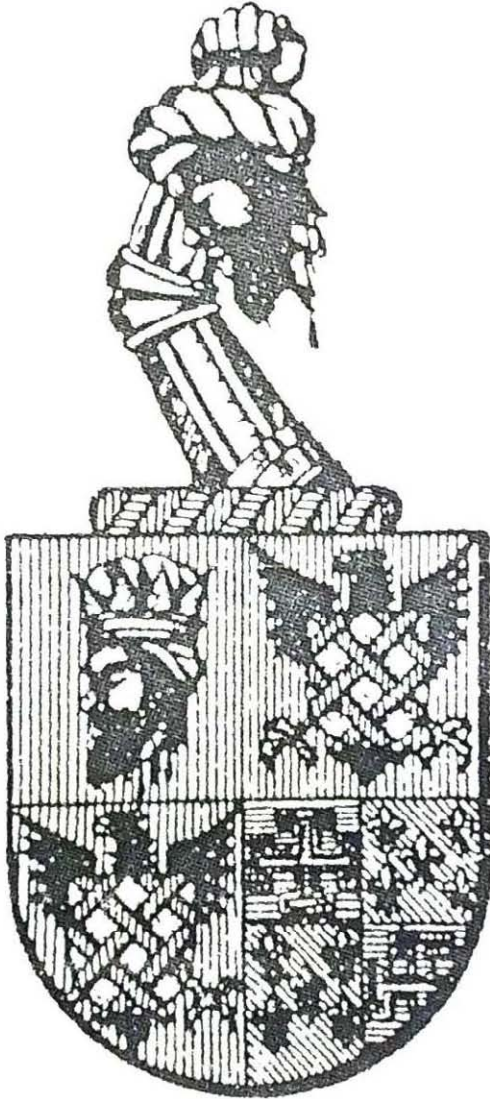
صورة رأس الشهيد السلطان مقرن بن زامل الجبري
على درع القائد البرتغالي أنطونيو كوريا
عن مجلة درع الوطن يونيو ١٩٩٠م

صورة رقم «٤»

القائد البرتغالي أنطونيو كوريا الذي حارب السلطان مقرن في البحرين عن مجلة درع الوطن يونيو ١٩٩٠

صورة رقم «٥»
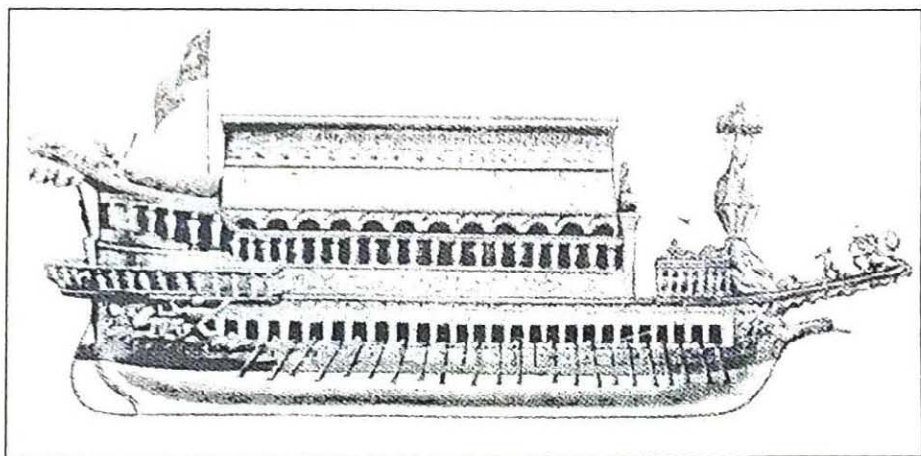
سفينة قيادة برتغالية.

عن مجلة درع الوطن يونيو ١٩٩٠ ص٤٥

صورة رقم «٦»
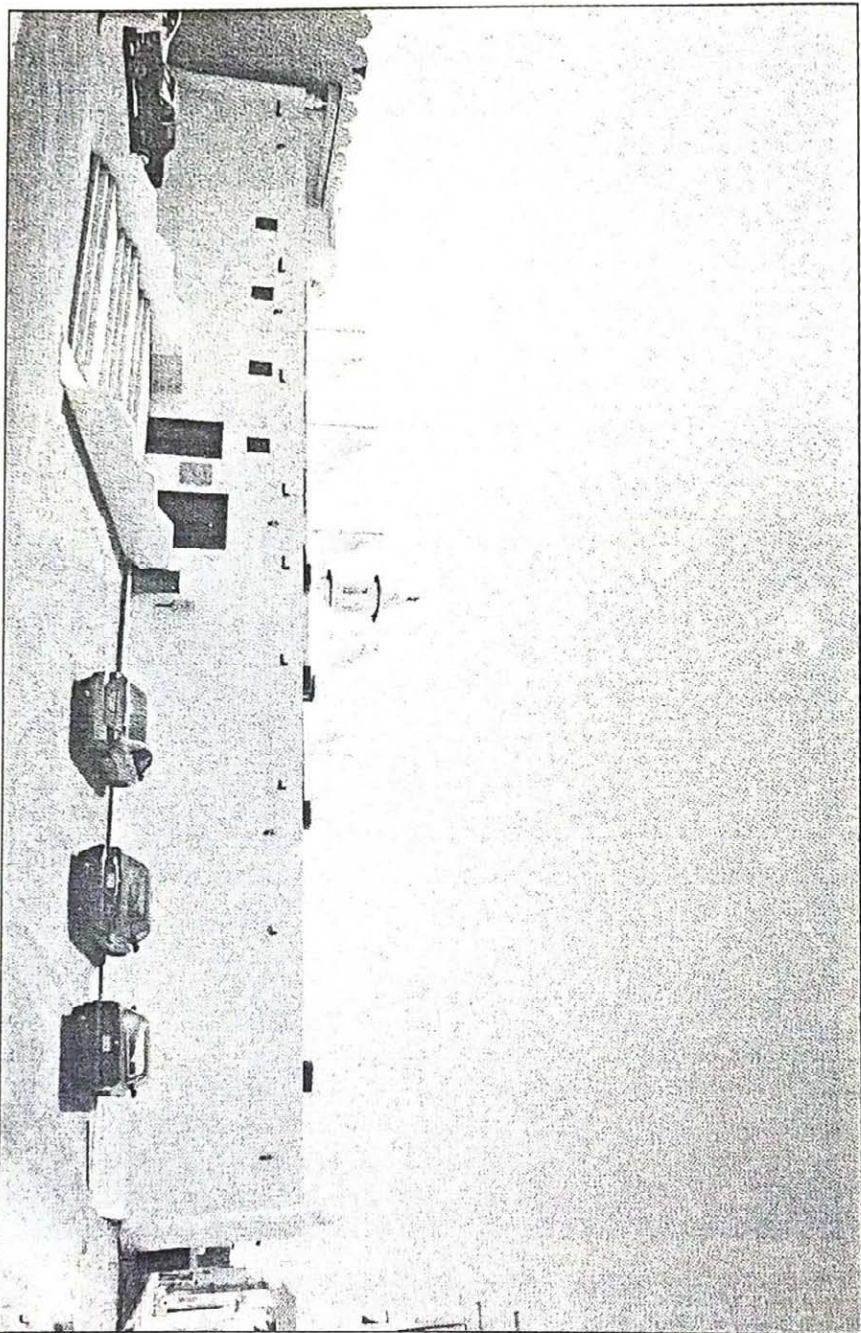
منظر خارجي لمسجد سيف بن حسين الجبري بالهفوف بالأحساء.

صورة رقم «٧»
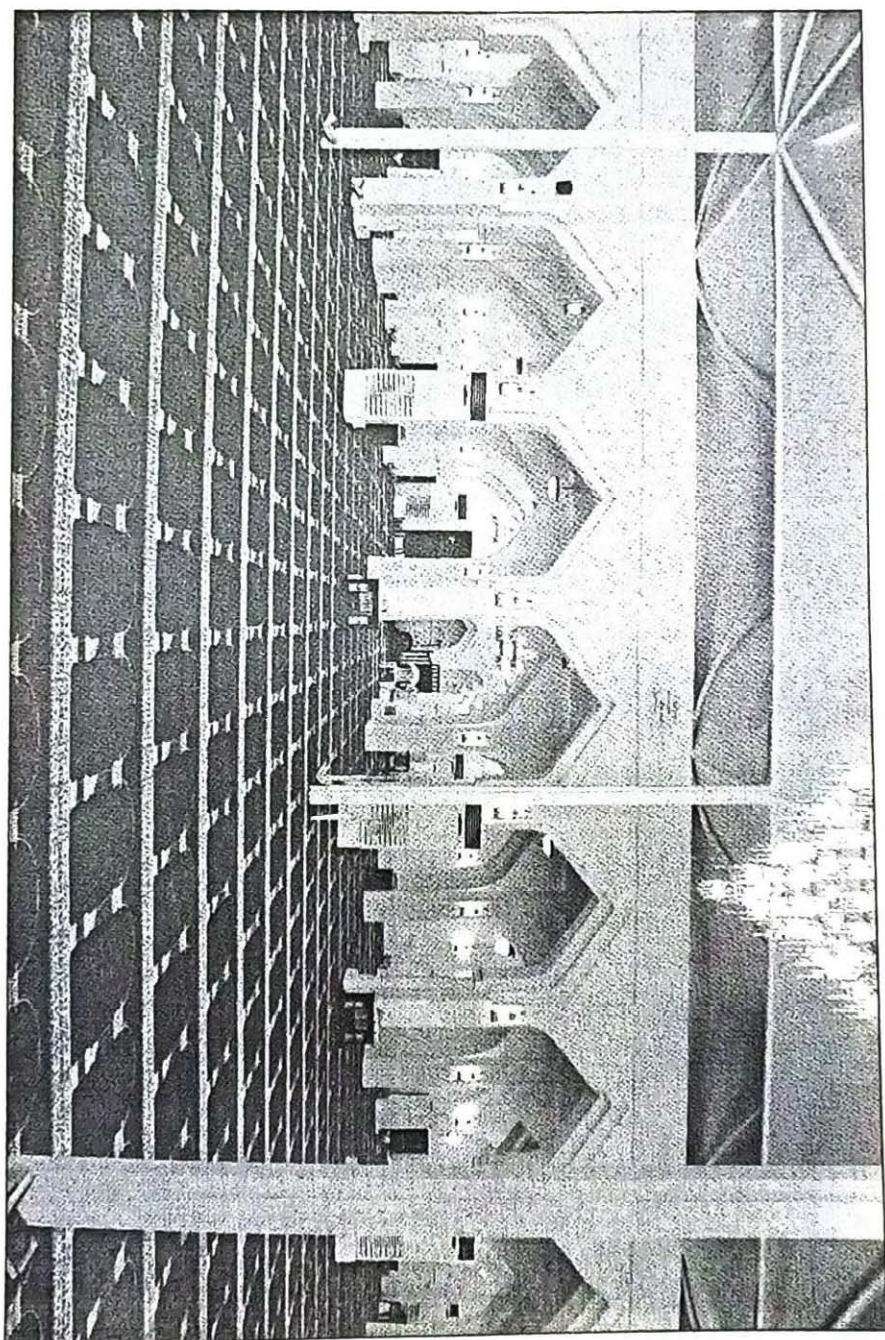
منظر داخلي لمسجد سيف بن حسين الجبري بالهفوف بالأحساء.

صورة رقم «٨»
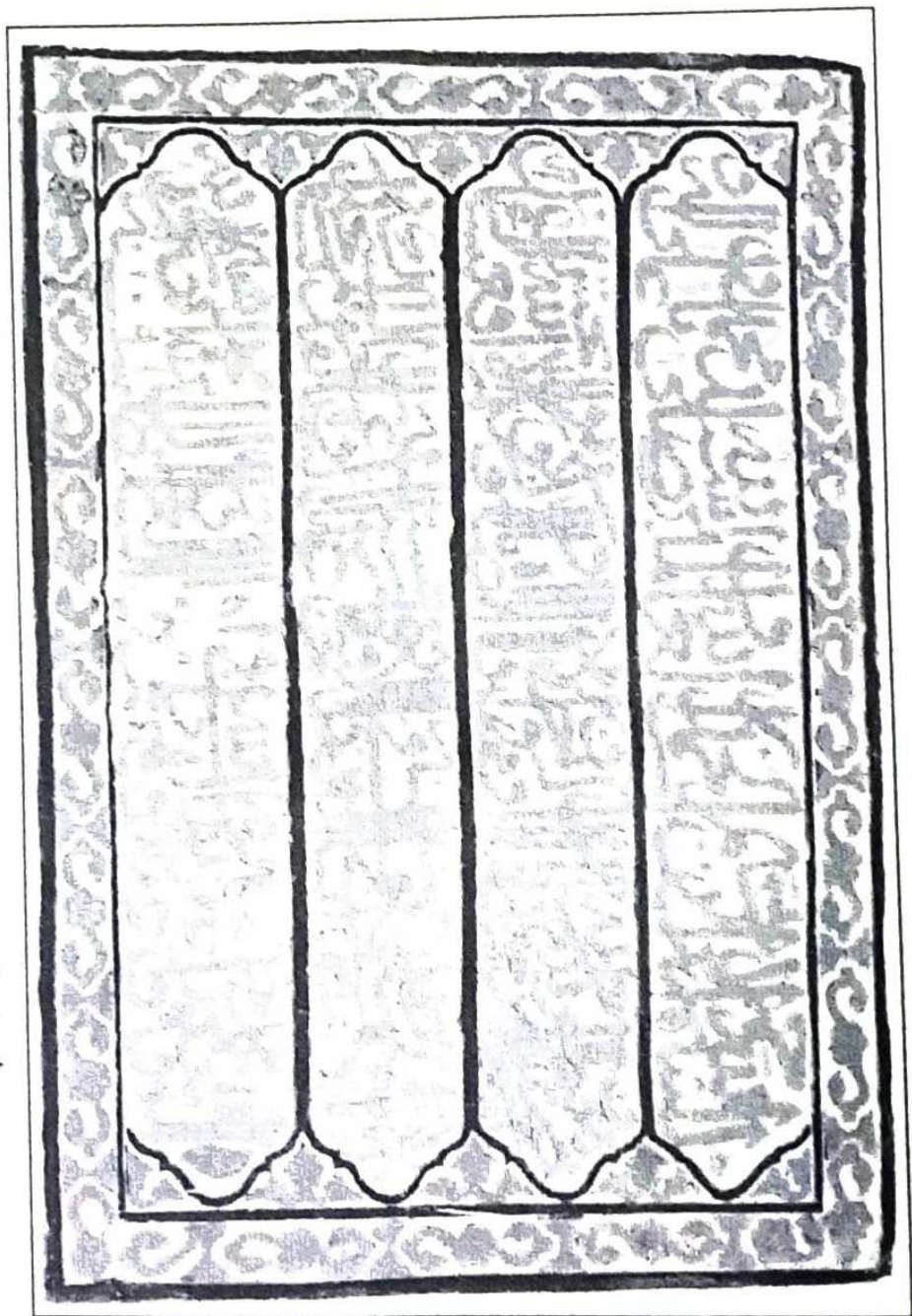
أقدم لوحة ترميم وجدت في مسجد سيف بن حسين الجبري بالهفوف بالأحساء.

صورة رقم «٩»

بسم الله الرحمن الرحيم

(في بيوت أذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار)

تم بحمد الله وتوفيقه إعادة ترميم وتوسعة

جامع الجبري

الذي أسسه سيف بن حسين الجبري في القرن التاسع الهجري وأوقفه على الشيخ نصر الله بن عبد الله الجعفري الطيار وذريته ، رحم الله الجميع

لك الحمد مولانا على ما منحتنا	من العون في ترميم جامعنا الجبري
فقد زاد مبناه وعاد أساسه	متيناً كما قد كان في سالف الدهر
وقد تم في عام الثلاثين تالياً	لألف وأربع بتاريخنا الهجري
فنسأل مولانا القبول بفضله	وأن يجزي الأعوان فيضاً من الخير

أحدث لوحة ترميم لمسجد سيف بن حسين الجبري بالهفوف.

صورة رقم «١٠»
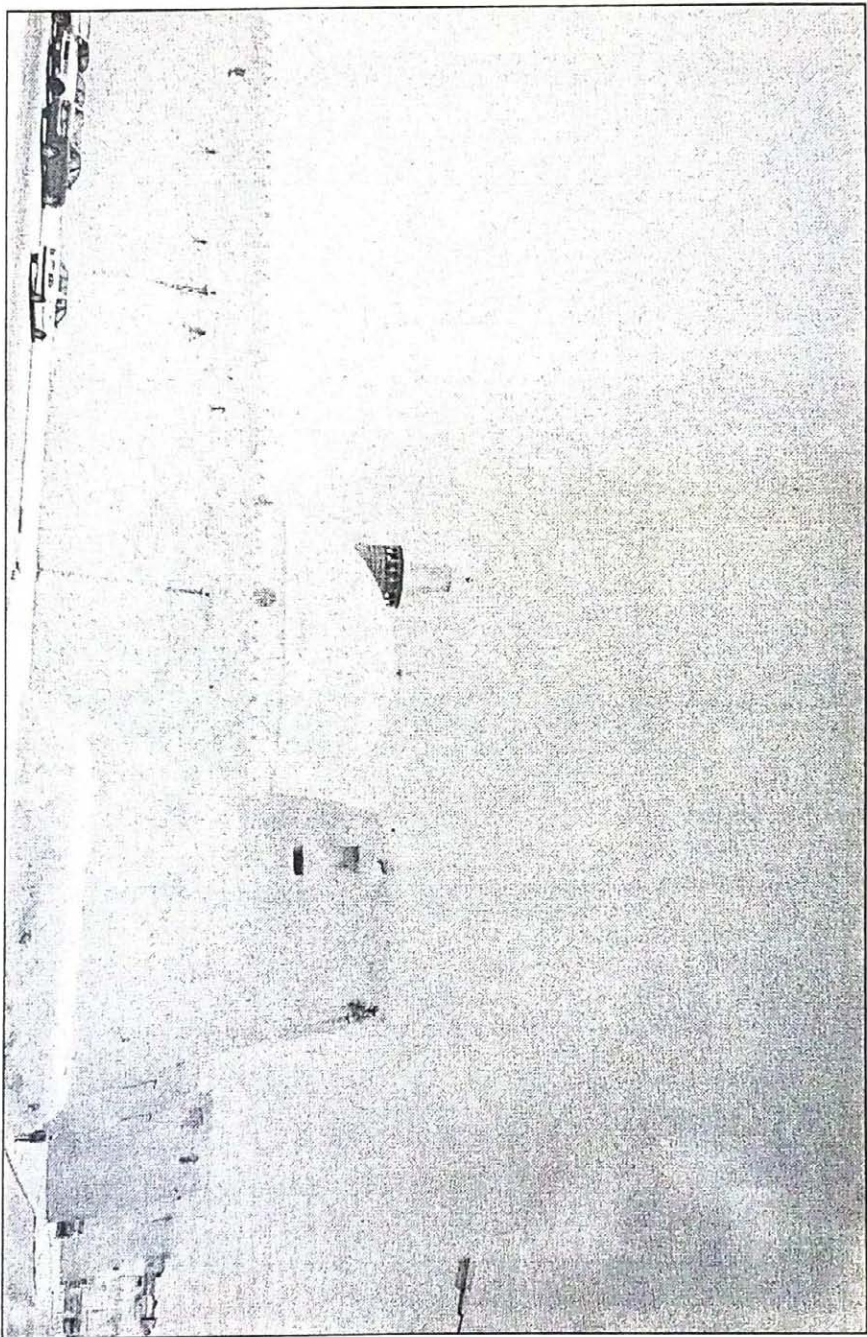
منظر خارجي لقصر الكوت (قصر ابراهيم) بالأحساء ويظهر فيه مسجد القبة.

صورة رقم «١١»
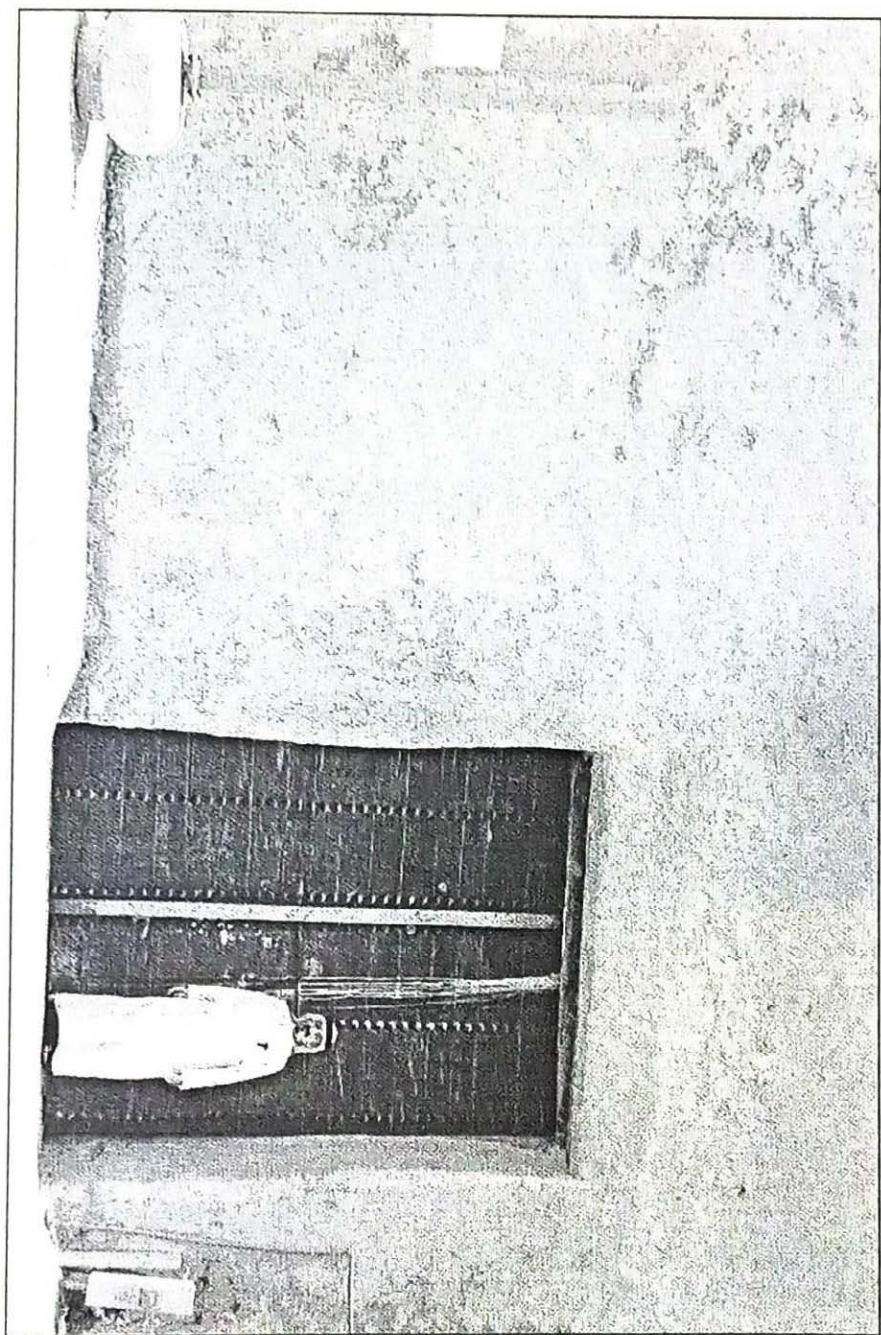
المدخل الرئيسي لقصر الكوت (قصر إبراهيم) بالهفوف من الجهة الجنوبية.

صورة رقم «١٢»
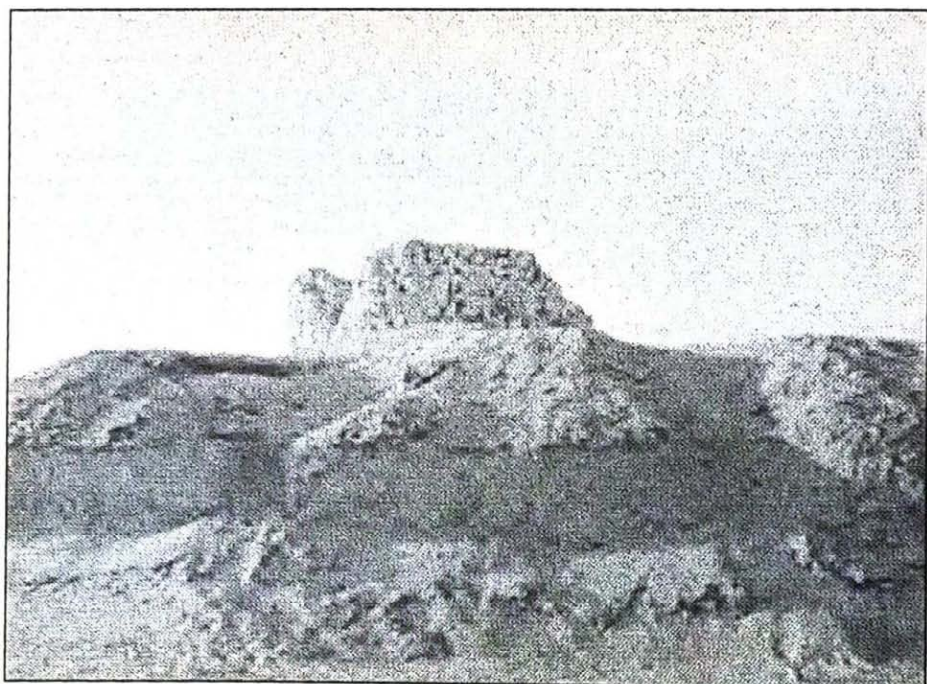
منظر قصر السلطان أجود بن زامل الجبري في قرية المنيزلة بالأحساء.

صورة رقم «١٣»
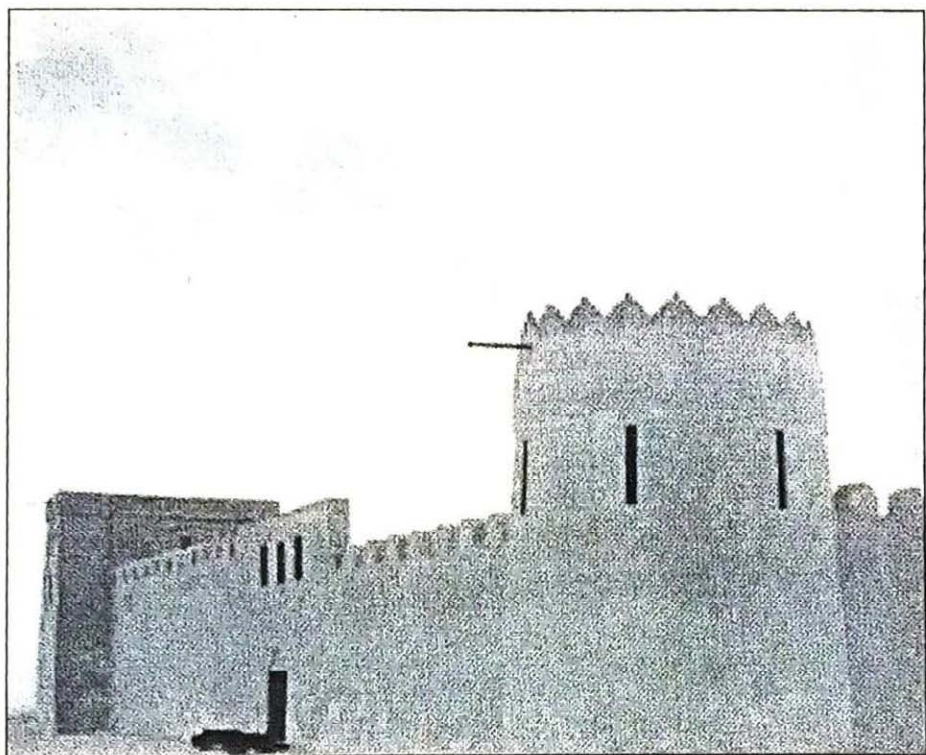
منظر خارجي لقلعة عراد بالمحرق بالبحرين.

صورة رقم «١٤»
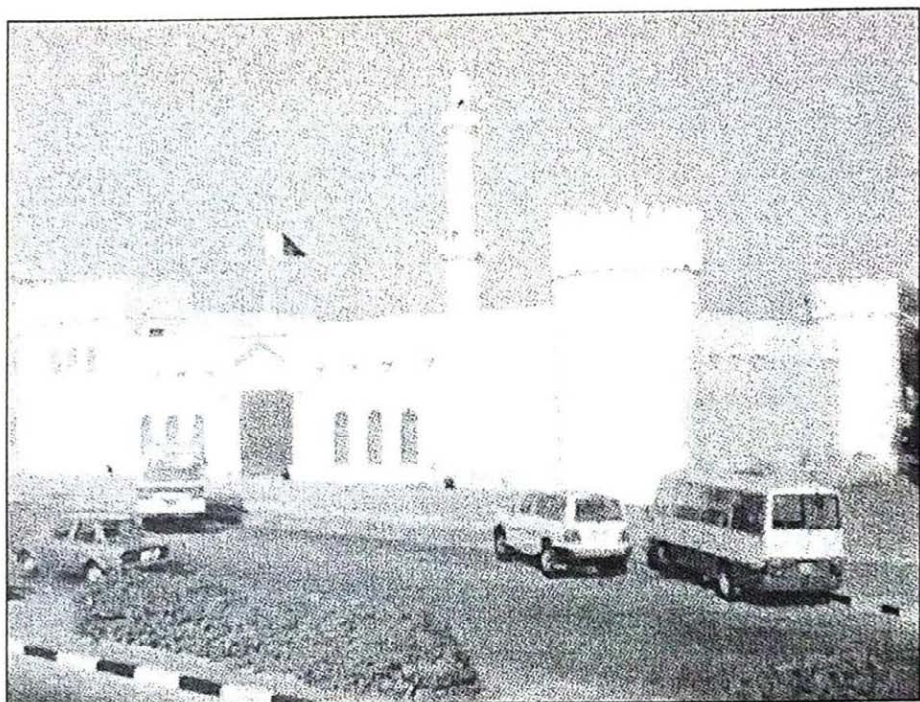
منظر خارجي لقلعة آل مسلم في الدوحة في قطر.

المصادر والمراجع

● القرآن الكريم

● المخطوطات

- البسام، أحمد بن محمد (ت ١٠٤٠هـ/ ١٦٣٠م).

تحفة المشتاق في أخبار نجد والحجاز والعراق، مخطوط بمكتبة الأوقاف بعنيزة بالقصيم. بخط الأستاذ نور الدين شريبة منقول عن الأصل لدى أسرة المؤلف.

- الداريني، صالح يوسف.

من أخبار القطيف، مخطوط مكتبة رفيق موسى أحمد، رقم (١٦٣) حيدر آباد - الهند.

- ابن فهد، عبد العزيز بن عمر (ت ٩٢٢هـ/ ١٥١٧م).

بلوغ القرى بذيل اتحاف الورى بأخبار أم القرى، مخطوط الحرم المكي (تاريخ دهلوي) نسخة مصورة بمكتبة جامعة الملك سعود برقم (٧٧٣).

● الكتب المطبوعة:

- الأزكوي، سرحان بن سعيد.

تاريخ عُمان المقتبس من كتاب كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة، تحقيق عبد المجيد حسيب القيسي، مطبوعات وزارة الثقافة بعُمان، ط٤، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

- إقبال، عباس .
مطالعاتي درباب بحرين وجزاير وسواحل خليج فارس، طهران ١٩٤٩م. (فارسي).
- ابن إياس، محمد بن أحمد (ت ٩٣٠هـ/ ١٥٢٤م).
بدائع الزهور في وقائع الدهور، ط٣، القاهرة، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م
- أوبنهايم، ماكس فرايهير فون، وآخرون.
البدو، ترجمة ميشيل كيلو ومحمود كبيبو، تحقيق، ماجد شبّر، دار الورّاق للنشر المحدودة، لندن، ٢٠٠٤م.
- ابن بشر، عثمان بن عبد الله (ت١٢٨٨هـ/ ١٨٧١م).
عنوان المجد في تاريخ نجد، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، د.ت.
- ابن بطوطة، محمد عبد الله (ت٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م).
رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، دار الكتاب اللبناني، بيروت، د.ت.
- الجاسر، حمد.
جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد، دار اليمامة، ط١، القاهرة، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.
- الجزيري، عبد القادر بن محمد (ت بعد ٩٧٦هـ/ ١٥٦٨م).
الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحج وطريق مكة المعظمة، ط١، القاهرة، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م.
- الحاتم، عبد الله بن خالد.
خيار ما يلتقط من شعر النبط، ذات السلاسل، الكويت، ١٩٨١م.
- حاتم، محمد غريب.
تاريخ عرب الهولة: دراسة تاريخية وثائقية، الكويت؟.
- أبو حاكمة، أحمد مصطفى (الدكتور).
تاريخ الكويت، الكويت، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م.

- الحامد، عبد الله.
الشعر في الجزيرة العربية، دار الكتاب السعودي، الرياض، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.
- الحربي، فائز بن موسى البدراني .
من أخبار القبائل في نجد، الرياض، ١٤١٦ ه.
- الحصري، ساطع بن محمد بن هلال .
البلاد العربية والدولة العثمانية، بيروت ١٩٦٠م .
- الحميدان، عبد اللطيف بن ناصر (الدكتور) .
إمارة آل شبيب في شرق جزيرة العرب، الرياض، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.
- الحنبلي، عبد الحي بن العماد (ت١٠٨٩هـ/ ١٦٧٨م).
شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار الآفاق الجديدة، بيروت، د.ت.
- الحياري، مصطفى (الدكتور) .
الإمارة الطائية في بلاد الشام، عمّان، ١٩٧٧م.
- الخالدي، خالد بن عزام بن حمد (الدكتور) .
تنظيمات الحج وتأثيراته في الجزيرة العربية خلال العصر العباسي، منشورات الجمعية التاريخية السعودية، الرياض ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.
- الخالدي، سعود بن زيتون .
محطات تاريخية في الخليج والجزيرة العربية، ذات السلاسل، الكويت، ط١، ٢٠٠٢م.
- الخصوصي، بدر الدين عباس (الدكتور) .
دراسات في تاريخ الخليج العربي، ج١، ط٢، ذات السلاسل، الكويت، ١٩٨٤م.
- الخضيري، علي عبد العزيز (الدكتور) .
علي بن مقرب العيوني - حياته وشعره، مؤسسة الرسالة بيروت، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م .

- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (٨٠٨هـ/ ١٤٠٦م) .

تاريخ ابن خلدون، المسمى (العبر)، مؤسسة جمال للطباعة والنشر، بيروت ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

- ابن خميس، عبد الله بن محمد .

راشد الخلاوي، ط٢، الرياض، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

- الخيري، ناصر بن جوهر (ت١٣٤٤هـ/ ١٩٢٥م).

قلائد النحرين في تاريخ البحرين، الأيام للنشر، الكويت، د.ت .

- الدخيل، سليمان بن صالح (١٣٦٤هـ/ ١٩٤٤م).

١- تحفة الألباء في تاريخ الأحساء، الدار العربية للموسوعات، ط٢، بيروت، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.

٢- البحث عن أعراب نجد وما يتعلق بنهم،تحقيق مهدي النجم الدار العربية للموسوعات، بيروت ٢٠٠٣م.

- ابن رزيق، حميد بن محمد (ت١٢٧٥هـ/١٨٥٨م) .

١- الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين، تحقيق عبد المنعم عامر، منشورات وزارة التراث القومي والثقافة بعمان، ط٥، صحار، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

٢- بدر التمام في سيرة السيد الهمام سعيد بن سلطان، ملحق الفتح المبين.

- رويت، رودولف سعيد.

سعيد بن سلطان، ترجمة سامي عزيز، وزارة التراث القومي والثقافة بعمان، مسقط، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م.

- الريكي، حسن بن جمال بن أحمد (كان حياً ١٢٣٣هـ/ ١٨١٧م).

لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب، تحقيق عبد الله الصالح العثيمين، دارة الملك عبد العزيز، الرياض، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

- الزبن، عبد الله (الدكتور).

الاختيارات الزبنية من تراجم ذرية خالد بن الوليد المخزومية، ط١، القاهرة، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

- الزركلي، خير الدين.

الأعلام، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨٠م.

- زكريا، أحمد وصفي.

عشائر الشام، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

- السالمي، نور الدين عبد الله بن حميد (ت ١٣٣٢هـ/ ١٩١٣م).

تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان، ط٢، مسقط، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

- السبيعي، عبد الله بن ناصر (الدكتور).

القضاء والأوقاف في الأحساء والقطيف وقطر أثناء الحكم العثماني الثاني، ١٢٨٨-١٣٣١هـ/ ١٨٧١-١٩١٣م، الرياض، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

- السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت٩٠٢هـ/ ١٤٩٦م).

الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت.

- سرهنك، الميرالاي إسماعيل.

تاريخ الدولة العثمانية، بيروت، ١٩٨٨م.

- السلمان، محمد حميد.

الغزو البرتغالي للجنوب العربي والخليج، مركز زايد للتراث والتاريخ، العين، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

- السمهودي، علي بن عبد الله (ت ٩١١هـ/ ١٥٠٥م).

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ط٤، بيروت، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

- السيابي، سالم بن حمود .

١- إسعاف الأعيان بأنساب أهل عمان، المكتب الإسلامي، بيروت.

٢- عمان عبر التاريخ، ط٤، المطبعة الشرقية، مسقط، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.

- ابن سيار، جبر (١٠٨٥هـ/ ١٦٦٤م).

نبذة في أنساب أهل نجد، تحقيق راشد بن محمد بن عساكر، الرياض، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

- الشافعي، حسن محمود.

العملة وتاريخها، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٠م.

- صديق، عبد الرزاق محمد .

صهوة الفارس في تاريخ عرب فارس، مطبعة المعارف، الشارقة، ١٤١٥هـ.

- الصويان، سعد العبد الله (الدكتور).

الشعر النبطي ذائقة الشعر وسلطة النص، ط١، دار الساقي، بيروت، ٢٠٠٠م.

- الصيرفي، علي بن داود (ت ٩٠٠هـ/ ١٤٩٤م).

نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان، تحقيق حسن حبشي، القاهرة، ١٩٧٠م.

- الظاهري، أبو عبد الرحمن بن عقيل .

١- أنساب الأسر الحاكمة في الأحساء، ج١، دار اليمامة، ط١، الرياض، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٢- ديوان الشعر العامي بلهجة أهل نجد، ط١، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

- عبد الرحيم، عبد الرحيم عبد الرحمن.

الدولة السعودية الأولى، ط٣، دار الكتاب الجامعي، القاهرة، ١٩٧٩م.

- آل عبد القادر، محمد بن عبد الله .

تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء في القديم والجديد، مكتبة المعارف، الرياض، ط٢، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

- العزاوي، عباس.

عشائر العراق، الدار العربية للموسوعات، ط٢، بيروت، ١٤٠٠هـ/ ٢٠٠٠م.

- العسكري، سليمان إبراهيم.

التجارة والملاحة في الخليج العربي في العصر العباسي، مطبعة المدني، القاهرة، ١٩٧٢م.

- العصامي، عبد الملك بن حسين (ت ١١١١هـ/ ١٦٩٩م).

سمط النجوم العوالي بأخبار الأوائل والتوالي، القاهرة، ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م.

- عقيل، مصطفى (الدكتور).

التنافس الدولي في الخليج العربي، ط٣، الدوحة، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

- العناني، أحمد.

قطر في دليل الخليج، ط١، الدوحة، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

- الغزي، محمد بن محمد (ت ١٠٦٧هـ/ ١٦٥٦م).

الكواكب السائرة في أعيان المائة العاشرة، بيروت، منشورات الجامعة الأمريكية، (١٩٤٥-١٩٥٨).

- ابن غنام، حسين بن أبي بكر (ت ١٢٢٥هـ/ ١٨١١م).

روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام المسمى بتاريخ نجد، تحقيق ناصر الدين الأسد، مطبعة المدني، مصر، ١٣٨١هـ/ ١٩٦٢م.

- الفاخري، محمد بن عمر (١٢٧٧هـ/ ١٨٦٠م).

تاريخ الفاخري، تحقيق عبد الله يوسف الشبل، الرياض، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.

- ابن فرج، عبد القادر بن أحمد (ت ١٠١٠هـ/ ١٦٠١م).

السلاح والعدة في تاريخ بندر جدة، تحقيق علي محمد عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د.ت.

- فريدريك، ج.

تاريخ شرق الأردن وقبائله، ترجمة بهاء الدين طوقان، الدار العربية، عمّان، د.ت.

- فلبس، وندل.

تاريخ عمان، ترجمة محمد أمين عبد الله، ط٥، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م).

- فلسفي، نصر الله.

١- إيران وعلاقتها الخارجية في العصر الصفوي، ترجمة محمد فتح الريس، القاهرة، ١٩٨٩م .

٢- زندكاني شاه عباس أول، ج٤، طهران، ١٣٤٦ه. ش.

- ابن فهد، جار الله بن عبد العزيز، (ت ٩٥٤هـ/١٥٤٧م).

نيل المنى بذيل بلوغ القرى لتكملة إتحاف الورى، تحقيق محمد حبيب الهيلة، مؤسسة الفرقان، ط١، بيروت، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

- ابن فهد، عمر بن محمد (ت٨٨٥هـ/١٤٨٠م).

إتحاف الورى بأخبار أم القرى، ج٤، تحقيق عبد الكريم علي باز، منشورات جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

- ابن قاضي شهبا، أبو بكر بن أحمد (ت ٨٥١هـ/١٤٤٨م).

تاريخ ابن قاضي شهبا، ج١، تحقيق عدنان درويش، دمشق، ١٩٧٧م.

- القلقشندي، أحمد بن علي (ت ٨٢١هـ/١٤١٨م).

صبح الأعشى في صناعة الإنشا، القاهرة، ١٩١٥م.

- الكاتب، شافع بن علي عباس (ت ٧٣٠هـ/١٣٣٠م).

حسن المناقب السرية المنتزعة من السيرة الظاهرية (الظاهر بيبرس) تحقيق عبد العزيز الخويطر، ط١، الرياض، ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م.

- كيرفران، مونيك.

البحرين في القرن السادس عشر جزيرة حصينة، ترجمة محمد الخزاعي، منشورات وزارة الإعلام بمملكة البحرين، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٤م.

- ابن لعبون، حمد بن محمد (١٢٦٠هـ/١٨٤٤م).

تاريخ ابن لعبون، القاهرة، ط٢، ١٤٠٨ه.

- لوريمر، ج ج.
دليل الخليج التاريخي، ترجمة قسم الترجمة بمكتب أمير دولة قطر، الدوحة، ١٩٦٧م.
- المديرس، عبد الرحمن مديرس (دكتور).
الدولة العيونية في البحرين، دارة الملك عبد العزيز، الرياض، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.
- المسلم، محمد بن سعيد.
ساحل الذهب الأسود، ط٢، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٢م.
- المسعودي، علي بن الحسين (٣٤٦هـ/ ٩٥٧م).
مروج الذهب ومعادن الجوهر، بيروت، د. ت.
- المقريزي، أحمد بن علي (ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م).
السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور، ط، دار الكتب، القاهرة، ١٩٧٠م .
- مصطفى، أحمد عبد الرحيم.
نشوء دولة قطر وتطورها، ط١، ذات السلاسل، الكويت، ١٩٧٧م.
- الملاّ عبد الرحمن بن عثمان.
تاريخ هجر، ٢ج، ط٢، مطابع الجواد، الأحساء، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.
- النبهاني، محمد بن خليفة (ت ١٣٦٩هـ/ ١٩٤٩م).
التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية، ط١، بيروت، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.
- النجدي، أحمد بن ماجد (ت ٩٠٤هـ/ ١٤٩٨م).
الفوائد في أصول البحر والقواعد، دمشق، ١٩٧١م.
- نخلة، محمد عرابي.
تاريخ الأحساء السياسي، ذات السلاسل، الكويت، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.
- النهروالي، محمد بن أحمد (ت ٩٩٠هـ/ ١٥٨٢م).
- البرق اليماني في الفتح العثماني، دار اليمامة، الرياض، د.ت.

- الهطلاني، محمد بن إبراهيم، الدرر الممتاز من الشعر النبطي والألغاز مكتبة الموسوعة، عنيزة، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
- الوسمي، خالد ناصر.
  عمان بين الاستقلال والاحتلال، الكويت، ١٩٩٣م.
- الوهبي، عبد الكريم عبد الله (الدكتور).
  ١- بنو خالد وعلاقتهم بنجد، ط١، دار ثقيف للنشر، الرياض، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م.
  ٢- الحكم العثماني في الحساء، رسالة دكتوراه غير منشورة، مقدمة إلى جامعة الملك سعود بالرياض، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.
- ويلسون، سير أرنولد.
  تاريخ الخليج، ترجمة محمد أمين عبد الله، دار الحكمة، لندن، ط١، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.
- ياقوت، شهاب الدين أبي عبد الله الحموي (٦٢٦هـ/١٢٢٩م).
  معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.
- اليماني، يحيى بن الحسين.
  غاية الأماني في أخبار القطر اليماني، تحقيق سعيد عاشور، القاهرة، ١٩٦٨م.

● الدوريات

- الجاسر، حمد.
  الدولة الجبرية في الأحساء، مجلة العرب، السنة الأولى، الأعداد، ٥، ٧، السنة ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م.
- بالحارث، حسين.
  الأحساء اليوم، تقرير مصور نشر في ملحق جريدة الجزيرة، العدد (١٣٤٠٧) بتاريخ ١٤٣٠/٦/٢٠ه = ٢٠٠٩/٦/١٣م، ص٥٩.

- الحميدان، عبد اللطيف ناصر (دكتور).

١- إمارة العصفوريين ودورها السياسي في تاريخ شرق الجزيرة العربية، مجلة كلية الآداب، جامعة البصرة، العدد ١٥، ١٩٧٩م.

٢- التاريخ السياسي لإمارة الجبور، مجلة كلية الآداب، جامعة البصرة، العدد ١٦، ١٩٨٠م.

٣- الصراع على السلطة في دولة الجبور بين المفاهيم القبلية والملك، سلسلة دراسات تاريخية، الجزء الثاني، كلية الآداب، جامعة الملك سعود بالرياض، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، ص٤٣-١٠٢.

٤- نفوذ الجبور في شرق الجزيرة العربية بعد زوال سلطتهم السياسية سنة ٩٣١هـ. مجلة كلية الآداب، جامعة البصرة، العدد ١٨، ١٩٨١م. ص٢١١-٢٤٠.

٥- مكانة السلطان أجود بن زامل الجبري، مجلة الدارة، العدد ٤، السنة السابعة، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

- حنظل، فالح (الدكتور).

المعارك العربية البرتغالية في الخليج العربي، (معركة البحرين) مجلة درع الوطن، عدد يونيو ١٩٩٠م.

- الخليفة، خالد (الدكتور).

التأثير البرتغالي على اقتصاد منطقة الخليج العربي، مجلة الوثيقة، العدد ١٩، السنة ١٠، ذو الحجة ١٤١١هـ/ ١٩٩٩م، ص١٠٠ وما بعدها.

- سلفا، نونو بي.

صفحات عن الغزو البرتغالي للبحرين، مجلة الوثيقة، ع٨، س٤، ربيع الثاني ١٤٠٦هـ/ يناير ١٩٨٦. البحرين، ص١٢٤ وما بعدها.

- الشباط، عبد الله.

دولة آل حميد، مقالة منشورة في جريدة اليوم، العدد ٣٩٧٩، بتاريخ ١٣/ ٤/ ١٤٠٤هـ، ص٩.

- عبد الكريم، ناهد (الدكتورة).

الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في عمان في عهد دولة آل بو سعيد من خلال مؤلفات ابن رزيق التاريخية. بحث منشور في مجلة الجمعية التاريخية السعودية، العدد٩، السنة٥، ذو القعدة ١٤٢٤هـ/ يناير٢٠٠٤م. ص١٢٩-١٧٣.

- العثيمين، عبد الله بن صالح (الدكتور).

١- نجد منذ القرن العاشر الهجري حتى ظهور الشيخ محمد بن عبد الوهاب، مجلة الدارة، العدد٤، السنة الأولى، الرياض، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.

٢- الشعر النبطي، مقالة منشورةفي جريدة الرياض، العدد ١١٩٢٩ بتاريخ ٢٦/ ١١/ ١٤٢١هـ.

- العناني، أحمد.

البرتغاليون في البحرين وحولها، مجلة الوثيقة، العدد ٤، السنة ٢، البحرين، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

- لنشوتن، جون هيوجن.

صفحات من كتاب قديم (١٥٩٨م) مجلة الوثيقة، العدد الأول، السنة الأولى، البحرين، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م. ص١٥١ وما بعدها. (تعريب أسرة تحرير المجلة).

- مركز الوثائق التاريخية بدولة البحرين.

أخطأوا فأطلقوا على قلعة البحرين اسم قلعة البرتغال، مجلة الوثيقة، العدد ١، السنة ١، البحرين، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م. ص١١٦ وما بعدها.

- المصان، جابر بن عبد الخضر.

عقد جيد الدرر في معرفة حساب نوروز البحر، تحقيق على أبا حسين، مجلة الوثيقة، العدد ٢، السنة ١، البحرين، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م. ص٨٢ وما بعدها.

• المراجع الأجنبية

- As Gavetas da Torre do Tombo, (Lisbona, 1965) vol. V. p.325=29.
- Aubin, Jean, «Le Royaume D'Ormuz au Début du xvie siecle», in mare liso - indicum, 11 (1973).
- Belgrave, sir charls, «The Pirate coast», (London, 1966).
- Castanheda. Historia do descobirneto Conquista do India pelos Portuqueses.
  (Coimbro, 1928) 11 livrc, 111. cap. Lxxi.
- Duarte Barbosa, The book of Duarte Barbosa, (1518). M. L. Demes Trans. by M. L. Demes, (London, 1918).
- Joao de Barros, «Da Asia» De Cada 1 Vi. Viii Cap Xiii, (Lisboa Rep. 1973, 1979) vol. III (1945).
- Lokhart, L. «Nadir Shah's Campaigans». (London, 1938).
- Miles, S. B. «The Cauntries and tribes of Persian Gulf» 2nd (London, 1866).
- Nacional da Torre do Tambo, Lisbon, Documents Orientais, No. (38), (93).
- National Archives of Rhodesia. Documents of the Portugues in Mozambique and central Africa. (Lisbona, 1965), vol. IV.
- Nibuhr, c. Travel Through Arabia and Other Countrise in the East, Trans. By Robert Heron, Beirut, N. D.
- Orhanlu, G. Hint Kaptanligi ve Piri Reis, in bellete, 134 (1970) s.235-54.
- Ozbaran, S. «Bahrain in the sixteenth Century».
- Pelly, Lewis «Ajourney to Riadah», (Cambridge, 1865).
- Sausa, M. F. «the history of the discovery and conquest of India». trans. by J. sterens, vol. I (w. Germany, 1971).
- «The New Caxton Encyclopedia», vol. 1. (London, 1977).
- The commentaries of the Great A Fonso DAL Boquerque. Trans. by Walter Degray Brich, vol. 1 (London. 1974).

فهرس المحتويات